



علم اجتماع المستقبل



السنة: الرابعة
القسم: علم الاجتماع



منشورات جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

علم اجتماع المستقبل

الدكتور
بلال عرابي
أستاذ في قسم علم الاجتماع

1441 - 1442 هـ
2020 - 2021 م

جامعة دمشق



المحتويات

الموضوع	الصفحة
- المقدمة	7
الفصل الأول: (المجتمع و استشراف المستقبل)	13
- أولاً: أهمية استشراف المستقبل	13
- ثانياً: أسباب عدم الحتمية في الدراسات المستقبلية	17
- ثالثاً: مفاهيم علم اجتماع المستقبل ومصطلحاته	21
- رابعاً: مبادئ الدراسات المستقبلية	30
- خامساً: مجالات دراسة المستقبل	31
- سادساً: أسس علم المستقبل	32
- سابعاً: السمات العامة لعلم المستقبل	34
- ثامناً : السيناريو المستقبلي	35
- تاسعاً: قضية (ماذا لو..) في علم الاجتماع	39
الفصل الثاني: (دراسة المستقبل في العلوم الاجتماعية)	57
- أولاً: علمية علم اجتماع المستقبل	57
- ثانياً: علاقة علم اجتماع المستقبل بالتاريخ	61
- ثالثاً: علاقة علم اجتماع المستقبل بعلم الاقتصاد	65
- رابعاً: علاقة علم اجتماع المستقبل بعلم السياسة	66

69	- خامساً: علاقة الدين الإسلامي بالمستقبل
80	- سادساً: منهج الدراسات المستقبلية بين العلوم
89	الفصل الثالث: (مستقبل النظم الاجتماعية)
90	- أولاً: النماذج العالمية لدراسة المستقبل
119	- ثانياً: مستقبل الاشتراكية في المجتمع
125	- ثالثاً: حاضر الصين ومستقبلها
131	- رابعاً: مستقبل الوطن العربي
147	الفصل الرابع: (القضايا الاجتماعية لمستقبل سورية)
147	- أولاً: مستقبل السكان
155	- ثانياً: مستقبل التعليم في سورية
175	- ثالثاً: مستقبل المرأة
189	الفصل الخامس: (قضايا المجتمع المستقبلية)
189	- أولاً: مستقبل البيئة: التنمية المستدامة
205	- ثانياً: مستقبل وسائل الاتصال
217	- ثالثاً: مستقبل اللغة العربية
225	خاتمة
229	مصطلحات علم اجتماع المستقبل (عربي - إنكليزي)
239	مكتبة الكتاب

مُقَدِّمَةٌ

يدرس علم الاجتماع التنمية المجتمعية والعلاقات الاجتماعية، والتغير الاجتماعي في المجتمع؛ لذلك وجد علم الاجتماع أن دراسة التغير الاجتماعي والحياة الاجتماعية تقتضي وجود آليات لفهم تطور المجتمع، وتصور شكل الحياة المستقبلية في المجتمع.

لقد تطور علم الاجتماع وتعددت ميادينه، ومن أحدثها علم اجتماع المستقبل؛ الذي يهدف إلى دراسة مستقبل المجتمع ومسارات التغير الاجتماعي لمستقبل الإنسان والحياة الاجتماعية.

وسط التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية العربية والعالمية، التي تحيط بسورية والوطن العربي؛ تقوم العلوم الاجتماعية بدورها في فهم التغير الاجتماعي ومعرفة القضايا الحيوية لمستقبل سورية، ولعلم الاجتماع الدور الأكبر في فهم المجتمع، ولعلم اجتماع المستقبل - مجاًلاً لفهم التحولات الاجتماعية - أهمية كبيرة في مرحلة إعادة الإعمار في سورية خصوصاً إعادة إعمار الإنسان، والتنمية البشرية لمستقبل سورية.

- يتناول الفصل الأول من كتاب علم اجتماع المستقبل: أهمية استشراف المستقبل في المجتمع، في حياة الشعوب سابقاً ولاحقاً، وعيوب هذا الاستشراف في عدم الحتمية للدراسات المستقبلية، ومبادئ الدراسات المستقبلية ومجالاتها.

وكذلك السمات العامة لعلم المستقبل، وأهم تقنيات الاستشراف وهي:

- مفهوم السيناريو الذي أخذ من السينما لتصوير حياة مفترضة.
- قضية (ماذا لو...) في المجتمع للماضي وللمستقبل: إذ يدلنا علماء التاريخ وعلماء الاجتماع؛ أن معطيات الواقع متسلسلة، وأن أي تغير في معطيات الواقع وزمنه، وعناصره؛ قد يؤدي إلى تغيرات واسعة في مجمل النسق الاجتماعي.

- يتناول الفصل الثاني: علاقة دراسة المستقبل بالعلوم الاجتماعية الأخرى. فصل الكتاب في موقع علم اجتماع المستقبل، وفي علاقة علم اجتماع المستقبل بعلم التاريخ، وعلم الاقتصاد، وعلم السياسة، وكذلك علاقة الدين الإسلامي بالمستقبل، وانتهى الفصل إلى موقع منهج دراسة المستقبل، وتميزه بين العلوم الاجتماعية.

الدراسات المستقبلية تتصل بكثير من العلوم الاجتماعية، وتساعد مختلف العلوم ومجالات العمل في وضع تصورات مستقبلية من جهة، ومن جهة أخرى دراسة المستقبل تعتمد على تعاون علوم متعددة نظرية وتطبيقية لرسم صورة مستقبل مفترض.

- الفصل الثالث يتناول مستقبل النظم الاجتماعية، حيث درست النماذج العالمية لفهم المستقبل من قبل علماء في العالم وضعوا مسارات عالمية للطاقة والموارد والبيئة، وخرائط لما قد تكون عليه المجتمعات في العقود القادمة، و ناقش الفصل الثالث أيضاً تجربة الاشتراكية في المجتمع ومستقبلها في كل من الاتحاد السوفييتي السابق، وفي جمهورية الصين. إن تجربة الاشتراكية- التي استمرت سبعة عقود في روسيا- اعتمدت على فكرة ماركسية لتحقيق المساواة والعدل على الأرض، لكنها كسرت بالمسار الوحيد والتفرد الذي لا يمكن أن يلغي التنوع وخيارات الناس. خلاص الفصل الثالث إلى علاقة النماذج العالمية لتطور العالم؛ بتطور الوطن العربي، وإلى الحاجات الاجتماعية والاقتصادية الضرورية لتوحد العرب في سبيل التنمية والتقدم، وحماية العرب من تغوّل الاستعمار القديم والجديد.

- تناول الفصل الرابع أهم القضايا الاجتماعية لمستقبل سورية: من بين قضايا التنمية المجتمعية خلصت هذه الدراسة إلى ضرورة معالجة المشكلة السكانية لكي تخدم الزيادة السكانية التنمية، وكى لا تأكل الزيادة السكانية كل جهود المجتمع لزيادة الخدمات المجتمعية والنمو. وعدّت الدراسة أن أهم قضايا النهوض المجتمعي هي قضية التعليم ورفع سوية الكوادر البشرية في المجتمع كي تعتمد سورية على كوادرها المتعلمة، ولا تحتاج لخبرات

أجنبية، تستنزف اقتصادها ومواردها، وأن الموارد البشرية وتطويرها هي أهم من الموارد الطبيعية في مسيرة التنمية. ناقش **الفصل الرابع** أيضاً موقع المرأة (نصف المجتمع) ودورها الأهم لنهضة سورية، لأنها بتعلمها ووعيتها وعملها تساهم في معالجة قضية السكان، فهي أساس بناء أسرة متوازنة تلي حاجاتها، وتتعامل بعقلانية مع مختلف قضايا الأسرة القومية والاقتصادية الملحة للبنين والبنات في المجتمع. إن تعليم المرأة الأم هو تعليم لمستقبل الأولاد، وتعامل أفضل مع البيئة والمجتمع. لقد خُص **الفصل الرابع** بذلك إلى أن التعليم هو أساس نهضة سورية في كل قضايا المجتمع: السكان، والبيئة، والحقوق، والواجبات لكل مواطن في سورية.

- تناول **الفصل الخامس**: مستقبلات قطاعية في القضايا الحاسمة، لمستقبل سورية، والوطن العربي، ربما أهمها مستقبل البيئة التي تشهد تدهوراً مستمراً على مستوى العالم، نتيجة نشاطات الإنسان غير الحكيمة، ومسؤوليتنا هي مسؤولية الكائن العاقل الوحيد على الأرض، الأكثر قدرة على التحكم بأنشطته، واستغلاله للمكان الوحيد لنا في الكون (الأرض). تناول **الفصل الخامس** أيضاً قضية الشغل الشاغل للأجيال مع بداية القرن الحادي والعشرين: وسائل الاتصال التي أثرت في مختلف أوجه حياتنا الاجتماعية، وظهرت لها نظريات لفهم تحول العالم إلى قرية واحدة. ركز **الفصل الخامس** على مستقبل اللغة العربية مثلاً على مجال يمثل بالنسبة للعرب هويتهم وانتمائهم وتميزهم، بوصفهم جماعة قومية لا تريد الذوبان في بحر العولمة، جماعة تؤمن بثقافتها وحققها في المستقبل المأمول.

ألقى بالكتاب أهم مصطلحات علم اجتماع المستقبل والدراسات المستقبلية بالعربية والإنكليزية، وهي مصطلحات يختلف العلماء حولها؛ لأن الدراسات المستقبلية حديثة، و هي تتداخل مع علوم متعددة، لذلك وضع الكتاب بعض المصطلحات الأكثر التصاقاً بهذا العلم الوليد، لبيان فروقاتها واختلاف التسميات حتى في اللغة الواحدة.

نأمل أن يكون هذا الكتاب إضافة مطلوبة لمنظومة الطالب في قسم علم الاجتماع؛ لاستكمال معارفه حول مجالات عمل علم الاجتماع، وفي الوقت نفسه بذرة عمل للخريجين من قسم علم الاجتماع لمتابعة الدراسات المستقبلية، وتطبيقها في المجتمع، وفي مجالات حياتهم العلمية والعملية.. فكل حياتنا وكل عمل يحتاج لسيناريوهات ومخططات لما نريد أن نقوم به في الغد.. وإذا دل هذا الكتاب على آلية العمل والتخطيط لبناء مستقبل الفرد والأسرة، أو دل على آلية رسم تصور لمستقبل المؤسسة أو المجتمع.. فقد أدى مهمته في قسم علم الاجتماع.

أخيراً.. لقد بذلت في الوطن العربي محاولات خجولة لتنفيذ النماذج العالمية لمستقبل العالم مطبقة على الوطن العربي، واليوم نحن بأمس الحاجة لدراسات علم اجتماع المستقبل، وكل الدراسات المستقبلية لتعميم فكرة التخطيط لمستقبل الوطن العربي، و لاسيما سورية في ظروفها الحالية، دعماً لجهود الدولة الحثيثة لإعمار سورية ونهضتها، ورسم صورة مستقبلية لوطننا وأجيالنا، وإلى تنمية مجتمعية على أسس علمية رياضية وفكرية، لمعرفة هذا المستقبل المأمول، وصناعته اليوم للأجيال القادمة.

أملاً بنسيج ممكن خيوطه بين أيدينا .

جامعة دمشق 2020م

المؤلف

الفصل الأول (المجتمع و استشراف المستقبل)

- أولاً: أهمية استشراف المستقبل.
- ثانياً: أسباب عدم الحتمية في الدراسات المستقبلية.
- ثالثاً: مفاهيم علم اجتماع المستقبل ومصطلحاته.
- رابعاً: مبادئ الدراسات المستقبلية.
- خامساً: مجالات دراسة المستقبل.
- سادساً: أسس علم المستقبل
- سابعاً: السمات العامة لعلم المستقبل.
- ثامناً : السيناريو المستقبلي.
- تاسعاً: قضية (ماذا لو..) في علم الاجتماع.



الفصل الأول

قضايا استشراف المستقبل

إن الإنسان يمكنه أن ينظر إلى الأمام لمستقبل أطول بكثير من ماضيه، مستقبل يستلهم رؤيا جديدة، يستلهم أملاً مستمراً تدعمه الإنجازات الجديدة. لقد حقق الإنسان بدايات تتناسب مع طفل رضيع، ذلك أن الإنسان الذي هو آخر الأنواع من الناحية البيولوجية ما يزال رضيعاً، ولا يمكننا وضع حد لما يمكنه تحقيقه في المستقبل.

الفيلسوف برتراند رسل

أولاً - أهمية استشراف المستقبل:

لا ريب في أن الدراسة المتصلة بالمستقبلات Futurology هي دراسات حديثة نمت وتطورت في النصف الثاني من القرن العشرين.

لكن المفكر والمثقف عبر العصور كان يدرك أهمية دراسة الاتصال الزمني في الحياة الاجتماعية، ويدرك أهمية استخلاص الدروس من الماضي وتحليل الحاضر، استمراراً لمعرفة ما يمكن أن يحصل في المستقبل.

رغم أن الدراسات المستقبلية العلمية كانت بعيدة عن تفكير الناس فإن فكرة المستقبل المجهولة والحاجة لمعرفته، وجدت في صميم الفكر البشري، وتجلت بقوة في طموح الإنسان لمعرفة المستقبل من خلال علم التنجيم والفلك الذي يعتمد على استشراف المستقبل من خلال حركة الأفلاك، وربط حركات الكواكب بمصير الإنسان ومصير الأرض، حتى تقنيات الاستشراف مثل ضرب الرمل، والكرة البلورية، وتحليل الأحلام التي اعتبرت إعلماً للبشر بمصيرهم ومصير من حولهم حتى قبل القصة الشهيرة عن النبي يوسف عليه السلام

وتفسيره لحلم الملك الذي رأى «سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف» (سورة يوسف، آية 43)، فالأمثلة توضح رغبة قوية عند الإنسان سابقاً ولاحقاً لفك كنه المستقبل ومعرفة ما تؤول إليه أحواله أولاً، وأحوال من معه ثانياً، وأحوال محيطه الحيوي ثالثاً.. لدرء ما يمكن درؤه من أضرار واستجلاب ما يمكن استجلابه من منافع...



سعى الإنسان دائماً لمعرفة مستقبله



إن الإنسان بحاجة لمعرفة مستقبله على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة:

أ - **على مستوى الفرد:** تتشكل حياة الفرد من عدة خطوات واختيارات حياتية لها تبعات مستقبلية، بحيث إن كل اختيار لمستقبل الفرد هو خطوة تتبعها خطوات تحدد مصير الإنسان وظروف حياته اللاحقة... منها:

1- **في أسرته:** ترتبط باختيار شريك الحياة نوعية الحياة المستقبلية في الأسرة، من مستوى تعليم الشريك وحالته الاقتصادية والاجتماعية والنفسية تحدد استقرار التوافق الأسري واستمراره.

وفي الأسرة: اختيار عدد الأولاد ونوع المولود وحتى أسماء الأولاد لها علاقة بمصير الأسرة اللاحق ومستقبل الأولاد والأسرة.

2- **اختيار التعليم والعمل:** يرتبط بخيارات الفرد لنوع التعليم الذي يتابعه واختيار العمل والمهنة والتدريب... كل ذلك يعتمد خيارات فردية إلى حد ما؛ لأن الجماعة (الأسرة والمحيط) تؤثر في اختيارات الفرد لمسار مستقبله ومهنته وتطور حياة الإنسان وإنتاجه الخاص اللاحق للتعليم والعمل.

3- **اختيار محيط الفرد:** اختيار البيت (موقعه ومساحته وكسوته وجيرته...)، اختيار نوع السيارة ونوع الأدوات المنزلية... كل المحيط المرتبط بالفرد يؤثر في مستقبل حياته وراحته وتكيفه مع البيئة المحيطة. يرتبط بذلك اختيار الأصدقاء في محيط العمل والسكن (قل من تعاشر).

4- **خيارات متعددة** ترتبط بمسيرة حياة الفرد، مثل اختيار الاستقرار في موطنك أو الهجرة، وهو خيار قد يؤدي إلى تغيير كامل في خيارات الأسرة والأقرباء واستبدال المحيط المعروف بمحيط غير معروف..

في سورية وفي الوطن العربي نحن بأمس الحاجة لدراسة المستقبل دراسة علمية واقعية تعتمد الإحصائيات والنمو الرقمي، للتنبه إلى المخاطر المحدقة بنا - وهي كثيرة - ولنتحضر منذ الآن لما يمكن أن يحصل في المستقبل، ما دام المستقبل كلاً متصلاً من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل... وما بعده...

ب - الحاجة لمعرفة المستقبل على مستوى الجماعة: تعتمد الطريقة العلمية لدراسة المستقبل على الاستقراء، وهي تحديد الماضي عبر الحاضر بدراسة تطور الأرقام الموجودة حالياً اعتماداً على ما تمت معرفته سابقاً من شكل نمو هذه الأرقام.

فإذا كنا نزداد 650 ألف نسمة كل سنة في سورية، وإذا كنا 20 مليون نسمة عام 2010 فسنصبح بصورة منطقية وعلمية 26 مليون نسمة عام 2020.

وهذه المعلومة ليست رجماً بالغيب، ولا تخُصّصات من بنات أفكار العلماء، وإنما هي حسابات منطقية يترتب عليها الكثير من القرارات التي يجب أن تتخذها سورية في هذا العقد...

فعلى هذه المعلومة يمكن بناء خطط التنمية البشرية وكل جهود التنمية وهي مهمة التخطيط الاجتماعي ، حتى لمعرفة حاجة سورية من قوارير الغاز المنزلي: فبحساب بسيط نستطيع معرفة عدد قوارير الغاز التي تحتاجها إذا قسمنا عدد السكان على متوسط عدد أفراد الأسرة الذي هو في سورية خمسة أفراد: فعندنا 5 ملايين أسرة، ومتوسط حاجة كل أسرة قارورتان، فنحن بحاجة فعلياً إلى 10 ملايين قارورة من الغاز المنزلي.

كذلك يمكن حساب:

عدد المدارس المطلوبة ؟

الأبنية السكنية المطلوبة؟

عدد الطرقات... ؟

عدد الجامعات...؟

لكن وبالنظر لما حصل من حرب على سورية منذ 2011-2018 فإنك لا تعرف ما يمكن أن يحصل في أية دولة من مفاجآت.

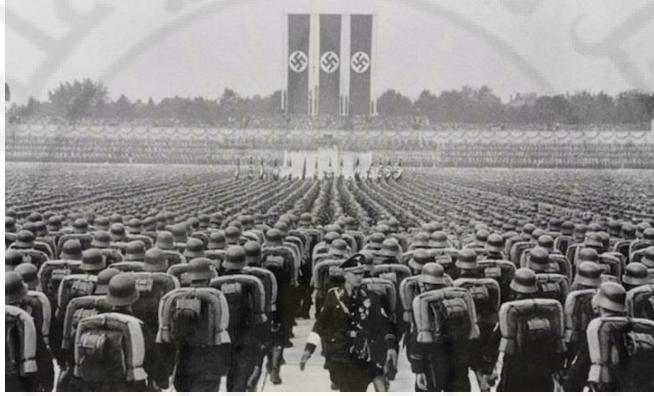
ثانياً: أسباب عدم الحتمية في الدراسة المستقبلية:

إن الدراسة المستقبلية تهتم بما هو محتمل أو ممكن من دون يقين ومن دون حتمية في رسم مسارات المستقبل الأكيدة وذلك لأسباب ثلاثة:

- 1- مفاجآت المستقبل الإنسانية: (الحروب، الصراعات...).
 - 2- مفاجآت المستقبل الطبيعية: (الكوارث الطبيعية، كوارث التغير المناخي...).
 - 3- مفاجآت التكنولوجيا: (الاكتشافات العلمية، الاختراعات، تغير أنماط الحياة...).
- وسنشرح ذلك :

1- مفاجآت المستقبل الإنسانية:

- الحرب العالمية الأولى أبادت عشرين مليون إنسان.
 - الحرب العالمية الثانية أبادت خمسين مليون إنسان.
 - الحرب العالمية الثالثة يتوقع أنها لن تبقى أحداً على وجه الأرض.
- آلاف من الناس من جنسيات مختلفة كانوا في ليبيا قبل ثورة 17 شباط 2011 يخططون لمستقبلهم ومشاريعهم... حصلت الثورة فجأة واصطفت البوارج والطائرات... المغادرون يتدافعون للرحيل، وبهذا تغيرت جميع خططهم، وتبددت جميع أحلامهم وتصوراتهم عن مستقبلهم القريب الذي كان واضحاً قبل قليل وفجأة أصبح مغلقاً، وكذلك سافر الناس في إجازات أو مهمات في شباط 2020م، ثم قام الحجر الصحي بعد جائحة كورونا آذار 2020م؛ فاحتجز الناس في أماكنهم، وتوقف السفر بين جميع دول العالم، فتغيرت خطط الناس وتصوراتهم عن مستقبلهم.



الحرب العالمية الأولى والثانية دمرت البشر والحضارة

سورية كانت مكتفية ذاتياً بالموارد، والبلد الوحيد في المنطقة العربية الذي كانت ديونه الخارجية صفراً، وكانت تنافس دولاً في المشرق وفي المغرب على الريادة في الزراعة والصناعة والاكتفاء الذاتي... حصلت الحرب على سورية عام 2011 فتغيرت أحوال سورية: في التوزع الجغرافي للسكان، بالنزوح والهجرة... بالتعليم والمدارس... بالحصار الاقتصادي وتراجع قيمة صرف الليرة السورية... تغيرات فرضت على الناس تغيير مشاريعهم وخططهم الحياتية... وفرض ذلك على الدولة تغيير خططها كاملة لمستقبل سورية ولإعمارها.

- حادثة تشرنوبل (انفجار مفاعل تشرنوبل مدينة غرب روسيا نيسان 1986)
أدى إلى موجة خطيرة من الإشعاع الذري شمل كل أوروبا، لأن الرياح كانت غربية، و تأثر

الملايين؛ مما اضطر الاتحاد السوفييتي لإجلاء مئات الآلاف عن منازلهم... وعن حياتهم وعن مزارعهم وعن خططهم...

- حادثة تشير نوبل تسبب الانفجار الذري في مفاعل تشير نوبل 1986م في تساقط الغبار الذري عبر أوروبا كاملة، وأصبحت هناك خطورة من تناول الحليب واللحوم في كثير من مناطقها، ولاسيما القرية من الاتحاد السوفييتي السابق، وتغيرت أحوال الناس، وضحي عشرات الأشخاص من الخبراء والمختصين بأرواحهم؛ للاقتراب من موقع المفاعل الذري المشتعل لردم المفاعل وتجنب كارثة أسوأ.

- وفي العام نفسه وصل الغبار الذري من مفاعل تشير نوبل إلى حلب وشمال سورية الأمر الذي زاد من احتمالية إصابة الناس بالسرطان في كل المسافة بين حلب وتشير نوبل.

- في عام 1987 تسرب الغاز في مصنع مبيدات زراعية في بوبال بالهند، الأمر الذي تسبب في مقتل أكثر من ألفي شخص، وفي إصابة أكثر من مائتي ألف هندي بجروح متعددة أو بالعمى من ذلك التسرب.

2- مفاجآت المستقبل الطبيعية:

- أما الموت من ثورات البراكين أو الأعاصير أو الزلازل... فقد حصد آلاف الأرواح من البشر، وهي من مفاجآت المستقبل التي لا دخل للإنسان بها، منها: حصدت هزة أرضية في الصين عام (1556م) 830.000 ضحية، وهزة في اليابان عام 1703م، 200.000 ضحية. وفي عام 1960 م حصد زلزال أغادير في المغرب 15.000 ضحية، وحصد زلزال في الصين عام 1977م، 700.000 ضحية.

- إن قصة الباخرة (تيتانك) البريطانية -التي كانت في حينها سفينة لا تقهر- 1912 - تربط بين الكارثة الطبيعية لاصطدامها بجبل جليدي، وأخطاء البشر الدالة على

تعجرف الإنسان، والاستخفاف بالناس، والأنانية في إنقاذ الأغنياء قبل الفقراء، الأمر الذي أدى إلى 1513 ضحية.

3- مفاجآت التكنولوجيا :

الاختراعات هي أكثر ما أثر في حياة البشر على مر العصور، والحقيقة المستغربة هي القفزات الهائلة التي تخطتها البشرية بالتكنولوجيا في المئتي سنة الأخيرة، في الوقت الذي بقيت فيه البشرية آلاف السنين بل ملايين السنين من دون اختراعات ومن دون تقدم فعلي، وهذه فجوة لم يحلها العلم: كيف بقي الإنسان خمسين مليون سنة يعيش كما تعيش الحيوانات؟! وفجأة في برهة من عمر البشرية أي قبل خمسة آلاف سنة فقط، بدأت الكتابة والتراكم المعرفي باللغة، ثم انهارت الاختراعات إلى أن أصبح الخائف من الطبيعة وأهوالها، خطراً على الطبيعة، وعلى جميع الكائنات الحية.

يعزى التغير الشامل والسريع الذي نتعرض له الآن إلى تقدم التكنولوجيا، وكثيراً ما يظن أن التكنولوجيا تتألف من أشياء مثل الآلات والكيماويات، ولكنها، بالمعنى الأوسع، تشمل كل المعرفة العلمية، ومنها: معلومات عن أي النباتات هي الأصلح للأكل، وأي الحشرات تحمل أمراضاً، وكذلك الكلمات والبنى القواعدية التي نتواصل بها، ونماذج الواقع التي نفكر بها، والترتيبات الاجتماعية التي وجدناها فعالة. وبالمعنى الأوسع يمكن تعريف التكنولوجيا بأنها القدرة على فعل الأشياء، ولا يستثنى إلا المعرفة غير العلمية وقيمنا وتقييماتنا. وكثيراً ما يوصف العالم الحالي بأنه خرج على السيطرة نتيجة تقدم التكنولوجيا، أو بأنه حالة فوضى عالمية، وهذه الرؤى المفزعة تبدو منحازة، لأننا نشهد أيضاً زيادة مستمرة في مستوى التعليم على نطاق العالم، وكذلك نشهد تقدماً بمستوى دخل الفرد عامة، وثقة محدودة بالهياكل الاجتماعية المحددة، وصعود العقلانية في تنظيم العمل والتمويل والسياسة والأخلاق والدين. وكان استخدام المنتجات التكنولوجية المختلفة على مستوى العالم هو اتجاه لتشكل ظاهرة العولمة التي باتت تحيط بكل شيء.

وقال ستيفن هوكنج ما معناه : أدى نقل المعلومات عن طريق غير بيولوجي إلى أن يسيطر الجنس البشري على العالم، فقد حدث منذ حوالي سبعة آلاف سنة أن أنشأ الإنسان اللغة المكتوبة، وهذا يعني انتقال المعلومات دون الاتصال المباشر أو الشفاهية، فقد توضع المعلومات خارج عقل الإنسان وصارت هذه المعلومات تسير عبر الزمن، وتنتقل إلى الآخرين بدقة، حتى بعد موت منتجها بزمان طويل. لذلك نحن الآن على مشارف عصر جديد سوف نتمكن فيه من زيادة تعقيد سجلنا الداخلي من دون أن نحتاج إلى انتظار عمليات التطور البيولوجي البطيئة والتي تحتاج إلى عشرات الآلاف من السنين. ومن المرجح أننا ستمكن من إعادة تصميم الإنسان بالكامل في الألفية القادمة.

ثالثاً: مفاهيم علم اجتماع المستقبل ومصطلحاته:

1- الارتباط الرئيس بين علم الاجتماع والمستقبل هو دراسة التغير الاجتماعي، وقياس شكل التغير الاجتماعي ومستوياته، والتغير الاجتماعي هو كل تغير في أنساق البناء الاجتماعي وقيمه، كمياً وكيفياً.

2- استشراف المستقبل لغة: من استشرَف - يستشرَف استشرافاً- فهو مستشرَف، استشرَف بمعنى علا وانتصب، واستشرَف الشيء أي: رفع بصره لينظر إليه. واستشراف المستقبل هو التطلع إليه أو الحدس به. والمستقبل هو الزمن الذي يلي الحاضر، والاستشراف يتضمن التطلع والنظر والتوقع (ابن منظور، 1997، 171)

- للدراسات المستقبلية أكثر من عشرة مرادفات منها: علم المستقبل وبحوث المستقبلات، ودراسات البصيرة، وبحوث السياسات، والتنبؤ التخطيطي، والتحركات المستقبلية، والمنظور المستقبلي... وقد أقرت جمعية المستقبل العلمية عام 1975 أن أفضل مصطلح عند أعضائها هو تحليل الأمور المستقبلية.

ويعتبر عالم الاجتماع الأمريكي جيلغبلات أول باحث استخدم تعبير علم المستقبل Science of the future في أطروحة تقدم بها إلى جامعة كولومبيا لنيل درجة الدكتوراه

عام 1920. كما أطلقه عام 1913 عالم السياسة الألماني أوسيب فلختايم الذي كان يدعو لتدريس المستقبليات ، وكان يعني به إسقاط التاريخ على بعد زمني لاحق. وقد انتقد العالم الهولندي فريد بولاك هذا المصطلح، على أساس أن المستقبل مجهول فكيف تُرسي علماً للمجهول ؟

إذن، فإن الاستشراف المستقبلي هو اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صوغ مجموعة من التنبؤات المشروطة، التي تشمل المعالم الرئيسة لأوضاع مجتمع ما، أو مجموعة من المجتمعات، وعبر مدة زمنية مقبلة تمتد قليلاً لأبعد من عشرين عاماً، فنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الماضي والحاضر، لاستكشاف أثر دخول عناصر مستقبلية في المجتمع.

فاستشراف المستقبل لا يستبعد أيضاً إمكانية استكشاف نوعية التغيرات الأساسية وحجمها الواجب حدوثها في مجتمع ما، حتى يتشكل مستقبله على نحو معين منشود. (سعد الدين إبراهيم وآخرون، صور للمستقبل العربي، 1982، 23)

وللتكهن باحتمالات تكيف الفرد في المستقبل ظهر في علم النفس مصطلح الاختبارات التنبؤية Prognostic Tests ، وهي تلك الروائز التي غرضها التنبؤات أو التكهن باحتمالات تتعلق بتكيف الفرد في المستقبل، ويستدل بها على استعدادها لمواجهة جميع الاحتمالات على صعيد التكيف.

وعندما يجري الحديث عن المستقبل تظهر لنا قضايا التنجيم Astrology الذي هو دراسة العلاقة بين الحركات الظاهرة للأجرام السماوية من جهة، والشؤون الدنيوية للناس من حظ ومستقبل وحرب وسلم وغير ذلك... من جهة أخرى. وهناك إجماع بين العلماء المعاصرين على عدم إدراج التنجيم ضمن قائمة العلوم على عكس علم الفلك Astronomy. (المجلد السادس من الموسوعة العربية، 2007، 903)

3- التفكير بالمستقبل عند الإنسان:

يشير المستقبل إلى مدة من الزمن لم تصل بعد، ولذلك فهو بهذا التعريف غير موجود، يضاف إلى ذلك أن المستقبل لن يوجد حتى في المستقبل؛ لأنه يوجد فقط حين يصبح حاضراً، وعند هذه النقطة لا يعود مستقبلاً.

وهكذا كان التفكير في المستقبل سمة خاصة رافقت الجنس البشري منذ القديم، حيث يرى البعض أن أصول دراسة المستقبل تعود إلى النقوش المحفورة على الخشب والحجارة وجدران الكهوف بهدف نقل المعلومات، وتوصف تلك الجهود بالمحاولات لبدء التأريخ البشري.

وبذلك يمكن القول إن التفكير في المستقبل لم يتوقف عند الإنسان لحظة واحدة سواءً، كان ذلك يتعلق بالمستقبل القريب، أم بما سيحدث في الساعات والأيام، أم كان يتعلق بالمستقبل البعيد المبهم، وصولاً للحظة الموت والحياة ما بعدها. (كورنيس، 1994، 115)

4- علم المستقبل: هو «العلم الخاص بالتنبؤ بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المستقبل ويستند في دراستها على الاستقراء والاستنباط بجمع الوقائع الفردية المتعددة ليستخلص منها المبادئ العامة التي تحكمها، ويخرج بعد ذلك بالصور التي سيكون عليها المجتمع في الأجيال القادمة». (بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، 1977، 171)

و عرفه إجرائياً عز الدين دياب بأنه «نظام معرفي استشرافي له جذوره المنهجية في العلم الاجتماعي على اختلاف ميادينه التي تمكن من رؤية المستقبل والتنبؤ بأحداثه من واقع فهمه ومراقبته واستشرافه للظواهر والوقائع الاجتماعية ولحظة التغير التي تعيشها». (دياب، 2009، 27)

يتضح لنا من هذا التعريف الأهمية التي ينطوي عليها علم المستقبل لكونه يعني بالظاهرة المستقبلية ويحاول استشرافها انطلاقاً من موقعها البنائي، مراعيًا ماضيها وما يستمر منه في حاضرها في سبيل معرفة تجلياتها وتداعياتها المستقبلية، ويقوم على معرفة الواقع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً ويهدف إلى الفهم العلمي لتطور الحياة المجتمعية من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، ورسم الطرق الممكنة للوصول إلى مستقبل أفضل للجنس البشري.

5- تصنيع المستقبل:

يقصد بعملية تصنيع المستقبل إحالة الأذهان إلى عملية ترشيد الأفكار والآليات وتقنين النتائج التي تسعى إليها دولة ما، و يقصد بتصنيع المستقبل أيضاً تحضير الأسس والمبادئ والمقومات التي نستطيع بها مواكبة القادم من الأحداث أو بناء الأحداث التي نرغب بها، وقد يقال إنه لا يمكن ادعاء قدرة العلم - حتى الآن - على التنبؤ بأحداث معقدة تنبؤاً دقيقاً، لكن تكفيينا محاولة التنبؤ العلمي في معرفة التقلبات العامة للتغيير، ومساعدتنا على اكتشاف الأهداف، وفرض تقويم أكثر عناية للبدائل في أي خطة ترسم، إلا أن العلم في حالة تقدم مستمر، ولا يعلم الفرد ماذا يحمل الغد من جديد.

ينقسم الفكر المستقبلي إلى ثلاث مراحل: مرحلة تجريب الأفكار، تليها مرحلة الوعي التأسيسي، ثم مرحلة الوعي التخطيطي وهي التي تمثل مرحلة تصنيع المستقبل، وتمتاز هذه المرحلة بعدة سمات:

- هي مرحلة متسارعة يكثف فيها الزمن والعلم والتخطيط والتنفيذ.
- تتعد هذه المرحلة عما يتعلق بالرؤية الأدبية، وتعتمد على حسابات صرفة عاملها الأهم هو العلم والخيال والغاية المنشودة.
- تبرز في هذه المرحلة ثلاثة مستويات متتالية الأهمية تُنتج مسائل أخرى، وهي: السياسة، الاقتصاد والعلم، والدافع الأهم فيها هو السياسة؛ لأنه يساعد على تطبيق الأفكار

- المستقبلية فهو يتكون من خطط وأحداث، أما تنفيذ الآليات فيتبناها العلم، في حين يمثل العامل الاقتصادي محرك السياسة.
- نتجت عن هذه المرحلة قضية العولة التي تشعبت لتسير في زوايا الاقتصاد والجغرافيا السياسية والسياسة بشكل عام.
- يبقى جانب التخمين والظن مطروحاً في هذه المرحلة مع تطور الوسائل والمناهج المستخدمة.
- إن ردة الفعل تجاه الحربين العالميتين الأولى والثانية قادت إلى هذه المرحلة (تصنيع المستقبل)، لأسباب عديدة، منها: أن انتصار الدول قاد إلى فرض التقدم الاقتصادي والسياسي والسيطرة على البلدان الأخرى، فتوسعت الخطط والأفكار التي رُسمت للاستحواذ على الدول النامية أو لبناء الدول الكبرى، ودفع وضع ما بعد الحرب الدول العظمى لتجنب كوارث مشابهة، وقد أدت حدة التغير وتسارعه بعد الثورة الصناعية، خصوصاً خلال عقود القرن العشرين وحقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلى تزايد الاهتمام بالمستقبل. في فترة الحرب الباردة (بعد 1945)؛ تطورت الأفكار الاستراتيجية المتعلقة بقوة الردع النووي، التي ازدهرت أوائل الخمسينيات، وكان دافع التفوق العسكري على السوفييت قد حرك مجموعة واسعة من الطلبات على التكنولوجيا الإبداعية وتحول سباق التسلح في العالم إلى سباق معرفة (alnoor./article.asp).

6- تقنية دلفي:

تقنية في الدراسات المستقبلية تنسب لمعبد دلفي في اليونان القديمة حيث يمارس الكهنة استشراف المستقبل. وتقوم تقنية دلفي على عرض الاحتمالات المختلفة للظاهرة، وتطورها المستقبلي، واستبعاد التطورات غير المحتملة وتحديد المرحح لتطور الظاهرة، وتعتمد تقنية دلفي على مجموعة من الخبراء لتحديد الاحتمالات الممكنة للظاهرة.

7- دولاب المستقبل:

تقنية للدراسات المستقبلية تقوم على اختيار حدث وتحديد بوضوح وبيان التداعيات الممكنة لهذا الحدث في مدة محددة زمنياً، وتحدد تقنية دولاب المستقبل ما يمكن أن يحدث من تداعيات مباشرة وغير مباشرة لحدث ما.

8- شجرة العلاقات:

تقنية في الدراسات المستقبلية لربط أحد المواضيع بغيره، وتحديد سلسلة مترابطة من التفرعات المتسلسلة. تربط الشجرة بين الأجزاء المتعلقة بموضوع معين واحتمالات تطور هذه العلاقة مستقبلاً.

9- السلسلة الزمنية:

تقنية في الدراسات المستقبلية لتحديد القيمة التي تأخذها ظاهرة ما خلال مدة زمنية، وأسباب توزع قيم الظاهرة. فعند دراسة ظاهرة الحروب الداخلية خلال مدة زمنية نجد أنها تحدث بمعدل معين في السنة فندرس الزيادة أو التناقص عبر الزمن، وتحليل السلاسل الزمنية لمدد طويلة يساعدنا على فهم الماضي والحاضر وتصور الاحتمالات المستقبلية والتنبؤ بها.

ويتم تحديد السلاسل الزمنية في هذه التقنية بمعرفة:

- أ - الاتجاه العام لتغير الظاهرة.
- ب- التغيرات الموسمية لتتابع حدوث الظاهرة مثل: زيادة الجريمة، زيادة السياح.
- ج - التذبذب الدوري، أي: التغير الدوري صعوداً أو هبوطاً للظاهرة المدروسة في الاقتصاد ويطلق على هذا التغير: الدورات الاقتصادية.
- د - التغيرات العشوائية : تغيرات لا يمكن توقعها أو تنميتها.(عبد الحي، 2007، بتصرف)

10- المحاكاة:

تقنية في الدراسات المستقبلية لمحاكاة الواقع وتمثيله، مثل عمل المؤلف المسرحي من تحريك شخوص المسرحية، و مثل أن نعطي أحد الممثلين في محاكاة الواقع: معلومات متعددة وكثيرة وتفصيلية عن زعيم معين، وتفصيلات كثيرة عن موقف اتخاذ قراره ومحيطه وبيئته ، ونطلب من الممثل - لو كان الزعيم - أن يتخذ قراراً في الموقف المحدد بناء على معرفة الممثل بشخصية الزعيم، وكل ردود أفعاله الممكنة.

(هناك تحليلات تقول: إن إسرائيل درست خطابات الرئيس أنور السادات وشخصيته، وتاريخ حياته لتصل إلى أن شخصيته ممكن أن تقبل الصلح مع إسرائيل، ويمكن أن تعقد اتفاقية صلح حتى قبل حرب تشرين التحريرية عام 1973م).

11- النمذجة:

تقنية من الدراسات المستقبلية لوضع بناء أو نسق لموضوع نريد دراسته، وتوقع التغيرات في هذا النسق من معرفتنا بعناصر النسق موضوع الدراسة. مثال: يمكن للمهندس أن يضع نموذجاً لجسر معلق... لكن في علم اجتماع المستقبل نضع نموذجاً للعلاقات الاجتماعية الممكنة في أسرة قوية تتكون من الأب والأم والأولاد، ونتوقع أشكال تفاعل أفراد الأسرة.

12- تحليل المضمون:

تقنية في الدراسات الاجتماعية وفي علم الاجتماع والإعلام خصوصاً، تقوم على تحليل خطابات الإعلام أو خطابات الساسة أو الوثائق المكتوبة في مجال معين، لمعرفة توجهات الرأي العام نحو قضية من قضايا المجتمع. مثل تحليل الكتابات الصحفية المتكررة عن مدينة القدس وتوجهات الرأي العام حولها، أو الموقف من السلام مع إسرائيل عند الرأي العام، و يفهم ذلك من زيادة الحديث في الصحف أو نقصانه عن قضايا السلام مع العدو الصهيوني الغاصب، و يمكن أيضاً دراسة وثائق السجون لمعرفة اتجاهات الجرائم

الموجودة في السجن (تكراراتها وتنوعاتها نوعية المجرمين والضحايا...). نعتد تقنية تحليل المضمون في الدراسات المستقبلية لمعرفة توجهات القادة، أو الرأي العام، أو التوجهات السياسية.

13- مفهوم التبعية :

يعرّف دوس سانتوس التبعية بأنها: " حالة يكون فيها اقتصاد بلدان معينة مشروطاً بتطور وتوسع اقتصاد آخر يخضع له الأول، وتتخذ علاقات الاعتماد المتبادل بين اقتصادين أو أكثر، وبين هذه وبين العالم، شكل تبعية حين يكون بوسع بعض البلدان (المهيمنة) التوسع والتطور الذاتي، بينما لا تستطيع بلدان أخرى (التابعة) القيام بذلك"، وقد استخدم المفكر العربي سمير أمين: مصطلح المركز للدلالة على البلدان الرأسمالية المهيمنة، ومصطلح الأطراف (أو المحيط، الهامش، التخوم) للدلالة على بلدان العالم الثالث التابعة، باعتبار كل من المركز والأطراف يشكل منظومة ذات بنية متميزة، ولكنهما يشكلان معاً منظومة واحدة هي النظام الرأسمالي العالمي الذي لا يمكن فهم بنية أحد أجزائه أو وظيفتها إلا في إطار بنية النظام كله.

إن العامل الخارجي (الغزو الاستعماري) شكل بداية تكون منظومة الهيمنة - التبعية، غير أن بنية المجتمعات التابعة تغيرت وأعيد تكوينها بحيث صارت هي ذاتها عنصراً أساسياً مكوناً للتبعية ولإعادة إنتاجها، فإذا كان العامل الخارجي حاسماً في بداية تكون البنية التابعة فإن هذه البنية ذاتها (العامل الداخلي) صارت العامل الحاسم في استمرار التبعية. (القاموس العربي لعلم الاجتماع، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، تونس، 1991)

ولتحقيق التنمية المستقلة والخروج من حالة التبعية التي وضعت فيها الدول النامية يجب فك الارتباط مع الدول المهيمنة وتطوير الموارد البشرية والطبيعية لتحقيق التنمية المستقلة التي تضمن لهذه البلدان هويتها وكرامتها، وتفرض مستقبلها الآمن.

14- العالم الثالث :

انتشر استخدام مصطلح «العالم الثالث» في أعقاب مؤتمر باندونغ الذي عقد عام 1955، للدلالة على الكتلة الجديدة من الدول التي أعلنت **عدم الانحياز** لأحد المعسكرين المتصارعين: الرأسمالي والاشتراكي زمن الحرب الباردة بينهما (1945-1990)، ثم صار المصطلح يطلق على دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية التي تحررت حديثاً من الاستعمار مرادفاً لمصطلحات: البلدان المستعمرة سابقاً، البلدان المتخلفة، البلدان النامية...

الواقع الاجتماعي الاقتصادي الذي خلفه الاستعمار في هذه البلدان، وفي بلدان أمريكا اللاتينية التي استقلت قبلها المتجلى في: ضعف الصناعة وبدائيتها مقابل التطور الصناعي العاصف في البلدان المستعمرة، و الاعتماد على الزراعة التقليدية، وارتباط القسم الأكبر من القوى العاملة بالقطاع الزراعي، و انتشار الأمية وتدني مستوى المعارف العلمية... الخ، جعل بعض الباحثين يطلقون على هذه البلدان اسم «**البلدان المتخلفة**» أو «**المتخلفة اقتصادياً**» أو «**الأقل تطوراً**».

ومنذ أوائل الستينيات، عندما بدأ تنفيذ خطط التنمية الاجتماعية - الاقتصادية في معظم البلدان المذكورة شاعت تسمية «البلدان النامية» أو «السائرة في طريق النمو». (القاموس العربي لعلم الاجتماع، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، تونس، 1991)

إن الاستقطاب العالمي يجعل مهمة دول العالم الثالث في تحقيق التنمية المستقلة أكثر صعوبة، فلا بد لمنظومة العالم الثالث من فك الارتباط مع الدول المهيمنة وتحقيق الاستقلال والنمو دون الخضوع لشروط العالم الأول (الدول الرأسمالية) أو العالم الثاني (الدول الاشتراكية) وهذه الدول تميل إلى تحقيق ذلك مع انحلال الاستقطاب العالمي بعد 1991، لذلك ضعف استخدام هذا المفهوم في علم الاجتماع وفي الخيارات المستقبلية لتقسيم العالم.

15- استشراف المستقبل:

خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين تطور علم دراسة المستقبل، ليشمل مواضيع محددة المحتوى، وجدولاً زمنياً للعمل ومنهجاً علمياً يتحدث عن عالم اليوم والغد الذي يتسم بتغير متسارع.

علم المستقبلات أو «الدراسات المستقبلية» هو علم يختص بـ«المحتمل» و«الممكن» و«المفضل» من المستقبل، بجانب الأشياء ذات الاحتماليات القليلة لكن ذات التأثيرات الكبيرة، التي يمكن أن تصاحب حدوثها.

حتى مع الأحداث المتوقعة ذات الاحتماليات العالية، مثل: انخفاض تكاليف الاتصالات، أو تضخم الانترنت، أو زيادة نسبة شريحة المعمرين ببلاد معينة، فإنه توجد دائماً احتمالية «لا يقين» كبيرة، يجب ألا يستهان بها، لذلك فإن المفتاح الأساسي لاستشراف المستقبل هو تحديد عنصر «لا يقين» وتقليصه؛ لأنه يمثل مخاطرة علمية.

رابعاً - مبادئ الدراسات المستقبلية:

- 1- استخلاص عبرة من الماضي من خلال دراسة أهم التطورات على المستويين الدولي والإقليمي وما ينتج عنها من تأثيرات مثل: الفرص المتاحة، والقيود المفروضة أو التهديدات والمخاطر الناجمة، بهدف تحديد صورة مستقبلية.
- 2- تصور وضع مستقبلي، لعقدين أو ثلاثة عقود، لتحديد الأهداف والمصالح بالتفصيل، وذلك باستخدام النماذج الرياضية الحديثة.
- 3- تجنب أي انحياز إيديولوجي، والانطلاق من المسلمات والافتراضات المتفق عليها من مختلف اتجاهات البحث العلمي والفكري والتكنولوجي.
- 4- تعيين القدرات اللازمة لإنجاز أي مسار مستقبلي، وحساب النفقات اللازمة والمخاطر، وكذلك تحديد الآليات اللازمة للتنمية التي ينبغي أن تشمل أهدافاً معروفة علمياً، وتطوير الخبرات العلمية في مجال إدارة المشكلات المعقدة.

5- التركيز على عوامل التنمية في مختلف القطاعات.

6- اعتماد سيناريوهات مختلفة، معدة سلفاً، لجميع الحالات الطارئة المحتملة، تخزين لإتاحة استخدامها بعد ذلك من صانعي القرار، وفقاً لحجم الأزمة المستقبلية المحتملة.

وهدف الدراسات المستقبلية - كما يرى كريم أبو حلاوة - تحقيق مجموعة من الأهداف منها:

- 1- معرفة أبرز مظاهر التطور واحتمالاته المستقبلية.
- 2- قطع الطريق على الاحتمالات غير المرغوبة، وتشجيع تلك المرغوبة والمفضلة.
- 3- تقديم المشورة لصاحب القرار من خلال دراسة الخيارات المتاحة وانتقاء أفضلها.
- 4- المشاركة في صنع المصير وصياغة المستقبل، الأمر الذي ينطبق على الأفراد والدول والشعوب.

5- رسم سيناريوهات محتملة وتحضير البدائل في حالة كل سيناريو. (أبو حلاوة، 2009، 241 بتصرف)

نجد هذا العلم الحديث اعتمد على مصطلح (السيناريو) لرسم صورة متكاملة لاحتمالات المستقبل، وتحديد وجهة التغير المجتمعي.

خامساً- مجالات دراسة علم المستقبل:

إن مجالات دراسة علم المستقبل متعددة ومتشعبة وليست متخصصة بمجال معين لوجودها في العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية على حدٍ سواء، فالحركة المستقبلية لا تقتصر على جانب دون آخر، حتى إنها امتدت إلى الفن أيضاً، وقد رأت الجمعية العلمية للمستقبلات أن الدراسات المستقبلية تتضمن الجهود الفلسفية والفنية جنباً إلى جنب مع

الجهود العلمية، بالتالي فهي تتجاوز حدود العلم ومناهجه العلمية المعروفة لتشمل الفن والأدب. (طعمة، حافظ، 1988 - 81) تستخدم الدراسات المستقبلية في مجالات متعددة ترتبط بعلم من العلوم ، ومن أهم هذه المجالات:

- 1- النمو السكاني العالمي والغذاء والاقتصاد العالمي ومصادر الطاقة.
- 2- التلوث البيئي، الذي يرتبط بعلوم مختلفة منها: الطب والجغرافيا والبيئة وعلوم الجو والاقتصاد.. الخ.
- 3- السلام والصراع العالمي والحروب.
- 4- الاقتصاد، والعلاقات بين الدول الفقيرة والغنية، و التكتلات الاقتصادية العالمية والإقليمية، واتجاهات العولمة الاقتصادية.
- 5- علم الاجتماع، بما يشمله من ظواهر ومشكلات اجتماعية، كالتفكك، أو تشرذم القوى المجتمعية.
- 6- التكنولوجيا الجديدة والبناء المجتمعي.
- 7- اتجاهات قوة العمل مثل أنماط الإدارة الحديثة، والتوظيف والبطالة.
- 8- تغيير النماذج الثقافية.
- 9- اتجاهات التعليم والتعلم. (2018/11/15 www.aldiyarlondon.com)

سادساً - أسس علم المستقبل:

- 1- إدراك التحولات البنيوية في المجتمع.
- 2- تشكيل المناهج العلمية القادرة على معرفة هذه التحولات البنيوية في جوهرها ومضمونها، و في كليتها وجزئيتها، وفي تأثيراتها ومنعكساتها المختلفة.
- 3- تحديد الوسائل والأدوات القادرة على ضبط مسار هذه التحولات البنيوية وتحديد وظائفها المستقبلية.
- 4- تحديد البدائل والخيارات المحتملة أمام عملية التحول والتغيير في المجتمع.

- 5- الدراسة المستمرة للبدائل والخيارات الموضوعية ومقارنتها الدائمة وتكييفها المستمر مع الأهداف المستقبلية الموضوعية والوسائل والأدوات القادرة على تنفيذها.
- 6- إدراك العناصر ووعي الوسائل الجديدة التي تسهم في تحقيق الأهداف الموضوعية.
- 7- المتابعة المستمرة لتحديد الملامح العامة لصورة المستقبل بما ينسجم مع كم المعرفة العلمية المتوفرة عن الواقع القائم ونوعها.
- 8- الوعي: أي وعي الإنسان لواقعه وبيئته، ووعيه لذاته؛ أي: لقدراته وإمكاناته ورغباته وتطلعاته.
- 9- المعرفة هي: مجموعة المعارف والأفكار والرؤى القائمة في المجتمع، إنها نتاج لعملية تراكم تاريخية تتجسد فيها خبرات الإنسان.
- 10- التصور أو التخيل هو: إبداع أنماط ونماذج ومعطيات فكرية جديدة غير موجودة، يتخطى بها الواقع ومعطياته إلى المستقبل ومتطلباته، وهو - بوصفه عملية فكرية - نتاج وحسيلة لعدم التوافق بين الأشياء والمعطيات القائمة والأشياء والمعطيات المطلوبة.
- إن التخيل هو قدرة الإنسان - من خلال الوعي - على تركيب صور ذهنية غير موجودة، في منظومات فكرية جديدة ليس لها مثيل أو مشابه في الواقع الاجتماعي، إنه مقدمة لازمة وشرط ضروري لعملية التغيير الاجتماعي ولكل نشاط هادف يتحقق في المستقبل، وهو في الوقت نفسه يقوم بدور الموجه الذي ينظم مسيرة العمل الإنساني ويحدد مراحل المستقبلية.
- 11- امتلاك الإرادة : للإرادة الإنسانية دور أساسي في صياغة المستقبل وبنائه. والإرادة الإنسانية هي حشد قوى الإنسان وإمكاناته المعنوية كافة وتنظيمها واستخدامها الاستخدام الأمثل، وإرادة الإنسان متغيرة ومتطورة، وهي نابعة من الحاجات

القائمة والمطلوبة، ومهمة الإرادة الإنسانية التدخل النشط في الواقع القائم بهدف تحديد مسارات تغييره الحالية والمستقبلية.

سابعاً- السمات العامة لعلم المستقبل:

توجد مجموعة من السمات العامة يتّسم بها علم المستقبل، وفي الوقت ذاته تشكل عاملاً أساسياً في تطوره المستمر، وهذه السمات هي:

1- الانفتاح المستمر للتجربة: وهذا يعني البحث المستمر عن معلومات وأفكار جديدة. وكما يقول «جنك»: إن اقتحام الدماغ هو وسيلته المفضلة لاستكشاف المستقبل وريادته.

2- النظم الكونية أو النظرة الشاملة: ينطلق علم المستقبل من نظرة كونية شاملة تعتمد على الاستفادة من الخبرات النظرية والعملية المعممة في مجال الدراسة المستقبلية.

3- المنظور الزمني المديد: يتجه «علم المستقبل» نحو المدى الزمني البعيد للمستقبل، والمنظور المستقبلي للزمن ليس في اتجاه واحد: من الحاضر إلى المستقبل، بل هو في اتجاه ممتد متواصل من الحاضر إلى الماضي، ومن الحاضر إلى المستقبل؛ لأن الماضي يمد الإنسان بالمعطيات الكثيرة عن المستقبل.

4- الرغبة القوية في استمرارية التطور في المجتمع البشري: هذه الرغبة تنطلق من الاهتمام المستمر للعاملين بحقل المستقبلات بالإنسان، وهذا الاهتمام يتصف بالشمولية في المكان والامتداد في الزمان. فهم يهتمون بمستقبل الإنسان بشكل عام ومستقبل الإنسانية. والمستقبليون يصنعون المستقبل للأجيال القادمة.

5- حقيقة الاختيار: يقوم علم المستقبل على حرية الاختيار؛ أي: اختيار القرارات اللازمة والمناسبة لبناء المستقبل المرغوب. وكما قال الفيلسوف جان بول سارتر: «إن الإنسان «بوصفه صانعاً للمستقبل» يقرر من خلال أعماله ما يجب أن تكون عليه الإنسانية».

6- الاهتمام بالقيم: إن أي عمل جديد - أيًا كان مكانه وزمانه - يرتبط بحكم قيمة ما، أي: بفائدة وتحقيق هدف، والهدف العام أو القيمة العامة التي تربط بين العاملين في حقل علم المستقبل هي المستقبل الذي يحمل في طياته سعادة الإنسان ورفاهيته.

7- التفاؤل: إن عملية بناء المستقبل تنطلق من قاعدة وقانون عام، هو أن المستقبل أفضل من الحاضر، وبالتالي إن الإنسانية تحقق أهدافها في المستقبل. إن عالم المستقبل يجسد اهتمام الإنسان ووعيه لطبيعة وجوده العام ونوعية هذا الوجود في المجتمع من خلال رؤيته لوحدة الترابط في الزمن، وسعيه المستمر لفهم حركية التطور الاجتماعي. وبذلك يبرز «المستقبل» بؤرة الفعل الإنساني، وقيمة الماضي والحاضر لتشكيل المستقبل. (شدود، 2003، بتصرف)

ثامناً- السيناريو المستقبلي:

السيناريو المستقبلي هو أحد نتائج العلم الحديث، و يقوم أساساً على دراسة الجدوى، وهذا يعني السيطرة على الخطأ، وإمكانية استمراريتها، والوفاء بالتزاماتها المادية، وتوفير القيادة التقنية والتغلب على العقبات الخارجية التي قد توقف السيناريو في إحدى مراحلها، للوصول في نهاية المطاف إلى جدوى السيناريو، وإذا كان من المجدي أن يواصل أو يوقف.

السيناريو بشكل رئيسي هو منظومة كبيرة من البيانات المبرمجة والمخزنة التي يتم تحديثها باستمرار وفقاً للتغيرات في جميع الميادين.

1- صفات السيناريو:

- هو فرع رئيسي من علم المستقبل، وظيفته هي وصف مختلف الأحداث المحتملة وتحليل نتائجها.

- هو وصف لوضع مستقبلي وسبل إدارته.
- هو وصف لمستقبل محتمل، أكثر من كونه توقعات محتملة لمستقبل فعلي.
- السيناريو هو سلسلة من الافتراضات لأحداث مقبلة.
- صورة متناسقة لمستقبل محتمل.
- يعرف بأنه نظام عمل مبرمج للاستجابة إلى الأحداث والتطورات الرئيسية داخل إطار من التخطيط المستقبلي للدولة أو المؤسسة، وذلك بهدف تحقيق النجاح في المستقبل.
- التعريف العلمي المقترح للسيناريو هو: وصف لوضع مستقبلي ممكن أو مرغوب فيه. وتوضيح خصائص المسار أو المسارات التي تؤدي إليه، بدءاً من الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض.

2- خصائص السيناريو :

- كتابته تعتمد على إبداع وخيال فكري عميق.
- يستند إلى منهج علمي دقيق للحصول على الحقائق.
- يستند إلى أحداث رئيسية واقعية.
- يقوم على تحقيق أهداف وطنية أو سياسية أو عسكرية أو اقتصادية، أو الوصول إلى أقرب ما يمكن من هذه الأهداف.
- عدد السيناريوهات يمكن أن يكون من اثنين إلى أربعة.
- تتم صياغته بسرعة كبيرة في بيانات يستخدمها المتخصصون في المجالات المختلفة المتعلقة.
- يعتمد على حشد من العلماء والخبراء.

3- أقسام السيناريو :

ينقسم السيناريو إلى قسمين:

- **صنع الأزمة:** افتراض أزمة في الاقتصاد أو في الإدارة أو في حياة المجتمع وتحديد الأطراف الداخلة فيها.

هذا السيناريو يتسم بإجراءات إيجابية فاعلة، ويفرض مواقف محددة على قيادة الطرف الآخر التعامل معها، ومن خلال ذلك، ينفذ القرار.

- **مواجهة الأزمة:** تتمثل في إجراءات سلبية (دفاعية) وإيجابية (هجومية) بوصفها أنشطة للتعامل مع الأحداث الخارجية أو الداخلية، لتسخير الإمكانيات، و لتحديد الأسلوب، وتوظيف الأشخاص والمنظمات التي سوف تعالج مراحل الأزمة. هذا السيناريو لا بد منه للحفاظ على استمرارية الدولة والمؤسسات وسلامتها وعدم التعرض لصدمات قوية.

هذا السيناريو يشمل جميع القطاعات الأخرى مثل: دراسات الجدوى الاقتصادية، والاستجابة لحدث سياسي. ويمكن فهم الطريقة التي تمكن من تحويل الأزمة من سلبية إلى إيجابية، وتحقيق الهدف المستقبلي المقترح.

4- فوائد السيناريوهات:

أ (تعزيز القدرة التكيفية من خلال التنبه المسبق لما قد يتداعى نتيجة ظاهرة معينة، أي أن السيناريو يساعد على التفكير في التخلي أو المواصلة في مسار معين من خلال تصور التداعيات.

ب (يُضعف السيناريو من درجة التصاقنا بالماضي وتأثيره فينا، إذ ينبهنا السيناريو إلى أن المستقبل ليس تكراراً للماضي، بل له قوانينه واحتمالاته التي قد تكون مختلفة تماماً أو نوعاً ما، وربما تكون متطابقة أحياناً ومتنافرة أحياناً أخرى.

5- خطوات تنفيذ السيناريو :

(1) سرد الموضوعات التي يحتمل أن تبرز مستقبلاً (ويتم ذلك بواسطة الخبراء من خلال التقنيات الأخرى كتقنية دلفى أو غيرها)، ولا يجري هنا سرد اتجاهات Trends بل أحداث Events محتملة الوقوع فقط.

(2) نحدد مؤشراً موضوعياً لكل موضوع من الموضوعات التي أشرنا لها في النقطة السابقة (مثلاً لو كنا نبحث ظاهرة سياسية يمكن اعتبار انتشار الأسلحة النووية مؤشراً إلى تزايد المخاطر العسكرية).

(3) تطوير التنبؤات الخاصة بكل مؤشر من المؤشرات السابقة (ففي المثال السابق عن الأسلحة النووية يمكن أن نقول إنه في سنة كذا يرتفع عدد الدول النووية إلى كذا)، ويتم ذلك باستخدام التقنيات الأخرى المناسبة.

(4) تقييم احتمالات حدوث كل تنبؤ من ناحية، وتقييم الآثار المترتبة عليه من ناحية أخرى.

(5) دراسة أثر كل حدث من الأحداث التي أشرنا إليها سابقاً على المؤشرات الموضوعية من حيث تعزيز احتمالات تحقق التنبؤ المرغوب أو عرقلتها.

(6) تحديد السياسات لتغيير احتمالية كل حدث من الأحداث الرئيسية المتوقعة وتأثيره وتقويمه.

(7) تقويم السياسات وترتيبها طبقاً لفاعليتها في تحقيق السيناريو المرغوب.

(8) تنفيذ السياسة التي تحقق الهدف المرغوب. (عبد الحى، 2007، 28، باختصار).

الحقيقة أن السيناريو الذي أخذ من الفن السينمائي لشرح حالة البشر وتخليها في ظروف خاصة، أصبح يحقق غايات العلماء في تصور وضع مستقبلي علمي محتمل، وتحديد سبل التعامل مع هذا الوضع.

تاسعاً- قضية (ماذا لو . . .) في علم الاجتماع:

ترتبط بفكرة السيناريو في علم اجتماع المستقبل افتراضات تصور ما كان يمكن أن يحدث في الماضي من خلال اختلاق سيناريو محتمل لتطور الأحداث ضمن شروط مختلفة للماضي، وترتبط بذلك قضية (ماذا لو...) لافتراضات تغير الأحداث في الحاضر، بتغير بعض معطيات الماضي وشروط الأحداث الماضية، وهي قضية معرفة ماذا يمكن أن يحدث لو تغيرت محددات الأحداث التاريخية الماضية، لذلك (قضية ماذا لو...) يمكن أن تنطبق على أحداث في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل.

تعرب الأداة «ماذا» اسم استفهام لغير العاقل، وتعرف لو: حرف شرط في الماضي غير جازم وتسمى حرف (امتناع لامتناع) أي أن جوابها ممتنع لامتناع شرطها ومثالها (لو درست لنجحت)، تعني هذه العبارة أنك لم تدرس ولم تنجح! وللحرف «لو» حالات كثيرة منها أن يأتي للمستقبل، فحينها لا يفيد الامتناع، لكنها تبقى غير جازمة ولا عمل لها، مثل: (لو تأتي عندنا لأكرمناك)، فأنت لم تأت ولم نكرمك فكأن الأداة لما لم يحدث أصلاً...

1- قضية آدم ~~الكلمة~~:

جرت نقاشات متعددة حول قضية (ماذا لو...) وأثرها في تغير الأحداث منذ بدء البشرية وحتى يومنا هذا... فلو أن آدم لم يأكل التفاحة ماذا كان يمكن أن يحدث؟ ما مصير الجنس البشري لو أن آدم لم يأكل التفاحة؟ لبقينا حتى الآن في الجنة، لكن أكل التفاحة من قبل آدم له تفسيرات كثيرة عند المتكلمين، الذين يرون أن آدم اتبع إرادة عقله منقلباً على إرادة الله، وأن المعرفة والعقل كانت عنده أهم من الأوامر الإلهية، وهذا التفضيل للعقل له تبعات، هو يريد الاختيار بعقله رغم معرفته مخاطر ذلك.. وهو خيار

الإنسان، والفقهاء يرون أن خطيئة آدم كانت مقدرة له بمشيئة الله لإعمار الأرض،
وندخل بذلك في نظريتين من الإسلام:

أ - القدرية أو المعتزلة التي تقول بقدرية العبد على خلق أفعاله، وبالتالي فإن آدم قرر
بنفسه معصية الله، والأكل من التفاحة الأمر الذي أدى للخروج من الجنة.

ب - نظرية الجبرية والأشاعرة القائلة إن الله هو خالق أفعال العباد، بما يعني أن الخروج
من الجنة كان مقدراً على آدم، وأن ذلك تم بمشيئة الله عز وجل.

لقد رفض إبليس السجود لآدم لأنه يصر على التوحيد، ولأنه شديد الإخلاص
للذات الإلهية فلا يريد السجود إلا لله. وبالعودة لـ«لو» لو أراد الله لمشيئته أن تتم فلا راد
لمشيئة الله، لكن أمر السجود لإبليس لا يريد الله له أن يتحقق؛ لينزل الإنسان إلى
الأرض، ويعمرها.

2- حياة الرسول الكريم وأبناءؤه..

ماذا لو عاش الرسول الكريم (ص) حتى عمر الثمانين أو المئة ؟

المعروف أن الرسول عاش ثلاثة وستين عاماً، إذ ولد عام 570 م وتوفي في عام
632 م، بعد عشر سنوات من هجرته (ص) من مكة إلى المدينة المنورة، ومعروف أن
بداية تشكل الدولة الإسلامية كان في المدينة المنورة، أخذت الدولة الإسلامية مسارات
متعددة زمن الخلفاء الراشدين الذي امتد 40 سنة، لو حصل أن استمرت حياة الرسول
الكريم حتى المئة... لظهرت مشكلات الدولة الحادة على امتدادها الواسع: إدارة
الجيش... وإعفاء القادة... وتعيين الولاة وتوجيه الجيوش وتوزيع الغنائم واقتسام
الثروات.. وذلك كله كان مصدراً للخلافات المتعددة، واختلاف وجهات النظر واحتدام
المصالح الدنيوية... بعد الرسول الكريم (ص) الأمر الذي ظهر بقوة في زمن الخليفة

الثالث (عثمان بن عفان) وما بعده. نعتقد أن مدة الرسول الإضافية كانت ستخصص لبناء دولة واستيعاب القوميات المختلفة والاتجاهات الفكرية المختلفة... وتقرير حياة الملك والثروة واتساع الدولة.. لكن إعلان إتمام الرسالة (اليوم أكملت لكم دينكم...) (سورة المائدة، آية 3) قد تعني فيما تعنيه أن الرسول الكريم ليس من اختصاصه قضايا الحياة الدنيوية التي كانت شغل الخلفاء من بعده، وأن فحوى الرسالة المحمدية ديني لا دنيوي، الأمر الذي وصل إليه لاحقاً الشيخ علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) ليقول إن الرسالة دين سماوي أنزل على الرسول الكريم، ولا علاقة للإسلام بالملك والدولة والسياسة.. بكل تشعباتها التي يرى عبد الرازق أنها شأن دنيوي...

أطروحة الشيخ علي عبد الرازق أثارت غضب رجال الدين؛ لأنها تحصرهم في زاوية العبادة وأصول الدين، والحكم لغيرهم.. لرجال السياسة.. وأثارت غضب الملوك في مصر لأن هذه الأطروحة تخرب الدعائم التي يقوم عليها حكم البلاد، ويسوس بها الملك العباد، لأن الحاكم يستمد سلطته من الدين ومن الله ومن شرعية فقهية تقرر له بالولاية التي لا رأي للشعب فيها!!

ماذا لو ...

ماذا لو أنجب الرسول الكريم صبياً ذكراً، وخلف الرسول الكريم بعده... المعروف أن الرسول الكريم أنجب أربع بنات، وصبيين لم يعيش له أي منهما (أنجب من الذكور القاسم وإبراهيم وتوفيا رضيعين)

وفي بداية الدعوة غيره الكفار وأهل مكة بأنه أبت: أي لا خليفة له.

وجاء رد الله في وجوه الكافرين ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (سورة الكوثر، آية 3) وقد فسر ذلك بأن الخلافة الحقيقية هي خلافة الذكر، ودوام ذكر الرسول الكريم وصفاته وأخلاقه ورسائله الخالدة عبر الأجيال، هي الخلافة الحقيقية وهي استمرارية نهج الرسول

الكريم وليس خلافة الأولاد. وهذا صحيح، فأين ولادة صبي من ولادة أمة ملياربه تلهج بذكر الرسول الكريم ومناقبه وتصلي عليه.

لكن فكرة «ماذا لو...» تريد معرفة التغيرات التي كانت ستحصل للرسالة المحمدية، وللإسلام إجمالاً فيما لو ولد للرسول الكريم الذكر المنشود:

أ - هناك من يرى أن الحكمة من عدم إنجاب الذكور مقصودة للرسول الكريم؛ حتى يبقى الاختيار بعد النبي خارجاً عن الوراثة، معتمداً على الكفاءة والقدرة، واتفاق المسلمين، وهو أمر أصاب الدعوة بالكثير من المشكلات والمشاحنات والاقتتال الذي فت من عضد الدولة الراشدية الحديثة بعد الرسول الكريم.

ب- وجود خليفة شرعي هو ابن الرسول الكريم؛ كان سيثبت وراثة الملك إلى يوم الدين في أولاد الرسول وحفدته... وسيلغي نهائياً فكرة البيعة من تداول الحكم، باتفاق الناس بمشورتهم، أو بمشورة الثقات منهم.

ج- الرسول نبي مرسل ويحمل رسالة مقدسة في الإسلام، أما الخلفاء من بعده (أولاد الرسول الكريم وأحفاده) فهم بشر قد يخطئون وقد يصيبون.. أما أولاد النبي الكريم فهم يحملون قدسية جدهم؛ التي ستجعل من أخطاء الخلفاء تصل إلى الدين نفسه وهذا لا يجوز.. لذلك تجد أن عدم ولادة صبي ذكر للرسول الكريم قد يكون نعمة؛ لبقاء الدين نقياً.. بعيداً عن الصراعات الدنيوية المتصلة بمناصب الحكم (نعيمها وجحيمها...).

إن (طول حياة الرسول الكريم) أو (ولادة حياة ذكر للرسول الكريم) هي أقصى ما يتمناه المسلم ويرجوه. لكننا من التحليل السابق وجدنا أن لهذين الأمرين سلبيات وإيجابيات لا تعد ولا تحصى، لأنها ترتبط بمآلات الدين الخفيف ومآلات المنطقة والعرب والعالم... مما يدلنا على خطورة الأداة (لو...) وجسامة تغير القدر على حياة البشر.

3- ماذا لو اعتقل لينين عام 1917 ؟

هذه القضية سياسية وتاريخية، لكنها من القضايا الأساسية في علم الاجتماع لأنها تفرق بين مدرستين في علم الاجتماع هما المدرسة الماركسية، ومدرسة فيبر في فهم الحياة الاجتماعية.

إن قضية (ماذا لو...) ترتبط بتفسير المفكر الاجتماعي للحياة الاجتماعية والفكرية وموقفه من الكون والتراتب التاريخي للأحداث. ويتجلى ذلك بقوة في علم الاجتماع في القضية التي تقول: (ماذا لو اعتقل لينين عام 1917؟) حين اجتاز الحدود البروسية - الروسية متكرراً، وكانت السلطات الروسية تبحث عنه، وصورته معمرة على نقاط التفتيش، وإن اعتقاله كان سيؤدي إلى حلين لا ثالث لهما: إما الإعدام بوصفه عدواً لدولة روسيا وعدواً للحكومة البرجوازية، وإما نفيه إلى سيبيريا ومنعه من أي نشاط سياسي في بطرسبورغ أو بتروغراد أو في موسكو... حينها كان أمر نفيه أو قتله واضحاً لدى السلطات الحاكمة في روسيا (الحكومة البرجوازية المؤقتة).

نشرت الحكومة المؤقتة في روسيا قوائم سوداء بأسماء المطلوبين من البلاشفة كان على رأسها اسم لينين، لكن لينين عبر الحدود إلى بتروغراد يوم 16 نيسان 1917 أي: قبل أشهر من قيام الثورة البلشفية التي قادها لينين يوم 25 أكتوبر/تشرين الأول 1917، واستطاع لينين التحضير للثورة ورسم خطواتها وقيادة الجماهير الغاضبة بخطبه التي فضحت البرجوازية والاستغلال، وكتب وأعلن بيان انتصار الثورة وتحقيق الاشتراكية على كامل روسيا ثم الاتحاد السوفييتي بما عرف لاحقاً بالثورة البلشفية 1917.

السؤال هو: (ماذا لو اعتقل لينين يوم 16 نيسان 1917، هل كانت الثورة ستقوم بعد ذلك؟) والإجابة عن هذا السؤال تأتي من موقفين نظريين في علم الاجتماع ومدرستين من مدارس علم الاجتماع:

أولاً - المدرسة الماركسية ترى بأن الثورة كانت حتماً ستقوم حتى لو اعتقل لينين؛ لأن الثورة الاشتراكية العلمية لا ترتبط بشخصية لينين تحديداً، ولأن الثورة هي أحقية الطبقة العاملة في تحقيق سلطتها في المجتمع، هذه حتمية في الماركسية وفي المادية التاريخية؛ وصولاً إلى سلطة الطبقة العاملة (ديكتاتورية البروليتاريا) المرحلة الخامسة من تاريخ البشرية الماركسي: (المشاعية ثم العبودية ثم الإقطاعية ثم الرأسمالية ثم الاشتراكية)؛ لأن قيام الاشتراكية ووصول العمال إلى السلطة يخضع لقوانين الاشتراكية العلمية، التي لا ترتبط بإرادة فردية، وإنما بقوانين الصراع الطبقي وحركة التاريخ (حسب ماركس).

ثانياً - مدرسة فيبر: ترى أن تحقيق الثورة الروسية واستيلاء الطبقة العاملة على السلطة يرتبط تحديداً بشخصيته وكارزما فلاديمير إيليتش لينين وقدرته على التأثير في مجريات الأحداث وقيادة الطبقة العاملة نحو الاستيلاء على الحكم، وعليه لو اعتقل لينين يوم 16 نيسان 1917 برأي فيبر لما قامت ثورة أكتوبر 1917، ولما تحقق شيء من سلطة الطبقة العاملة؛ لأن أفعال التغير الاجتماعي فردية ترتبط بكارزما لينين أو نابليون أو روبسبير... (حسب فيبر)

لذلك فقضية (ماذا لو...) ترتبط في علم الاجتماع بنظريات تفسير التغير الاجتماعي عند فلاسفة التاريخ: (ابن خلدون وكونت وماركس وفيبر وبارسونز...) كل حسب تفسيره ورؤيته للتغير التاريخي المجتمعي.

4- ماذا لو لم يتجه هتلر شرقاً...؟

يضع المؤرخون مسوغات منطقية لصعود نجم هتلر واستيلائه على قلوب كامل ألمانيا بعد عام 1933، ويرون بأن ذلك يعبر عن استياء الشعب الألماني من ظروف الحرب العالمية الأولى 1914-1918 والخسارة الألمانية في الحروب السابقة، وشعور الشعب الألماني بأحقية في قيادة أوروبا. هذا ما غذاه هتلر بتهييج الشعب الألماني واستثارة

فئات الألمان على الأعداء في أوروبا وفي العالم، وتعزيز النزعة الاستعمارية والنازية؛ بأن الألمان هم سادة العالم (الألماني أعلى من البشر)، والألماني من حقه الاستيلاء على خيرات العالم، بذلك استطاع هتلر تسيير الجيوش نحو الغرب بتفوق واضح، و تسخير قدراته العسكرية لتأكيد تفوق العرق النازي الألماني، فاحتل فرنسا ورفع شعارات النازية فوق برج إيفل في باريس، وكانت الخطوة الثانية هي احتلال إنكلترا، ورفع أعلام النازية فوق ساعة بيغ بن في لندن، لكن فجأة عام 1941 قرر التوجه نحو الشرق للقضاء على الاتحاد السوفيتي والانتصار على الحزب الشيوعي السوفيتي، هذا القرار من هتلر يعبر عن تقديرات غير صائبة بسبب الظروف الجغرافية والبيئية، ووعورة المسلك والقتال في ظروف شتاء 1941 واستمرار القتال طويلاً إلى عام 1944، إلى لحظة انكسار الجيش السادس الألماني، ثم تقهقرت بعد ذلك جميع الجيوش الألمانية مخلفة ملايين الضحايا من الطرفين. لو اتجه هتلر غرباً في أوروبا لقضى على إنكلترا وانتصر على أمريكا، ولتغير وجه الكرة الأرضية تماماً، وتغيرت معطيات الحرب العالمية الثانية؛ خاصة بتحييد مشاركة الاتحاد السوفيتي وفق الاتفاقية التي عقدت بين ألمانيا النازية والاتحاد السوفيتي: بين هتلر وستالين، و هي معاهدة صداقة وقعت قبل بداية الحرب العالمية الثانية عام 1939 ومهرت بالدم للصداقة والتعاون بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي. كانت غاية هتلر من التوجه شرقاً وفق بعض التحليلات الحصول على إمدادات البترول من القوقاز، وكان توجه الألمان شرقاً بهدف السيطرة على إمدادات النفط السوفيتي خطأً استراتيجياً، ليصبح هذا التوجه نهاية طموحات هتلر التوسعية.

ترتبط قضية (ماذا لو..) بالدراسات المستقبلية رغم أنها تتناول تغير الأحداث في الماضي؛ لأن الدراسات المستقبلية تعتمد بقوة على مسار الأحداث من الماضي مروراً بالحاضر نحو المستقبل، وكل تغير في أحداث الماضي يستلزم تغيراً مستقبلياً لتطور

الأحداث؛ إن شكل القارة الأوروبية كان يمكن أن يتغير كلياً لو اتجهت جيوش ألمانيا نحو إنكلترا في عام 1941 ولأثر ذلك حتى في مجريات علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بأوروبا وبالعالم، ولتغيرت قارة آسيا وقارة أفريقيا؛ لأن انتصارات ألمانيا في شمال أفريقيا كانت تهدف أيضاً إلى وصول ألمانيا إلى منابع النفط حتى إيران، وكان سيتبع ذلك انتصار اليابان (حليفة ألمانيا) على أمريكا والصين... ولكانت دول المحور استولت على مستعمرات فرنسا وإنكلترا في مصر وشمال أفريقيا وبلاد الشام وآسيا... فعلاً لو لم يتجه هتلر شرقاً لمجابهة الاتحاد السوفيتي لتغير وجه العالم...

ويدخل في هذا الحوار حول (ماذا لو...) للحرب العالمية الثانية: وضع الصهيونية!! هل كانت الصهيونية ستتجاوز عداء النازية لليهود ومحركة اليهود المزعومة في ألمانيا؛ لتخطب ود هتلر الزعيم الجديد للعالم؛ طمعاً في تحقيق حلم الصهاينة بالأرض الموعودة... بالاستيلاء على فلسطين العربية؟ تصورنا : نعم.

لقد استغلت الصهيونية مجريات الحرب العالمية الأولى 1914-1918 ودعمت إنكلترا لتحصل على وعد بلفور 1917 (وعد من لا يملك لمن لا يستحق) بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين برعاية إنكلترا وتسهيلاتها في فلسطين (حتى إن وعد بلفور قد دخل في بنود صك الانتداب)، وجعلت الصهيونية العالم الغربي يتبنى وعد بلفور ويعمل على تحقيقه بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية، ثم نقلت الصهيونية مركز ثقلها إلى أمريكا مع مجريات الحرب العالمية الثانية 1939-1945، وعقدت مؤتمراتها في أمريكا لدعم هجرة اليهود إلى فلسطين. ونعتقد أن الصهيونية كانت ستفعل نفس الشيء مع ألمانيا لو انتصر هتلر!! لأن الأهم عند الكيان الصهيوني الغاصب هو تحقيق أطماع الصهاينة في احتلال أرض فلسطين وتشريد شعبها بكل الوسائل، للحصول على أرض فلسطين، وهي ليست من حقهم إنما من حق العرب الفلسطينيين

الذين عاشوا عليها آلاف السنين. نعتقد أن العرب لو اتحدت قواهم وحقت دولهم وحدتها وتنميتها فسيعيش الفلسطينيون في فلسطين آلاف السنين القادمة.

5- ماذا لو لم تحصل الحرب على سورية عام 2011 وما بعدها؟

قد يكون هذا السؤال بالنسبة لنا- أبناء سورية- من أصعب الأسئلة وأمرها على أكباد السوريين الذين عانوا ويلات الحرب والدمار من 2011 - 2019 في سورية والاعتداءات والاختراقات من جهات دولية وإقليمية ومحلية على كامل الأرض السورية، في الوقت الذي كانت فيه سورية في العشر سنوات السابقة للحرب تحقق تقدماً ملموساً تنموياً على مختلف المستويات، وهذا ما يوضحه المفكر الاقتصادي حيان سلمان في الكتاب الذي يشرح كيف واجهت سورية الحرب الكونية عليها:

انطلقت مسيرة التحديث والتطوير ونهجها من ضرورة تحسين المؤشرات الاقتصادية الأربعة التالية، وهي: [زيادة معدل النمو الاقتصادي، وقيمة الناتج المحلي الإجمالي، ومتوسط دخل الفرد، وتقليل معدل البطالة والتضخم]، وتم التركيز على ذلك في الخطتين الخمسيتين: التاسعة والعاشر للمدة الواقعة بين عام 2001 إلى عام 2010، والهدف هو زيادة قوة سورية والمواطن السوري، وتحسين مستوى معيشته، وترسيخ الاستقرار الاقتصادي، وانطلاقاً من هذا وجهت كل الفعاليات الاقتصادية لتحقيق ذلك، وتحققت نتائج كبيرة، كانت مقدمة ومدخلاً لتحقيق تنمية عامة شاملة لولا الحرب والحصار والعقوبات الاقتصادية الجائرة المفروضة على سورية من طرف واحد والمخالفة للشرعية الدولية وقوانين الأمم المتحدة، ويمكن أن نتلمس ذلك من خلال المقارنة بين عامي 2001 و 2010 في الجدول التالي رقم 1/:

جدول رقم 1/ مؤشرات رؤوس المربع الاقتصادي

المؤشر / السنة	2001	2010	معدل النمو
الناتج المحلي الإجمالي بأسعار السوق الثابتة/مليار ل.س/	935	1470	+57%
معدل النمو الاقتصادي	5.3%	3.5%	---
نصيب الفرد من الناتج/ليرة سورية/	56687	71279	+26%
معدل البطالة	11.2	8.3%	---
معدل التضخم	9.8%	7.2%	---

ومن خلال تحليل الجدول السالف يتبين لنا أن قيمة الناتج المحلي الإجمالي الذي يعتبر بمنزلة (الكعكة الاقتصادية المجتمعية) لأنها ستتوزع على كل المكونات المجتمعية قد زادت بمعدل 57% خلال عشر سنوات، أي بمعدل وسطي قدره 5.7%/ سنوياً، وذلك بسبب ارتفاع معدل النمو الاقتصادي خلال الفترة المدروسة. (الطار، 2018، 665).

وتشير المعطيات الإحصائية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين إلى أن سورية كانت دولة ناجحة في الصناعة وفي الزراعة وفي الاستفادة من خيراتها ومن أعداد الموارد البشرية بتقديرات الأمم المتحدة. معدل البطالة عام 2004 كان 12.4%، وكانت سورية مكتفية ذاتياً وتصدر الفائض عنها من الحبوب والعديد من المواد الزراعية، ومكتفية بنسبة 90% من الأدوية، وتصدر عدة أنواع من الأدوية إلى أوروبا، وانتشرت المدن الصناعية في المحافظات السورية. نسبة الأمية عام 2004 كانت 19% أصبحت عام 2011 في سورية 15.9%، استوعبت المدارس عموماً جميع تلاميذ التعليم الأساسي من

6-11 سنة بحيث وصلت نسبة التسرب إلى أدنى مستوياتها 1.1% عام 2009.
(مؤشرات الهيئة السورية لشؤون الأسرة والسكان، 2014).

وكان يمكن أن تنهض سورية إلى مستوى النمر الآسيوي، وتتقدم جميع الدول العربية في التصنيع وإعداد الكوادر البشرية «لو» لم تكسر الحرب الظالمية التي شنت على سورية من الحلم السوري بتحقيق التنمية الشاملة وتحقيق استقرار سكاني (تحقيق النافذة السكانية لقدرة القوى العاملة على التوازن مع متطلبات الفئات العمرية غير العاملة) علماء السكان يسمونها الهبة الديمغرافية، وهي هبة تحقق للمجتمع الاستفادة من قواه العاملة وتحقيق فزة تنموية، لو لا أن هبت رياح الحرب على أبناء سورية فحرق الأخصر واليابس.

أثرت الحرب في البنية التحتية للصناعة والتجارة والسياحة، والأهم في التعليم وإعداد الموارد البشرية المهمة لعملية التنمية ولإعمار سورية.

الحاجة ملحة اليوم إلى 400 مليار دولار (غير متوفرة) لنهضة سورية في جميع المجالات. لكن الأمل كبير ومعطيات الواقع تدل على أن كل دولة تصاب بنكبة الحرب، وويلات الحرب تستطيع النهوض إذا تشكلت الإرادة الوطنية النزينة العادلة، واليد النظيفة، والتوجهات الصحيحة لتحقيق التنمية. في العالم أمثلة كثيرة لدول تدمرت بشكل كامل كما حصل في ألمانيا عام 1945 واليوم هي أكبر قوة صناعية في العالم.

6- (ماذا لو ...) في العلم، (عبقريّة آينشتين العلمية نموذجاً):

ترتبط بفرض (ماذا لو...) تغيرات الأحداث العلمية بتغير المعطيات الأولية لها، من ذلك مجريات حياة آينشتين (1879-1955)، فلقد كان حقد هتلر والنظام النازي على اليهود سبباً في هجرة أغلب العلماء اليهود من ألمانيا، وآينشتين منهم، فانتقل إلى سويسرا، ثم طلب فيزا إلى أمريكا، رفضت بداية وبعد مشاورات ووسطاء عرفت أمريكا قيمة

آينشتين وحصل على الفيزياء، و أعطى ميزات خاصة بعد تقدير أهميته العلمية العالية، وأعطى الجنسية الأمريكية، ثم صنعت أول قنبلة ذرية في أمريكا وألقيت على اليابان عام 1945. آينشتين كان رافضاً للحرب، وفي سيرة حياته يقول إنه لم يصنع القنبلة الذرية، لكن إجماع العلماء هو أن نظريته ومعادلاته هي التي مهدت لصنع القنبلة الذرية في أمريكا. ماذا لو بقي آينشتين وبقية العلماء اليهود في ألمانيا؟ هل كانت ألمانيا ستسبق غيرها في إنتاج القنبلة الذرية؟ وهي قنبلة كانت ستغير شكل الحرب العالمية الثانية ونتائجها فعلاً.

خطوة هتلر بطرد شخصية علمية عالية مثل آينشتاين، وانتقال آينشتين من ألمانيا إلى أمريكا دليل حاسم على أن قرارات القائد العام الزعيم، وتصرفاته قد تكون بداية تغير مصير أمة بأسرها، وهذا التوجه في علم الاجتماع أميل لنظرية ماكس فيبر في دور القائد الكاريزمي في التاريخ.

7- (ماذا لو .) في الأدب (المبدع والعمل الأدبي) :

أ- في حياة المبدع:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي	وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها	ويسهر الخلق جراها ويختصم
الخيال والليل والبيداء تعرفني	والسيف والرمح والقرطاس والقلم
	شاعر العرب أبو الطيب المتنبي

تتمثل قضية (ماذا لو..) بقوة في حياة شاعر العرب الأول أبي الطيب المتنبي ومصيره (ولد 915م، توفي 965م): لقد طلب المتنبي الولاية من سيف الدولة الحمداني فلم يجبه، وطلب الولاية من كافور الإخشيدي في مصر فلم يجبه، فخرج حائقاً من مصر إلى بلاد الشام.. (لو ولاه الإخشيدي على ولاية في مصر، ماذا كان سيحصل؟).



شاعر العرب أبو الطيب المتنبي 915-965م

مما قاله كافور عن المتنبي إنه كان ابن سقاء يبيع الماء بالكوفة معدماً، فادعى النبوة، ولو وليناه إمارة أو عملاً من أعمال مصر، فلا نعرف ماذا يمكن أن يدعي! في رحلة مشؤومة بين بغداد والكوفة اعترض سبيل المتنبي، أو كمن له فاتك بن أبي جهل الأسدي وهو خال ضبة بن يزيد العوني الذي سبق أن هجاه المتنبي فحقده عليه (لو لم يكن قد هجاه!) وقيل عن هذه الحادثة إن المتنبي كان قد أوشك على الهرب (وكان قادراً على ذلك)، فقال له غلامه مفلح: أتهرب وأنت القائل:

الخيال والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرجع المتنبي وقاتل فاتك، وكانت النتيجة أن قتل المتنبي وابنه محسّد وغلامه مفلح بالقرب من ذي العاقول غرب بغداد. (عطا الله، 1985، 276).

مات المتنبي عن عمر 49 عاماً وهو أشعر العرب، ولو أكمل حياته لوصلنا الكثير مما يعدّ أجمل ما قالت العرب في الشعر والحكمة والأدب والفخر والمديح.

مصير المتنبي يشبه كثيراً مصير شاعر روسيا وأديبها الأول والأعظم الكسندر بوشكين (1799-1837م) فقد مات أيضاً في مبارزة مشؤومة دفاعاً عن الشرف (الأصل

تعرض بوشكين لكلمات قيلت في زوجته). توفي عبقري اللغة الروسية عن عمر 38 سنة في هذه المباراة، وقدم في عمره القصير ما لم يقدمه أي شاعر روسي قبله أو بعده لروسيا. فماذا لو وصل بوشكين إلى الثمانين من العمر؟ أي غنى كانت ستحصل عليه روسيا والعالم لو عُمَرَ بوشكين؟ في الوقت الذي يتجاوز ملايين البشر السبعين من العمر وحصيلة ما قدموه لخير البشرية: صفر؛ وبعضهم أرجع البشرية خطوات إلى الوراء بشروعه وإساءاته وهمجيته وحروبه كما فعل تيمورلنك وهتلر وغولدا مائير..

ب- في شخصيات العمل الأدبي:

يطرح النقاد الكثير من الملاحظات حول حياة الشخصيات الأدبية، و الطريقة التي رسمها المؤلف لحيوات أبطال الرواية أو المسرحية.

لو أجرى شكسبير تبادلاً بين شخصية عطيل وشخصية هاملت في المسرحيتين اللتين تحملان نفس الاسم: لهجم عطيل على عمه وقتله بضربة سيف واحدة، ولبقي هاملت متردداً حائراً بين دسيسة «ياغو» الكاذب وإشفاقه على عشيقته «ديدمونة»، ولن يقدم على قتلها أبداً.

لو أجرينا تبادلاً في شخصيات مسرحية شكسبير (هاملت) مع مسرحية (عطيل) لفقدت المسرحيتان معناهما، وانتهت الحكمة والمأساة في قضية المسرحيتين..

إن (لو..) تنصب على فهم النقاد لشخصية «عطيل» المحارب القوي، العنيف البسيط الذي يصدق كل وشاية بسهولة، ويشق بمن لا يوثق به، وعلى فهم النقاد لشخصية «هاملت» المترددة كثيرة الارتياب والشك والرغبة بالتحقق والتثبت مما يسمع، وهناك تحليلات نفسية لتردد هاملت.

(لو...) في الأدب افتراضية، خيالية مطبقة على قصة هي أصلاً افتراضية وخيالية، لكنها تفيد التحليل في فهم أبعاد المسرحية والشخصيات، ومآلات النص المكتوب الإبداعي فيما لو تغيرت مسارات الشخصيات.

8- فرضية (ماذا لو...) للمستقبل؟

يضع العلماء فرضيات متعددة لمستقبل العالم، تعلّم الناس كيف يمكن التصرف في حال حصلت مفاجآت عامة نافعة أو ضارة!! والأمثلة على الافتراضات المستقبلية باستخدام «لو» كثيرة في القرآن الكريم ﴿لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ (سورة الكهف، الآية 109).

وفي الآخرة لا تريد النفس ما عملت من سوء ﴿تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ (سورة آل عمران، الآية 30).

ولا يريد المجرم قبول الموت لأنه يعرف ما سيواجه بعد الموت ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (سورة البقرة، الآية 96). وكلها آيات تدل على أن «لو...» في القرآن الكريم ترتبط بالمستحيلات التي لا يمكن أن تتحقق، أما في الدراسات المستقبلية فإن فرضية «لو...» المستقبلية تتحدث عن الممكن والمقدر بناء على معرفتنا بالماضي المعيش. والغاية من هذه النظرية هي تنبيه الناس وتحذيرهم للتعرف الى الفعل الأنسب الذي ينبغي لهم أن يفعلوه لو تعرضوا لأمر معين (بغض النظر عن ماهية هذا الأمر): فلو ربحت مليار ليرة سورية ماذا تفعل؟ وإذا حصل زلزال في المكان الذي أنت فيه ماذا تفعل؟ لقد طرحت هذا السؤال (المأمول والمرفوض) أكثر من مرة على الطلبة واكتشفت أن رد فعل الطالب على السؤال الأول: (يا ريت...) وعلى السؤال الثاني (لا سمح الله...) والحقيقة أن هذه الإجابات غير مناسبة، ولن تفيد شيئاً عندما يقع ما هو مقدر، كثير من الأفراد فقدوا عقولهم عندما ربحوا مبالغ طائلة، أو تصرفوا بطريقة اعتباطية أو متهورّة، حيث إنهم إما فقدوا المبلغ أو فقدوا حياتهم. والكثير من الأفراد لا يعرفون تماماً ما يجب فعله إذا ضربت هزة أرضية مكان وجودهم، والكثير فقدوا حياتهم من التدافع للخروج من المبنى، أو فقدوا حياتهم محشورين في مصعد ضيق!!! فماذا تفعل لو حدث زلزال في المكان الذي أنت فيه؟ كيف تتصرف؟

المهم في دراسات علم اجتماع المستقبل أن فرضية (ماذا لو...) المستقبلية تقدم مجموعة من الاحتمالات لواقع يمكن أن يحدث، وتقدم للأفراد والجماعات سبل العمل والتصرف مع الوضع الجديد المفترض؛ الذي يقتضي تصرفات جديدة قد تكون في غاية الأهمية لفائدتك ولحيطتك ولأسرتك وأحياناً كثيرة لحياتك.

إن كل الملاحظات والتعليقات والتنبيهات التي تضجر الأبناء والتي ينقلها الآباء لهم؛ ما هي إلا خطط عمل تعلمها الآباء من تجاربهم ومن آباءهم، وينقلها الآباء لأولادهم لتجنب مخاطر الطريق الطويل، ومطباته التي خبروها وعانوها، ولا يريدون لمن يحبون الوقوع فيها.



الفصل الثاني (دراسة المستقبل في العلوم الاجتماعية)

- أولاً: علمية علم اجتماع المستقبل.
- ثانياً: علاقة علم اجتماع المستقبل بالتاريخ.
- ثالثاً: علاقة علم اجتماع المستقبل بعلم الاقتصاد.
- رابعاً: علاقة علم اجتماع المستقبل بعلم السياسة.
- خامساً: علاقة الدين الإسلامي بالمستقبل.
- سادساً: منهج الدراسات المستقبلية بين العلوم.



الفصل الثاني

دراسة المستقبل في العلوم الاجتماعية

لا يعيش كثيراً

مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على جبل فوجد شيخاً يعبد الله في الحر والبرد، فقال له: لو اتخذت بيتاً يقيك الحر والبرد، فقال: يا روح الله أخبرني الأنبياء قبلك أنني لا أعيش أكثر من سبعمئة عام، فلم يختار عقلي أن أشتغل بالعمارة عن طاعة ربي. فقال عيسى عليه السلام: يأتي في آخر الزمان أمة لا تجاوز أعمارهم مئة عام بينون القصور.

نزهة المجالس

أولاً- علمية علم اجتماع المستقبل:

إن إثبات علمية علم اجتماع المستقبل ترتبط بمعرفة كيف يدرس المستقبل الظاهرة الاجتماعية بالفارق عن الظاهرة الطبيعية، وكذلك منهجية دراسة مستقبل الظواهر الاجتماعية، وتلك الإشكالية تتباين بخصوصها الكتابات: يرى **المهدي المنجرة** أن علم المستقبل ليس بعلم وإن استعان بمنهجيات بعض العلوم الدقيقة والاجتماعية، ويتفق معه في ذلك **أحمد صدقي الدجاني** حيث يرى أن الدراسات المستقبلية- وإن لم تكن علماً بمفهوم العلم التجريبي- تحاول اعتماد مناهج علمية تنأى بها عن التنبؤ.

ويرى **محمود زايد** نقلاً عن «**أوسيب فليختهايم**» أن «علم» المستقبل ليس من العلوم كالرياضيات، وإنما هو كعلم الاجتماع الذي يقوم على نوع من المعارف الدقيقة عن الإنسان وعالمه.

ضمن الاتجاه الذي يرى الدراسات المستقبلية علماً يرى **ماجد فخري** أنها علم استناداً إلى أن لها موضوعاً محدداً (وهو الكائن الممكن أي الذي لم يوجد بعد، ولكنه قابل للوجود في الزمان المستقبلي)، ومنهجاً (التجربة والاختبار من خلال خبرة الأجيال الماضية، الاستدلال والاستقراء، والتعميم) الأمر الذي يؤدي إلى الخروج بأحكام عامة متماسكة منطقياً، وإلى آخر ذلك من اتجاهات تتأرجح بين اعتبار أن المستقبل «علم» أو اعتباره «فلسفة»، أو اعتباره «فنّاً»، واتجاهات تسكنه ضمن علم التاريخ أو ضمن علم اجتماع التاريخ.. الخ.

في هذه الإشكالية يتناول **هاني محمد خلاف** موقع المستقبلية في بنيان المعرفة، فيقرر أنها لا تمثل علماً مستقلاً، لأن موضوع المعرفة فيها غير محدد (قد تتناول ظواهر اجتماعية، وقد تتناول ظواهر طبيعية)، كما أن فكرة الظاهرة التي تدرسها (المستقبل) غير موجودة بالأصل، ويرى أن هذا لا ينتقص من قيمة الدراسات المستقبلية في بنيان المعرفة، حيث إن المستقبلية يمكن أن تكون فلسفة ويمكن أن تكون منهجاً.

يمكن اعتبار علم اجتماع المستقبل أسلوباً لدراسة الظاهرة الاجتماعية، يأخذ في اعتباره الطبيعة البينية للدراسات المستقبلية واستخدامها في مجالات مختلفة (طبيعية أو اجتماعية)، الأمر الذي يفسر أيضاً عدم الاتفاق على مناهج محددة للدراسات المستقبلية، إذ إنها بالضرورة تعتمد في دراسة ظاهرة ما على مناهج الحقل الذي يهتم بتلك الظاهرة واقترباته.

لكن إذا كان الأمر كذلك فما الجديد الذي تقدمه الدراسات المستقبلية في علم الاجتماع؟ فكل حقل علمي يهدف من وراء تطوير نظرياته إلى الوصف والتفسير والتنبؤ بمسار الظاهرة في المستقبل، والظواهر الاجتماعية ومنها السياسة ليست استثناء من هذا الطموح، فلماذا تفرد أهمية خاصة للدراسات المستقبلية في علم الاجتماع؟

تأتي خصوصية الدراسات المستقبلية وأهميتها في موقفها من الزمن (لا من وجهة نظر فلسفية، ولكن من وجهة نظر منهجية) فعادة ما يعد الزمن متغيراً مستقلاً ويؤخذ بوصفه معطى، ولكن الدراسات المستقبلية تأخذ الزمن بصورة جدية، بوصفه إشكالية لا بوصفه معطى، وتنظر إليه على أنه متغير تابع للخبرة الإنسانية والحضارية.

هنا تأتي أهمية التفريق بين الدراسات المستقبلية ووظيفة التنبؤ في العلوم الاجتماعية، والذي عادة ما يثير أسئلة من قبيل: كيف نقيم نجاح الدراسات المستقبلية أو إخفاقها؟ وتتم الإجابة بالربط بين نجاح النظريات الاجتماعية في التنبؤ أو إخفاقها. فتقييم (وتقويم) نظرية ما يكون في مدى قدرتها على التفسير والفعالية والقدرة على التنبؤ، وترجع نتائج عملية التقييم تلك- في إطار تغذية استرجاعية- لتقويم النظرية (في إطار اختبار النظرية)، في ضوء مدى ملائمتها لدراسة الواقع.

أما الدراسات المستقبلية - ومنها علم اجتماع المستقبل - فإنها لا تهدف للتنبؤ، بل إلى فتح مجالات المستقبل من خلال تحليل افتراضي بالإجابة عن التساؤل: ماذا لو...؟ بالتالي فنجاح الدراسات المستقبلية أو فشلها لا يقيم بدقة التوقعات، وتحقق نبوءات، حيث إنها لا تهدف إلى كتابة تاريخ المستقبل، أو تاريخ المجتمع.

علم اجتماع المستقبل :

هو العلم الذي يدرس تطورات الحياة الاجتماعية، وتطور المجتمعات بطريقة علمية، وبواسطة قوانين التطور الاجتماعي، التي تعتمد على النظرية الاجتماعية في علم الاجتماع. و يرتبط علم اجتماع المستقبل بمنهجيات الدراسات المستقبلية وأدواتها الرياضية والإحصائية لفهم مستقبل الظواهر الاجتماعية في المجتمع.

- هل يمكن أن يكون علم اجتماع المستقبل و الدراسات المستقبلية لاستشراف المجتمع؛ امتداداً لدراسات أخرى موجودة في تراثنا العربي الإسلامي ؟

علم اجتماع المستقبل ليس جديداً في مواضيعه لفهم المجتمع ودراسة التطور الاجتماعي ، ففي تراثنا الثقافي والاجتماعي كانت هناك محاولات دائمة لفهم مستقبل المجتمع، وفهم أسباب التغير الاجتماعي، والتطلع نحو المستقبل بطرق متعددة، علمية وغير علمية. فقد حاول الفلاسفة والمفكرون عبر العصور المتعاقبة تقديم صورة للمجتمع المثالي الذي يطمحون إلى إقامته في مجتمعاتهم.

- نماذج مهمة ذات توجه مستقبلي في مصادرها التراثية :

نموذج اليوتوبيا (المدينة الفاضلة) وما يشابهها من اجتهادات فكرية تحاول المقارنة بين واقع اجتماعي موجود، واقتراح واقع بديل، و نموذج أدب النصيحة كنقد للواقع المعيش، ونموذج الأزمة: كشفها، ورؤيتها وكيفية الخروج منها، ونموذج التأصيل النظري للسنن في فكر ابن خلدون، وتأتي أهمية الإشارة لتلك النماذج في التراث العربي الإسلامي لا لذاتها ولكن تعبيراً عن العوامل التي أدت إلى ظهورها وانتشارها، فظهورها ليس مجرد تعبير عن النزوع الفطري للاهتمام بالمستقبل، ولكن تحكمه عوامل تعكس كيفية تعامل الإنسان مع واقعه، وفقاً لرؤية معينة للعالم، ولدوره ومسؤوليته فيه.

تلك العوامل يربطها **سيف الدين عبد الفتاح** بثقافة «النظر» حين يؤصل لها ويبينها، فأهم تلك العوامل تتمثل في النظر الإصلاحية، والنظر التديري، والنظر السنني، والنظر المقاصدي، النظر الإصلاحية والنظر التديري يرتبط كلاهما بمفهوم السياسة، فالسياسة باعتبارها القيام على الأمر بما يصلحه، تجعل للنظر الإصلاحية دلالات استشرافية من حيث إصلاح وضع غير مرغوب، للخروج إلى وضع مرغوب، والنظر التديري يأتي مكملاً للنظر الإصلاحية بالجمع بين عنصري الوعي والسعي، أي بإضافة عنصر الحركة والفعل الإيجابي.

ويأتي كل من النظر الإصلاحية والتديري في إطار النظر السنني والنظر المقاصدي، فالأول يؤصل للنظر الاستشرافي في إطار الوعي بالسنن المتحكمة في حركات الكون

والتاريخ والنفس والاجتماع ومجالاتهم ، والثاني يتكامل مع النظر السنني بالانتقال إلى
الغايات العامة التي يسعى إليها.

بتكامل تلك العوامل: (الإصلاح، والتدبير في إطار الوعي بالسنن والمقاصد)
تشكلت رؤية عربية إسلامية للعالم (وللمستقبل بشكل خاص) أنتجت في إطار تفاعلها
مع الواقع تلك التوجهات المستقبلية المعبرة عن النظر الاستشراقي.

هنا تبرز أهمية التمييز بين الدراسات المستقبلية والاهتمام بالمستقبل (أو النزعة
المستقبلية)، فلا يوجد عصر أو حضارة تخلو من النزعة المستقبلية، إلا أن خصائص واقعها
وظروفه تحكم أشكال الاهتمام به، ومن هنا لا يتم طرح التساؤلات من قبيل: هل الحضارة
العربية الإسلامية أثبتت من خلال إنتاجها الفكري أنها حضارة ذات توجه مستقبلي أم
لا؟ فمثل هذه التساؤلات لا تجد ما يسوغها، إلا ربما في حالات اختبار أطروحات معينة
تتخذ مواقع منطلقة من مقولات الحتمية سواء الثقافية أو غيرها.

ثانياً - علاقة علم اجتماع المستقبل بالتاريخ :

علم الاجتماع يدرس الجماعة والعلاقات الاجتماعية في بنية المجتمع، بينما علم
اجتماع المستقبل يدرس اللحظة التالية للظاهرة الاجتماعية، وبذلك يجري العمل على
المحور الزمني للمجتمع، فينطلق **أحمد صدقي الدجاني** في تعريفه للدراسات المستقبلية من
كونها «امتداداً للدراسة التاريخية، وهي تتناول جوانب صورة الحاضر وتحليلها والتعرف إلى
مجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضي، وملاحظة سنن الكون، والانطلاق من
ذلك كله إلى استشراف المستقبل وتشوفه وصولاً إلى طرح رؤية له، وتتضمن هذه الرؤية
توقعات يحتمل حدوثها استمراراً للحركة التي تحكم الواقع القائم، وبدائل وخيارات وأحلاماً
يجري التطلع لتحقيقها بممارسة الفعل.

القيام بالدراسة المستقبلية لا يعني فصل حلقات الزمن الثلاث بالتركيز على المستقبل، بل يتم النظر للزمن بحلقاته الثلاث: (الماضي والحاضر والمستقبل) على نحو متوازن، وبنفس القدر من الاهتمام، تجري دراسة ظواهر الماضي في إطار علم التاريخ، ومن هنا تظهر أهمية العلاقة بين الدراسة التاريخية والدراسة المستقبلية، حيث تعتبر الدراسات المستقبلية في كثير من الأحيان امتداداً للدراسة التاريخية، فإذا كان علم التاريخ يحاول تطوير علل الظواهر الاجتماعية الماضية وأسبابها، فإن تلك العلل والأسباب لا تطبق فقط على الأحداث التاريخية، ولكن يمكن أن تفسر أيضاً أحداث ووقائع مستقبلية افتراضية.

– أهمية الاهتمام بالدراسة التاريخية:

أ) النظرة الفلسفية للتاريخ:

تختلف طبيعة الدراسة المستقبلية وشكلها وهدفها؛ تبعاً لاختلاف النظرة الفلسفية لحركة التاريخ، وأيضاً لدور الإنسان وما يمكن أن يصنعه، فرؤية مجتمع ما للتاريخ كخط صاعد، أو هابط أو دائري سيقيد بالضرورة طبيعة رؤية المستقبل ومدى تنوع البدائل المستقبلية الافتراضية وانفتاحها، والتصور العام لدور الإنسان سيؤثر لا محالة في هدف الدراسة المستقبلية، فدراسة منطلقة من تصور سلمي لقدرة الإنسان قد تنزع لطابع يبغى التنبؤ ويكرس ثقافة الانتظار، بينما دراسة منطلقة من تصور إيجابي لدور الإنسان ستكون أقرب إلى التخطيط أو الإدارة بالأهداف.

ب) معرفة هدف المجتمع :

لدراسة التاريخ أهمية تتمثل في أهمية تاريخ الأفكار التي تدفع الناس في اتجاه معين، ومعرفة القيم التي جاءت من الماضي، والتعليل التاريخي لسبب تأثر الناس بهذه القيم

وبغيتهم، فمعرفة تاريخ الأفكار «هي التي تمكن الدارس المستقبلي من التعرف إلى الأهداف التي بلورها المجتمع الذي يدرسه.

قد تظهر فائدة مهمة لذلك، لأنه في أحيان كثيرة يكون المجتمع مختلفاً تماماً عما يصاغ من خطط ورؤى لهذا المجتمع، حيث يحدث انفصال بين الفئة التي تحتكر صياغة تصور المستقبل وهدف المجتمع، وهنا عن طريق الدراسة التاريخية، يستطيع الباحث أن يلحظ وجود انفصال أو اتساق بين أهداف المجتمع، والتصورات والخطط التي تصاغ لمستقبله.

يرتبط بهذا أيضاً دور التاريخ في صياغة النموذج، فيكون للمجتمع (أو فئة منه) تصور عن العصر الذهبي، أو النموذج المثالي الذي عليه أن يقترب منه أو يستفيد منه، أو يعيد تحليله وصياغته ليشكل نموذج المستقبل.

ج) دراسة العوامل المؤثرة في الظاهرة موضع الاهتمام:

تأتي أهمية ثلاثة للدراسة التاريخية، وهي «تتبع جذور الواقع الحاضر في الماضي لمعرفة أصوله، والنظر في التفاعلات التي جرت بين عوامله: الثابت منها والمتغير، وصولاً إلى التعرف بعمق إلى كل منها، وتحديد مجرى الحركة التاريخية للأحداث التي شكلته، والوقوف أمام السنن التي تحكم هذه الحركة».

فالدراسة المستقبلية تعتمد على دراسة ظاهرة، والقيام بتحليل افتراضي [بطرح أسئلة من قبيل ماذا لو...] عن طريق تغيير عامل أو بعض العوامل المؤثرة في الظاهرة، فلكي تكون الدراسة قريبة من معطيات الواقع يحتاج الباحث إلى وضع يده على طبيعة تأثير المتغير، ومعرفة أي المتغيرات أكثر تأثيراً على الظاهرة موضع الدراسة في المجتمع موضع الدراسة، ولكي يستطيع الوصول لذلك يجب أن يقوم بدراسة تاريخية لمعرفة أي العوامل كانت أكثر تأثيراً في الظاهرة (تاريخياً)؟ ولماذا؟

(د) القومية العربية في تاريخيتها :

أظهرت المواجهات والصراعات المستدامة بين العرب، والقوى الخارجية المختلفة (المغول والتتار والترك والأوروبيون وغيرهم)؛ أن القومية العربية ليست مجرد انتماء في الحاضر، بل هي ارتباط صميمي بالماضي القومي بكل تفاصيله ووقائعه وحيثياته، فإذا تخلّى العرب عن ماضيهم فبماذا سيرتبط انتماءهم وبأي عناصر سيتجذر؟ هل بالثقافة الغربية والتراث الأوروبي.. أم بحقبة زمنية ودينية دون غيرها؟ إنّ مثل هذه النزعات، بصرف النظر عن مسمياتها وشعاراتها والقوى والجماعات التي تبناها أو تساندها وتروج لها، هي الاغتراب بذاته، الذي يشكل أعظم خطر يهدد العرب والشخصية العربية، بل والإسلام نفسه والوجود العربي، والهوية، ومجمل الانتماء الحضاري لتاريخ هذه المنطقة والأمة وجغرافيتها وثقافتها وحضارتها.

إنّ بتر الانتماء القومي والحضاري لأبناء هذه المنطقة شكّل -وما يزال يشكّل- واحداً من أبرز أساليب الهيمنة الاستعمارية وخصوصاً بالنسبة «للنخب» الثقافية - الفكرية المتغربة، أو التي لا تجد مشكلة في قطع جذورها وأواصرها بتاريخها ومحيطها الاجتماعي والثقافي («المتخلف» كما تصفه). إضافة إلى استتباعها للمستشرقين ومدارسهم المعروفة في تزيف تاريخ المنطقة، والتركيز على الأعراق والطوائف والمذاهب، وكل ما من شأنه تفتيت مجتمعاتنا وإشعال الفتن والاضطرابات والنزاعات فيها. (العتار، 2018، 66)

بالنسبة لسورية وللوطن العربي يحمل التاريخ أهمية خاصة لتأكيد استمرارية العرب ودورهم التاريخي من الماضي إلى المستقبل. ويرتبط التاريخ بعلم المستقبل بمشترك بينهما وهو دراسة الزمن، فالاستمرارية من الماضي إلى المستقبل، والحاضر هو حلقة الوصل بين زمنين للعرب ولكل مجموعة حضارية.

ثالثاً - علاقة علم اجتماع المستقبل بعلم الاقتصاد:

يدرس علم الاقتصاد العلاقة القائمة في المجتمع بين الموارد والاستهلاك وحركة الإنتاج والاستهلاك وحركة الأسواق في العرض والطلب وغيره. وكلها أمور ترتبط بالتخطيط لمعرفة حركة السوق ودورة الإنتاج، وكل دراسة لمستقبل الأسواق ومستقبل العرض والطلب تصب في مصلحة معرفة زيادة الإنتاج وزيادة الربح، وهو أهم ما تسعى إليه المؤسسة الاقتصادية. إن الربحية التي هي غاية الإنتاج الرأسمالي لا تتحقق دون معرفة مستقبل التوجهات الشرائية للأفراد والجماعات، ومعرفة مستقبل التوجهات المجتمعية.



يرتبط علم اجتماع المستقبل بدراسة قضايا اقتصادية مهمة للنمو الاقتصادي - الاجتماعي منها:

1- وضعية الموارد البشرية:

وجود الموارد البشرية وتأصيلها من خلال منظومة تعليمية فعالة هي أساس النمو المجتمعي لتطور المجتمع، ويرتبط بذلك تقدير البحث العلمي وتقدير الباحثين وزيادة براءات الاختراع وحمايتها وتشجيع الإبداع في المجتمع.

2- الموارد الطبيعية:

هي في المقام الثاني لأن وجود الموارد البشرية هو أهم عوامل التغير الاجتماعي والنمو المجتمعي. والمقصود بالموارد الطبيعية الثروات الطبيعية: المائية والنفطية والمعادن والأراضي الصالحة للزراعة والثروة الحيوانية وغيرها.. ولعل الوطن العربي يتمتع بهذه الثروات لو وجدت الإرادة الصحيحة لوحدة أهله واستغلال ثرواته.

3- التخطيط الاقتصادي:

من القضايا المهمة التي تربط علم اجتماع المستقبل بالاقتصاد. فالتخطيط الاقتصادي الجيد هو القادر على تحقيق التوازن الفعال بين الموارد المجتمعية المتاحة في البلد، والاستخدام الأمثل لهذه الموارد في تحقيق نقلة نوعية للتنمية الاقتصادية – الاجتماعية في أي مجتمع.

4- تقدم النظرية الماركسية قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج على جميع معطيات البناء الفوقي (قيم وعادات وتقاليد وفن وقانون) لنجد أن الحياة الاجتماعية محكومة بتطور قوى الإنتاج، وأن المجتمع مرتبط بحياته الاقتصادية، والانتقال من مرحلة تاريخية لأخرى يرتبط بصراع من يملك ومن لا يملك وسائل الإنتاج .

رابعاً - علاقة علم اجتماع المستقبل بالسياسة:

تعرف السياسة بأنها فن حكم الدول، وإن إطلاق «علم» على السياسة هو من باب المجاز، لأن السياسة تتطلب فناً ودراية متفاوتة ومتغيرة باستمرار لاتخاذ القرارات السياسية في كل موقف. تسمى السياسة أيضاً فن الممكن في المجتمع. والتوجه نحو المستقبل يرتبط في السياسة باتخاذ القرارات السياسية التي تحدد مسارات التغير الاجتماعي، و بدراسة الاحتمالات المختلفة وآثار كل قرار سياسي في مستقبل المجتمع،

نقف على العلاقة بين علم اجتماع المستقبل والسياسة، فكل قرار سياسي يركز إلى بنية المجتمع وينطلق منها.

- الأسس الاجتماعية للقرار السياسي:

1) القرار السياسي في المجتمع:

إن اتخاذ القرار في السياسة يرتبط بقوة بمنهجية الدولة وخططها المستقبلية لصناعة التغير الاجتماعي وتحديد مستقبل الدولة والمجتمع.

عندما نركز على «اتخاذ القرار» فإننا نركز على صنّاع هذا القرار أو مقدمي المشورة لصنّاع هذا القرار، وإن السياسة تنطلق مباشرة من فهم هؤلاء للبيئة أو الوسط الخارجي المحيط والملاحظ على نحو غير كامل، وهم يستخدمون في تنفيذ مهمتهم مفاهيم المصلحة القومية والهدف القومي اللذين يشتقان عموماً من مجتمعاتهم، وخصوصاً من خلفيتهم المهنية ومن الوسط المؤسسي الذي يعملون فيه.

وإذا عدنا إلى مفهوم الدولة بوصفها منظومة ما في بيئة معينة، نجد أن صنّاع القرار هم الذين يعالجون المعلومات الأولية أو المدخلية التي تأتي من البيئة (الوسط المحيط). وإن هذه المعلومات الأولية تأخذ شكلها من التدفق المستمر للمعلومات عن الأحداث الدولية التي يحللها المسؤولون وقيّمونها بغية تحديد ما يؤثر منها في المصلحة القومية على نحو تدعو الحاجة معه إلى اتخاذ قرار أو القيام بفعل ما، و ما هو ثانوي بالنسبة إلى المصلحة القومية وهكذا. فإن تلك المسائل التي تعتبر ذات علاقة بالسياسة هي وحدها التي تخلق الفرصة المناسبة لاتخاذ قرار ما.

وعموماً، فإن السياسة هي الملائمة بصورة دائمة للأغراض الداخلية لمجتمع قومي أو لجماعات مسيطرة ضمن المجتمع مع البيئة الخارجية الديناميكية، ونستطيع أن نفهم العملية على نحو مثالي بكونها تتألف من الخطوات الآتية:

- 1- تحديد أغراض الدولة.
- 2- تحدد الملامح الأهم للوضع الخاص في البيئة.
- 3- تقييم الوضع من خلال أغراض الدولة.
- 4- انتقاء الأهداف.
- 5- وضع استراتيجية للوصول إلى الهدف.
- 6- قرار التصرف.
- 7- التصرف ذاته.
- 8- تقييم نتائج التصرف في ضوء الأغراض الأساسية.

ويجب أن نقدر أن هذه السلسلة من الخطوات هي في الحقيقة نوع مثالي من عملية اتخاذ القرار العقلاني، وهي لا تنطبق إلا على مشكلة واحدة فاتخاذ القرار الحقيقي لا يحدث أبداً بهذه البساطة أو الوضوح، أما في الحالات العادية فيجب أن تتخذ عدة قرارات في آن واحد، وتكون لكل تحليل خصوصياته التي تؤثر في كل التحليلات الأخرى وتتأثر بها. وثمة عدد قليل جداً من القرارات التي تصل إلى النهاية دون أن تعدل بسبب الظروف المتغيرة، كما أن الكثير من المشاريع تلغى قبل إكمالها لأن الوقت والاهتمامات الجديدة تجعلها غير مجدية. (صالح، 2004، 72)

(2) إن القرار السياسي لصناعة التغير الاجتماعي يرتبط في السياسة بوجود خطط تنمية مناسبة للتغير الاجتماعي والاقتصادي، ووجود حياة سياسية تسمح لأطراف الحياة السياسية بالعمل والمشاركة.

(3) التركيب الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع ومدى تجانسه، وكيفية ضمان الحقوق السياسية لمختلف الجماعات الطائفية والقومية والأقليات، في حرية العمل والمشاركة السياسية.

4) القضايا السكانية المرتبطة بالهرم السكاني، ووجود حاجات سكانية متنامية لمتطلبات الحياة الكريمة بالعلاقة مع شكل الهرم والفئات الشابة في المجتمع، وتوفر فرص العمل المناسبة التي تمنع هجرة الشباب، ولا سيما هجرة العقول.

5) إن محيط البلد والوضع العالمي يؤثران في القرار السياسي، و في مستقبل المجتمع وتطوره، فلقد فرض وجود الكيان الغاصب في فلسطين على سورية تخصيص موارد هائلة للدفاع والعمل العسكري كان يمكن أن توجه نحو التنمية، والعمل من أجل الدفاع عن الوطن يؤثر في المجتمع وفي استنزاف موارد التنمية المجتمعية ويحرف اتجاه التنمية، والضغوطات الاستعمارية لا ترتبط بزرع الكيان الصهيوني فحسب، وإنما في ضغط الدول المهيمنة سياسياً في العالم على الدول النامية ومنعها من تحقيق وحدتها وتنميتها التي تحقق لهذه البلدان استقلال قرارها ورفاهية شعوبها.

خامساً - علاقة الدين الإسلامي بالمستقبل

أ - المستقبل في القرآن الكريم:

تعددت أساليب القرآن الكريم في التعبير عن المستقبل، وتجلت في مظاهر عدة، منها استخدامه أداة الشرط (إذا) وجوابها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ..... فَسَبِّحْ﴾ (سورة النصر) ومنها تعبيره عن الأفعال الواجبة على المؤمن والمطلوبة منه ... لكن المهم بالنسبة لهذا البحث هو كيف وردت كلمة (الغد) للدلالة على المستقبل.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة الحشر، الآية 18).

تجمع التفاسير على أن المقصود بالغد - هنا - هو القيامة، قرَّب الساعة حتى جعلها كغد، ولا شك أن كل آت قريب، و الموت آتٍ لا محالة، ومعنى «ما قدمت» يعني

من خير أو شر (القرطبي، تفسير سورة الحشر) وكانت العرب تكني عن المستقبل بالغد.
وفي الآية تكرير للتقوى مرتين: الأولى للتوبة عن ما مضى من ذنوب، والثانية اتقاء المعاصي
في المستقبل. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: أي بما يكون منكم. هذا التفسير يفيد في قصة
النبي يوسف أن كل ما كان من أمره ومن غده بيد الله يقبله كيف يشاء.

و جاء في سورة الكهف ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ (23) إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ وَادْخُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا
(24) .

ورد في تفسير «ابن كثير» أن هذا إرشاد من الله تعالى للرسول الكريم إلى الأدب،
فإذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل؛ فعليه أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام
الغيوب، الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن، ولو كان كيف
يكون...

و قد ورد في سبب نزول الآية (23) من سورة الكهف أن النبي (ص) لما سئل
عن قصة أصحاب الكهف قال: (غداً أجيبكم)؛ فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً؛ لأن
الرسول الكريم لم يقل إن شاء الله.. وقوله تعالى { واذكر ربك إذا نسيت } قيل: إذا
نسيت الاستثناء.

ويروى القرطبي أيضاً أن سبب نزول الآية هو قول النبي (ص): «غداً أخبركم
بجواب أسألتكم»، ولم يستثن في ذلك، فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوماً، وقوله
﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾: كفارة لنسيان الاستثناء.

وقد وردت كلمة (غداً) في قصة النبي يوسف في ترتيب خدعة الإخوة للأب؛
ليسمح للإخوة باصطحاب يوسف إلى الرحلة: ﴿أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ
حَافِظُونَ﴾ (يوسف، الآية 12) يرى ابن كثير أن المعنى في إرسال يوسف مع إخوته يسعى

وينشط؛ يقولون: ونحن نحفظه ونحوطه من أجلك، لذلك هم يقدمون ضماناً مستقبلياً مزيفاً، والأب يعرف ذلك؛ لأن الحافظ هو الله.

ب - التقطيع الزمني في قصة النبي يوسف:

في قصة النبي يوسف إيجاز في الألفاظ، وسحر في البيان، ودقة في توصيف الأحداث، وتشويق يحبس الأنفاس، وعاطفة جياشة تلامس قلوب الناس... فقد جاء الوصف من الله تعالى بأنها أحسن القصص.

يناقش هذا البحث التقطيع الزمني لأحداث قصة النبي يوسف، من خلال أمرين:

1- مدة استغراق الحدث، التي لا نعرفها غالباً، مثل مدة بقاء يوسف في الحب أو في السجن...

2- الفجوة بين الأحداث: و يقصد بها المدة الزمنية الممتدة بين حدث وآخر: مثل

المدة الزمنية بين حلم يوسف الأول، وقيام الرحلة الكارثية....

في قصة النبي يوسف بناء زمني لترتيب الأحداث، التي تعتمد على الحلم الذي

يوحي بالمستقبل، وتحقق الحلم في الأحداث التالية بإرادة الله عز وجل:

الحلم الأول: حلم يوسف في طفولته.

الحلم الثاني: حلم صاحبي يوسف في السجن.

الحلم الثالث: حلم الملك بسبع سنين من الخير، وسبع سنين من الجفاف.



حددت احلام النبي يوسف مستقبل المجتمع

وقد تحدث القرطبي عن علاقة الحلم بإيمان المؤمن مستشهداً بقول رسول الله (ص): «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان».

ويرى «القرطبي» أنه لا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد، وشرذمة من المعتزلة.

اعتمد «ابن سيرين» في تفسيره المشهور للأحلام كثيراً على الرموز التي وردت في أحلام قصة النبي يوسف، وأشكال تحققها المستقبلي، لأن الفقهاء اتفقوا على أن أحلام النبي يوسف هي دليل على نبوته؛ في مغزاها ودليلها على تحقق مستقبلي فعلي، مسبوق بحلم ما، بذلك أصبحت رموز قصة يوسف للعامة والخاصة إشارة إلى المستقبل، ويمكن الإشارة إلى أن دلالة الحلم المستقبلي هي للمؤمن والكافر؛ وقد ترجم «البخاري» باب رؤيا أهل المعاصي بقوله: إن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب... وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي والنبوة.

تمهد الآيات (1 و2 و3) في بداية سورة يوسف للأحداث اللاحقة، وتشرح غايات القصة، إذ هي توجيه رباني بالهدف من قصة يوسف، وكذلك في الآيتين (6 و7) كلام رباني موجه للنبي الرسول بسبب اختياره وتعليمه، و ذلك يشبه في القص الحديث تعليقات المؤلف على أحداث الرواية.

- في الحلم الأول للنبي يوسف: يطلب الأب يعقوب ألا يذكر يوسف حلمه أمام إخوته؛ لأن الأب يعرف حقيقة الحلم، وتحققه المستقبلي: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا...﴾ (5).

- في القصة قطع زمني في الآيتين (8 و9) بين الحلم، ومؤامرة الإخوة لقتل يوسف: فنحن لا نعرف المدة بين الحدثين.

لقد طرح الأب إمكانية أن يأكل الذئب يوسف، ولم يطرح أي مكروه آخر؛ مما يشير إلى معرفته المصير: الآية (13) من سورة يوسف.

- هناك قطع زمني آخر في الآية (15)، لنصل إلى الذهاب إلى الرحلة، باستخدام الأداة النحوية ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ التي تدل على وقت الرحلة، وحدث الاتفاق على إلقاء يوسف في الحب.

- بين الآية (15) والآية (16) هي مدة استغراق الرحلة: والمعروف أنهم ظلوا حتى المساء ﴿وَجَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (16).

فالمساء هو موعد العودة من الرحلة، وإخبار الأب بالمصيبة التي وقعت في مدة تسابق الإخوة، وترك يوسف عند الأمتعة، وهم بذلك يحققون توقع الأب أن يوسف أكله الذئب فعلاً ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (17) يقولون: أنت لن تصدقنا؛ لأنك لا تريد أن تصدقنا.

- الآية (17) فيها تتابع زمني للحدث: محاورة الأب، وردة فعل الأب؛ فإن تلطيخ القميص بالدم كذبة لا يريد يعقوب كشفها؛ لأن القميص غير ممزق (غير ممكن هجوم الذئب دون تمزيق القميص)، فيقول الأب: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمُ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (18).

- ثمّة استغراق زمني في ما قبل الآية (19) لأننا لا نعرف كم بقي يوسف في الحب، ولا مقدار العذاب الذي أصابه، ومعاناته الظلم والوحدة والجوع !!! بانتظار الموت المحتتم لطفل لا يعرف كيف يتصرف في ظلام الحب ووحشته.

في الآية (19) وصلت السيارة التي ستنقذ يوسف، لكن نهاية الآية ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ دليل على أن الأمر مدبر، لأن وصول سيارة قبل موت يوسف جوعاً كانت تدبيراً إلهياً، لتنفيذ مشيئة الله في رسالة نبي.

- في الآية (20) قطع زمني قصير؛ لأننا لا نعرف مدة الرحلة التي قضاه يوسف عبداً مع القافلة، ثم كيف باعوه بثمن ناقص.

- بين الآيتين (21) و(22) فجوة زمنية كبيرة : بين وصول يوسف لعزير مصر، وعطف الملك عليه، وتمكين يوسف، وتعليمه تأويل الرؤيا، تلك المدة التي قد تصل إلى عشرين عاماً بترتيب إلهي.

- من الآية (22) إلى الآية (23) قطع زمني طويل: فقد أصبح يوسف شاباً، وتحولت زليخة زوجة عزيز مصر من الأم الراعية إلى العاشقة المتيمة.

- في الآية (24) أيضاً مشكلة زمنية من نوع آخر في تفسير (الهم): بين فعل زليخة ﴿هَمَّتْ بِهِ﴾: (قصدت الجماع)، وفعل يوسف ﴿هَمَّ بِهَا﴾: (قصد ذلك) وهنا الخلاف؛ قال ابن عباس: مُثِّلَ له يعقوب فضرب صدره، فخرجت شهوته من أنامله، أو خرجت يد يعقوب الأب من الحائط لتقول: يوسف اعرض عن هذا !! وجواب لولا: لجامعها.

اختلف المفسرون في مفهوم (الهم) ﴿هَمَّ بِهَا﴾، وانفقوا على مفهوم ﴿هَمَّتْ بِهِ﴾، وأيضاً الخلاف زمني: هل حدث «الهم» قبل رؤية البرهان، ثم بعد البرهان تراجع؟! أم رأى يوسف البرهان فلم يحصل الهم أصلاً؟!!

وقد تعددت التفسيرات للآية (24) لأنها إشكالية وحاسمة لمصادقية نبي متعلم، ومؤهل حسب الآية (22) السابقة: لذلك يقولون هَمَّتْ هي بالمعصية، وهم يوسف بضربها.

لكن التفسير الظاهر كما ورد في تفسير الجلالين يدل على إنسانية يوسف، وعلى صفات الإنسان العادي المرتبط بحاجاته، وترتبط بذلك الآية (24): التي تشير إلى أن هدف البرهان هو صرف يوسف النبي عن الخيانة والزنا، لأن يوسف مختار، والإرادة الإلهية لا تريد ليوسف الخطأ؛ لأنه من عباد الله المخلصين.

في الآيات (23 و 24 و 25 و 26 و 27 و 28 و 29) لا يوجد قطع زمني ؛ بل ملاحقة زمنية دقيقة لتتابع الأحداث، وردود الأفعال لحظة بلحظة، و ذلك لأهمية الحدث بأبعاده التي تحدد مستقبل النبي يوسف، والتي آلت - لأسباب متعددة- إلى مغادرة القصر الملكي إلى السجن.

- الآية (30) فيها قطع زمني؛ لأن خبر مراودة يوسف انتشر في المدينة (دون وسائل التواصل الاجتماعي أو قنوات فضائية...) فلا نعرف المدة بين حادثة الهَم وانتشار الخبر.

- وفي الآية (31) مدة زمنية تمر إلى حين عودة ما تداولته النسوة إلى زليخة، ورغبتها في إثبات شكل الهيام الذي أصابها؛ لأن يوسف هو موضع الفتنة، فدبرت موعداً لنسوة المدينة، لشرح موقفها، وسبب الافتتان.

المدة الزمنية للآية (31) طويلة لتدبير المكان وأدوات القطع...

إن رد فعل النسوة دليل على أن يوسف في جمال ذلك العصر؛ كان خارج الجمال البشري، فلذلك لم يقلن جميل جداً، ولا إنه فاتن، ولا مبهر... وإنما قطعن أيديهن!!! و عدم الشعور بالألم: يعنى خروجهن عن طورهن والذهول المطلق، وقولهن إن يوسف ليس من البشر بالمطلق.

- الآيات (31 و 32 و 33 و 34 و 35) تحدث في زمن واحد وهي ترابط رد فعل يوسف على إغواء النسوة، وقد ورد في تفسير الجلالين أن الإغواء بلغ حداً قد يحرف يوسف عن النبوة، والتنزه عن المعصية، و في الوقت نفسه هناك رغبة إلهية بتغيير مسار الأحداث؛ لبقاء يوسف نبياً نقياً، فكان دخول السجن لعزله عن النساء، وتفرغه للعبادة، هي إرادة إلهية لمستقبل يوسف النبي.

– في الآيتين: (33 و 34) قطع زمني بسيط، لأننا لا نعرف المدة التي قضاها يوسف يدفع عن نفسه غواية النساء، إلى أن استجاب له ربه بإبعاده عن الغواية.

– في الآية (32) ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾: في حرف جر، و هي ظرفية مكانية أو زمانية، لكنها في هذه الآية جاءت بمعنى التعليل، فهي هنا تبرز سبب اللوم؛ فتقول: إن اللوم وقع عليّ بسبب يوسف؛ فانظرن أنتن واحكمن، لماذا فتننت بيوسف؛ إن رأيته فسوف يتوقف لومكن!!

– في الآية (36) استغراق زمني لمدة وجود يوسف في السجن، وهي تبدو مدة طويلة؛ لأن الفتيتين عرفا صلاح يوسف – مدة السجن – وتقواه، وأرادا اختباره بمدى معرفته بتأويل الأحلام؛ لأن أحدهما صدّقه والآخر رفض تأويل يوسف؛ لأنه لا يوافق هواه.

وقد استخدم القرآن الكريم: مصطلحات التأويل والتعبير والإفتاء... لبيان تفسير حلم الفتيتين في السجن. (هو الحلم الثاني في قصة يوسف).

– في الآيات (36) إلى (42) ترابط زمني؛ لأنها تسجل محاورة يوسف للفتيتين في السجن، وتوجيه النبي يوسف لمن حوله ولهما بالدعوة إلى التوحيد وعبادة الواحد القهار.

– الفتيتان في السجن هما: ساقى الملك، وصاحب طعام الملك، والإشكالية الزمنية هي في مدة السجن {فلبث في السجن بضع سنين} (42)، ورد في تفسير الجلالين أنها من 7 – 12 سنة، وفي تفاسير أخرى هي من 3 – 9 سنوات.

– الآية (43) فيها قطع زمني طويل؛ لأنها تؤرخ لانقضاء مدة السجن والوصول إلى حلم الملك (هو الحلم الثالث في قصة يوسف): ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ

بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَنَعٌ عِجَافٌ... ﴿٤٣﴾ ؛ حلم يؤرخ لمصير يوسف وعائلته، وإحقاق الحق: ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ (51).

- حلم الملك يمهد للأحداث التالية التي ستخرج يوسف من السجن وتعيد إخوته، وتعيد أهله إليه معزراً مكرماً؛ بعد أن أصبح خازناً لبيت المال.
- في منصبه على عرش مصر، وتغير الأحداث لمصلحته يتحقق الحلم الأول الذي بدأت به قصة يوسف؛ لنجد أن ترتب الأحداث يرتبط بالأحلام الموجودة في القصة، وكل حلم يمهد للأحداث اللاحقة بطريقة رمزية لتحقيق لاحقاً بشكل فعلي إرادة الله في مصائر البشر.

ج - النتيجة من قصة النبي يوسف :

شكل القص في سورة يوسف فيه تقطيع زمني لترايط الأحداث؛ من الحلم الأول النبوءة، إلى الحلم الثاني في السجن: معرفة تأويل الأحلام؛ ليتم تذكر يوسف وخروجه من السجن، ثم حلم الملك - الثالث في القصة - الذي أدى إلى وصول يوسف إلى عرش مصر، وتحقيق الحلم الأول.

إن الفنية العالية والتأثير الكبير لسورة يوسف عند جميع الناس؛ يرتبطان بكونها قصة غنية بعواطف جياشة (محزنة ومفرحة) مؤثرة في جميع الناس بمختلف مستوياتهم التعليمية والحياتية؛ تلامس أحلام كل الناس بتحقيق العدالة والانتصار على الظلم والأنانية، انتصار يريده كل الناس لقيم الخير والحق والجمال.

أُخذت من قصة النبي يوسف الكثير من العبر والدروس، منها: أن الغدر يمكن أن يأتي من أقرب الناس إليك، وأن الحسد والغيرة تحصل بين الأصدقاء، وبين الزوجين، وبين الإخوة، أن لا تصدق كل ما تسمع، وأن محل أمانتك، هو محل خوفك، وأن ما تستهتر به قد يكون ذا شأن عظيم.

وأن الجمال - الذي هو ميزة الإنسان - قد يكون وبالاً عليه، وفننة لمن حوله، وأن مصائر الناس بيد الله يصرفها كيف يشاء، لكن حتى إن عرفنا المصائر؛ فمجابتها تحتاج إلى تخطيط وتدبر للتغلب على تبعاتها.

بقي أن التقطيع الزمني في قصة النبي يوسف يتابع لحظات الحدث المفصلي في القصة بإحكام، ويتجاوز عن مدد طويلة: هي فجوات زمنية بين الأحداث؛ لانعدام ضرورة الدخول في تفصيلاتها، ولأن التفصيل في أحداث غير مفصلة للقصة، قد يكون حشواً زائداً، حتى في الرواية الحديثة؛ لأن المهم هي اللحظات التي شكلت تحولاً في نمو الأحداث، وحيوات أبطال القصة ومستقبلهم.

سورية الحبيبة الجميلة كيوسف والحزينة كأييه والصابرة كأيوب، مرت بأزمة تعرضت فيها لطعنات غائرات من الأعداء ومن الأصدقاء ومن الإخوة. كيف هان على الإخوة إلقاء أخيه في بئر الحصار الاقتصادي والتجويع؟؟ لكن انقضت اليوم سبع سنوات عجاف !!! مخالفة بذلك حلم الملك في قصة النبي يوسف؛ لأن السنوات القاسيات المتوحشات، سبقت سنوات الخير والعطاء والمحبة؛ التي نرجوها لسورية ولأهل سورية.

إن التعامل مع السنوات القادمة؛ تعلماً من قصة النبي يوسف تعني التخطيط للاستفادة من تجارب الماضي المريرة، تعني معرفة من وقف إلى جانب سورية، وحماها من التفتت، والاستفادة من سنوات المعاناة والألم؛ لصنع الفرح، و التخطيط لدوام سنوات الاستقرار والأمان والبناء، لنشر التسامح في سورية وترك الضغائن؛ لبناء سورية الحرة الكريمة لنا وللأجيال القادمة.

د - معرفة الغيب في الإسلام :

لقد طلب أهل مكة من الرسول الكريم أن ينبئهم بموعد قيام الساعة، أي: موعد قيام القيامة ونهاية العالم، فلم ينبئ أحداً بذلك خوفاً عليهم، ولأن معرفة الغيب قد تغير

مفهوم الإنسان عن الحاضر، وتخلط أوراق الزمن في خياراته، (لأن الإنسان لا يستطيع تغيير المستقبل).

وثبت الفقه الإسلامي الحكمة من ذلك في أذهان الناس نصاً هو: (لو اطلعتم على الغيب لا اخترتم الواقع).

هـ- من الحال إلى المال :

يشرح الواقدي (من علماء المسلمين ت 823م) كيف انتصر المسلمون في معركة اليرموك: يشرح لماذا انتصر المسلمون على الروم، لأن الروم فيهم ظلم. وذلك عندما شرح الخبر بأحوال المسلمين كيف يقومون الليل ويصومون النهار، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، رهبان بالليل ليوث بالنهار، ولو سرق واحد منهم ولو كان كبيرهم قطعوه، ولو زنى رجموه، لا يغلب هواهم على الحق، بل الحق عندهم غالب، وأميرهم كأضعف من فيهم، إلا أنه مطاع عندهم؛ فإن قام قاموا وإن قعد قعدوا. و يشرح الواقدي ظلم الروم والافتئات على الرعية واختلاف آراء البطارقة. تفهم من كلام الواقدي أنه يرى النصر ليس في قوة الجيش وإنما بعدل الولاة وتضامنهم وإحقاق الحق.

أحلام أبي عبيدة بن الجراح كلها تدل على النصر وتشير إليه، وتوقع النصر بالدين الحق، وأحلام «ماهان» من قادة الروم تدل على الخوف والرعدة من أصحاب الدين الجديد، وتوقع الخسارة أمام جيش إيمانه قوي وقيم العدل بين جنوده.

حتى إن أحد رجال أبي عبيدة يشاهد حلمًا بأن طيوراً من السماء تنقض على رجال الروم في اليرموك كأنقضاض العقبان، فإذا جاءت للرجل ضربته فيقطع قطعاً، ففرح المسلمون بتلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض: أبشروا فقد أمنكم الله وأيدكم بالنصر، وأمدكم بملائكته، تقاتل معكم كما فعل بكم يوم بدر، وقد فسر أبو عبيدة ذلك، وقال: هذه رؤيا حسنة وهي حق وتأويلها النصر.

والأحلام كلها تدل على معتقدات الأفراد دائماً أن المستقبل من أحلامهم، حتى عندما يكتب الواقدي عن الروم فهو يتحدث عن إيمانه العميق بأن العدل أساس الملك، وأن الأعداء هزموا عندما شاع الظلم بينهم. (الواقدي، 1935، 131)

ومشهورة كلمة الإمام الغزالي (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) وهي جملة تدل بعمق أن الدنيا تبقى أعمالها فيها، ومطلوب التحضر للآخرة، وأن فروض الدين لا تمنعك من الانشغال في أمور معيشتك ومتطلباتك الدنيوية، والتسليم لإرادة الله - فوق إرادة البشر - في كل ما يتعلق بحياة المسلم ومستقبله. هذه القناعة الإسلامية بترك التدبير لمدير الكون والإيمان بمخطط واحد هو الله يجسدها الإمام الشافعي بقوله:

إذا أصبحت عندي قوت يومي	فخل الهم عني يا سعيد
ولا تخطر هموم غد ببالي	فإن غداً له رزق جديد
أسلم إن أراد الله أمراً	فأترك ما أريد لما يريد

(ديوان الإمام الشافعي)

هذه القناعة عند الإمام الشافعي تدل على أن دراسات علم اجتماع المستقبل؛ تدخل فيما لا دخل لنا به من اختصاص مدير الكون.

سادساً - منهج الدراسات المستقبلية بين العلوم:

تتميز الدراسات المستقبلية بمنهج إبداعية بين العلوم الاجتماعية بهدف دراسة التغير في المجتمع، وتتمحور حول أسس ستة:

آ - تحديد ورصد التغير :

ونعني بذلك أن الدراسة المستقبلية معنية في دراسة الظاهرة بالتغير الذي يصيب قسما من الظاهرة على النحو التالي:

1- مدى التغير: هل هو تغير كلي أو جزئي؟ بمعنى هل يمس الظاهرة كلاً متكاملاً أم

يتركز في أبعاد معينة فقط؟

2- طبيعة التغير: هل هو تغير كمي (أي يمكن التعبير عنه بلغة رياضية ورقمية) أم تغير

كيفي أم كلاهما؟

3- حركية التغير: بمعنى هل هو تغير مستمر أم متقطع؟ وما المدى الزمني له في حالة

التقطع؟ فهناك ظواهر تعرف تغيراً لا يتوقف وباتجاه واحد مثل: تراكم المعرفة العلمية،

أو الزيادة السكانية في بعض الدول، وبالمقابل هناك ظواهر متقطعة مثل الحرب أو

النمو الاقتصادي، وهناك ظواهر متقطعة ومتباعدة في دورة حدوثها، بينما هناك

تغيرات موسمية (مثل الزيادة في عدد السياح في بلد معين، فهي زيادة موسمية تمثل

فترات التباعد فيها فترات قصيرة).

4- إيقاع التغير: بمعنى هل وتيرة التغير بطيئة أم سريعة؟ ثم هل هو تغير ثابت الإيقاع أم

متسارع أم متذبذب؟ ويجمع الباحثون في الدراسات المستقبلية على أن التسارع يمثل

ظاهرة مهمة، بمعنى أن الفترة الفاصلة بين تغير وآخر كثيراً ما تقلص، الأمر الذي

يجعل عملية التكيف مع هذا التسارع أمراً في غاية الصعوبة، ولا يمكن تداركه إلا

بدراسات مستقبلية تحدد آليات التعامل مع الظاهرة قبل حدوث التغير بهدف

الاستعداد له.

5- إدراك التغير: من البديهي أن هناك أبعاداً في التغير يمكن إدراكها بالتحليل العقلي أو

المنطقي أو حتى الحدسي، ومن هنا يجب دراسة تاريخ أشكال التغير التي تنبهنها لها

بعد أن أصبحت مدركة ولم نلق لها بالاً قبل وضوحها، لكي ننمي أنماط توقع

التغيرات غير المدركة (فمثلاً هل كان مخترع أول آلة متنبهاً لما سيؤول له الأمر في مجال

البيئة بعد فترة طويلة من الزمن؟ و هل يمكن أن يؤدي الاستنساخ في حالة تطبيقه

على البشر إلى تغير مفهوم الأسرة والقربى والإرث... إلخ؟) وهكذا.

6- **مركزية التغير:** من المعلوم أن لكل ظاهرة أو بنية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية «بؤرة» مركزية تستند إليها، كما أن لكل منظومة معرفية ركائزها أو متغيراتها الرئيسية. وبناء عليه، يجب أن نحدد هل أصاب التغير الأبعاد المركزية أم أبعاداً هامشية أم أبعاداً ذات قيمة متوسطة؟ وهل هذا التغير كبير أم متوسط أم قليل؟

ب- تحليل أسباب التغير :

يتم تحليل أسباب التغير من خلال:

- 1- عرض جميع الأسباب المحتملة للتغير بغض النظر عن أهميتها.
- 2- محاولة الربط بين ظواهر أخرى غير الظاهرة التي ندرسها وبين الظاهرة موضوع الدراسة، بهدف الكشف عن ترابطات قد لا تكون مدركة في الوهلة الأولى.
- 3- محاولة تحديد الأسباب المركزية والأسباب المساعدة.

ج - التمييز بين الحدث والاتجاه :

يعرف الحدث Event بأنه أية واقعة من الوقائع الحياتية اليومية: فردية أو جماعية، طبيعية أو اجتماعية، مفاجئة أو متوقعة... الخ. أما الاتجاه Trend فيعني تكرار الحدث باتساق يتولد عنه حمل ظاهرة ما على أن تأخذ نمطاً معيناً في تغيرها من حالة لأخرى. ولكن الاتجاهات ليست على مستوى واحد، إذ يميز باحثو الدراسات المستقبلية بين مستويات الاتجاهات على النحو الآتي:

1- **الاتجاه الفرعي Sub-Trend** : وهو تكرار الحدث في جزء من الظاهرة بكيفية تجعل هذا التكرار يولد مساراً لهذه الجزئية (مثل تنامي الاعتماد على صحافة الإنترنت بدلاً من الصحافة الورقية، فهذا اتجاه ضمن ظاهرة أوسع وهي الثقافة الرقمية والثقافة الورقية).

2- **حالة الاتجاه Mega-Trend**: وهو الحالة التي تصطبغ فيها معظم ملامح الظواهر بملامح متماثلة، من حيث طبيعة الظاهرة ونمط التغير فيها، بل وإيقاعه. ويتم

الربط بين التغير والاتجاه من خلال رصد مسار الاتجاه، وهنا نجد نمطين من الاتجاهات:

آ - الاتجاهات الخطية **Linear Trend**: وتعني تغير الظاهرة (اتجهاً أو اتجهاً فرعياً أو اتجهاً أعظم) في مسار واحد، فمثلاً: يكون التغير في عدد السكان خطياً إذا كان يتزايد باستمرار وبوتيرة مستقرة.

ب- الاتجاهات غير الخطية **Non-Linear**: وتعني أن الظاهرة لا تعرف مساراً واحداً فيما يصيبها من تغير، بل نجدها تسير في مسارات متعاكسة ومتذبذبة.

د - البعد الزمني :

يمثل البعد الزمني أحد المحاور المركزية في الدراسة المستقبلية، والتقسيم التقليدي للزمن هو الماضي والحاضر والمستقبل.

المدى الزمني للمستقبل متفاوت، فالمستقبل ممتد إلى ما لا نهاية، لذا استقرت الدراسات المستقبلية على الأخذ بالتقسيم الذي وضعته جامعة مينيسوتا الأمريكية للمستقبل على النحو التالي:

- 1- المستقبل المباشر : عامان فما دون.
- 2- المستقبل القريب: من أكثر من عامين إلى خمسة أعوام.
- 3- المستقبل المتوسط: من خمسة أعوام إلى عشرين عاماً.
- 4- المستقبل البعيد: من أكثر من عشرين عاماً إلى خمسين عاماً.
- 5- المستقبل غير المنظور: ما فوق ذلك.

هـ - زمن الاستغراق :

نعني بزمن الاستغراق **Lead Time** المدة الفاصلة بين وقوع الحدث وبدء تداعي وقوعه واكتمال هذه النتائج، فتأثير التطور التكنولوجي أبطأ في تداعياته على المنظومة الثقافية من تأثيره في الأوضاع الاقتصادية.

و - الكلائية :

تقوم الكلائية Holism على أساس أن الكل أكبر من مجموع أجزائه، والمثال التقليدي الذي يقدم لتوضيح الفكرة هو «الماء» الذي يتكون من الهيدروجين والأكسجين، لكن في الماء خواص ليست متوافرة في أي من مكوناته منفردة. وبالتالي فالتغير المستقبلي هو ليس مجموعة تراكمات، وترابط الظواهر في المستقبل ليس تجميعاً لها. (عبد الحى، 2007، بتصرف)

س - الانتماء القومي والأيدولوجي للباحث:

بقدر تعدد الفروع العلمية التي تعتبر أرضاً مشتركة للدراسات المستقبلية، فإن هناك تنوعاً مماثلاً في اتجاهات الباحثين المستقبليين وانتماءاتهم القومية والأيدولوجية، الأمر الذي يلقي بظلاله وانعكاساته على الدراسات المستقبلية بصورة مباشرة. نقصد بذلك انتماء الباحث في الدراسات المستقبلية لدولة متقدمة صناعياً أو دولة نامية؛ يحدد كيفية تناوله لكل قضايا المستقبل الصناعية والزراعية والبيئية، و الانتماء القومي والأيدولوجي للباحث المستقبلي يؤثر في تحديد الأولويات، والأهداف المطلوبة من الدراسات المستقبلية. (عبد الرحمن، 1988، بتصرف).

ح- تقسيم أنماط البحث المستقبلي :

تقسم مناهج البحث في الدراسات المستقبلية لدى أغلب الباحثين إلى أنماط عامة، يندرج تحت كل منها عدد من التقنيات المتقاربة في بنيتها أو توظيفها في البحث، ورغم صعوبة التصنيف هذه، وتداخل بعض جوانب التقنيات، فإن الاتجاه السائد هو تقسيمها إلى أربعة هي:

- 1- المناهج المعيارية أو الإرشادية: ويندرج تحتها تقنيات السيناريو، والعصف الذهني، والتدرج السببي، والتنبؤ الرجعي.

2- **المناهج الكمية أو الوصفية:** ويندرج تحتها تقنيات دلفي، ودولاب المستقبل، ومصفوفة التأثير المتبادل، والمنحنى الجامع، وشجرة العلائق، والسلسلة الزمنية، والإسقاط.

3- **نماذج المحاكاة والمباراة:** ويندرج تحتها تقنيات المحاكاة، والمباراة.

4- **النمذجة:** وتشمل التنبؤ التكنولوجي، وتحليل المضمون.

ومن المعلوم أن الدراسات المستقبلية لا تقتصر الواحدة منها على تقنية دون غيرها، ولكنها تعمل على توظيف كل هذه التقنيات للوصول إلى النتائج الأكثر دقة. (عبد الحي، 2007، 10).

لقد تناول هذا الكتاب هذه المفاهيم الأساسية في دراسات استشراف المستقبل لأنها ضرورية في فهم تقنيات رسم صورة المستقبل من خلال الحاضر. وردت في نهاية الكتاب هذه المصطلحات بصيغتها باللغة الإنكليزية.





الفصل الثالث (مستقبل النظم الاجتماعية)

- أولاً: النماذج العالمية لدراسة المستقبل.
- ثانياً: مستقبل الاشتراكية في المجتمع.
- ثالثاً: حول حاضر الصين ومستقبله.
- رابعاً: مستقبل الوطن العربي.



الفصل الثالث

مستقبل النظم الاجتماعية

تناول هذا الفصل أنماط الدراسات المستقبلية للمجتمعات، ومستويات التحليل الكمي والكيفي للمعطيات، وتوظيفها في التخطيط المستقبلي. ثم تناول الفصل الثالث النماذج العالمية التي درست المستقبل، وكيف نظرت المعاهد العلمية إلى مستقبل الجنس البشري على كوكب الأرض، وقد فصل الكتاب هذه النماذج- هي سبعة نماذج- لتوضيح أفكار العلماء عن مستقبل المجتمعات، وكذلك تطور أفكارهم بتطور المجتمعات، ودخول عناصر جديدة مؤثرة في التطور مثل: الشبكة، ووسائل التواصل الاجتماعي؛ لأن كل عنصر جديد- إذا كان مفصلياً- قد يغير مجمل مخططات العلماء عن المستقبل، لننظر كيف غيرت جائحة فيروس كورونا أفكار البشرية عن المستقبل، وعن النظام الصحي العالمي.

وركز الفصل على النموذج المرتبط بإقامة العدالة بين البشر بنظام يتشارك فيه الناس في كل شيء، فبعد محاولات لإقامة المدن الفاضلة، قامت الاشتراكية العلمية اعتماداً على أفكار ماركس و لينين، وهي التجربة التي استمرت سبعين عاماً دون أن تحقق غايتها في إقامة مجتمع اشتراكي يتساوى فيه الناس بملكية وسائل الإنتاج، حتى شككت الأوساط العلمية ليس بالفكر الاشتراكي فحسب، إنما أيضاً بفكرة المساواة أصلاً.

لقد قدمت التجربة الاشتراكية شكلاً لتصور المستقبل بناء على الفكر الماركسي الذي أخذ أشكالاً متعددة في الاتحاد السوفيتي وفي الصين، ظهرت الاشتراكية فيهما بطرق مختلفة، وتطورت في مسارين مختلفين .

يخلص الفصل الثالث من دراسة النماذج العالمية والتجارب الاشتراكية إلى تحليل مستقبل الوطن العربي وسبل النهوض المجتمعي لمستقبل أمتنا كما يراه علماء الاجتماع

العرب، وقد تعاملت النماذج العالمية لدراسة المستقبل مع الوطن العربي بوصفه كتلة واحدة؛ الأمر الذي يحتم أن ينظر العرب لأنفسهم بهذه الطريقة ويعملوا على صناعة مستقبلهم بدل انتظاره.

أولاً- النماذج العالمية لدراسة المستقبل:

آ - أسباب ظهور النماذج والدراسات لاستشراف المستقبل:

ظهرت الدراسات المستقبلية في مجال محدد بعد الحرب العالمية الثانية هو: مجال الاستراتيجيات العسكرية، ثم امتدت إلى مجالات الحياة المختلفة. وازداد الاهتمام بهذه الدراسات في بلدان الغرب الأوربية والأمريكية مع عدة أمور ساهمت في نمو الدراسات المستقبلية منها:

1- زيادة المعلومات المعروفة والمسجلة عالمياً عن الدول المتعددة، في قضايا السكان والموارد الطبيعية والبشرية؛ الأمر الذي هبّ الإمكانات لرسم خارطة عالمية للموارد المتاحة وتطوراتها الممكنة.

2- وضوح أثر التخطيط الاستراتيجي، والفائدة الفعلية منه في قضايا السكان والاقتصاد والأبنية الاقتصادية والاجتماعية، وضرورة التخطيط طويل الأمد لمصير الأجيال القادمة.

3- ظهور إمكانات الحاسب الآلي الكبيرة في معالجة المعلومات الضخمة وتخزينها واستعادتها، والتعامل مع الجداول والمعلومات الإحصائية بدقة، مهما بلغ حجم المعلومات وتنوعها.

4- فرضت الصراعات الإقليمية والعالمية ضرورة استشراف المستقبل؛ لمعرفة التدابير الممكنة لتجنب الحروب البينية من جهة، ومعالجة آثارها من جهة أخرى.

5- مكنت وسائل الاتصال الحديثة العالم من تبادل المعلومات والأخبار والنشرات.. عن مختلف بقاع الأرض؛ لرسم استراتيجيات ضرورية لكل بلد في رسم توجهات الرأي العام الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

6- نضوب الموارد الطبيعية، وازدياد الاهتمام العالمي بقضايا البيئة والحياة البرية، فرض الحاجة لرسم سياسات مستقبلية للتعامل مع البيئة وحمايتها.

ب - أنماط الدراسات المستقبلية:

فكرة الأنماط تعتمد على كيفية قيام الباحث بإنجاز الدراسة المستقبلية، وشكل قيامه بتوصيف مدخلات إجراء البحوث ومخرجاتها، التي تتم بالأنماط الآتية:

- النمط الأول: هو النمط الحدسي Intuitive:

يستند هذا النمط إلى الخبرة الذاتية في الأساس. ويرى البعض أن هذا النمط من الدراسات المستقبلية ينتمي إلى العمل الفني أكثر منه إلى العمل العلمي، حيث يفتقر إلى القاعدة الموضوعية من البيانات والملاحظات التي يمكن بالاعتماد عليها تقويم التنبؤات التي يتوصل إليها الباحث تقويمياً علمياً. ولذلك توصف هذه الدراسات بالذاتية، فهي عادة تنبثق عن رؤية حدسية تعكس ذاتية الفرد وخبراته الخاصة، ويقوم هذا النمط على محاولة التعرف إلى التفاعلات والتشابكات التي تؤدي إلى صورة معينة يتوقعها سلفاً الباحث دون أن يدعى إثباتها. وهنا تبرز أهمية العوامل الذاتية، فالحدس ليس إلهاماً ولكنه تقدير يراه بعض الناس الذين يُشغَلون بهموم مجتمعهم، ويسلمون علمياً ببعض الأفكار والنظريات التي يمكن أن تلخص أو تعبر عن مصالح محددة.

- النمط الثاني: هو النمط الاستطلاعي Exploratory:

ويهدف هذا النمط إلى استكشاف صورة المستقبل المحتمل أو الممكن تحقيقه عن طريق نموذج صريح للعلاقات والتشابكات. ويبدو هذا النمط أكثر موضوعية من النمط

السابق، وإن كان العنصر الذاتي لا يختفي منه تماماً؛ إذ إن النمط الاستطلاعي يستخدم لاستكشاف الآثار المستقبلية المحتملة والقائمة على افتراضات معينة، الأمر الذي يعني أن هذا النمط لا يصلح لاختبار جميع الافتراضات الخاصة بدراسة مستقبل ظاهرة ما، بل تقتصر صلاحيته العلمية على استكشاف المسار المستقبلي للظاهرة المدروسة في ضوء الافتراضات التي وضعها الباحث، والتي لا تخلو من التأثير بمواقفه الذاتية واختباراته الأيديولوجية علاوة على انتمائه القومي. فنحن هنا إزاء عملية اختبار وتفضيل لا تخلو من الاعتبارات القيمية المسبقة.

وإذا كان النمط الحدسي يعتمد على حصيلة الخبرات الشخصية والذاتية للباحث؛ فإن النمط الاستطلاعي من الدراسات المستقبلية يعتمد على قاعدة موضوعية من البيانات والمعلومات ذات الطابع الكيفي والكمي مما يستلزم الاستعانة بأساليب بحثية متقدمة تتمثل في أساليب التحليل الرياضية والإحصائية، وأسلوب تحليل النظم وبحوث العمليات. وقد شاع أخيراً استخدام الأسلوب المورفولوجي رغم حداثة اكتشافه في مجال البحوث المستقبلية، ويحتل هذا الأسلوب أهمية خاصة في إطار النمط الاستطلاعي للدراسات المستقبلية، ويركز هذا الأسلوب على ضرورة التعرف إلى جميع التأثيرات التي تحيط بالظاهرة المدروسة من خلال كشف تسلسلها سعيًا لاستطلاع آفاقها المستقبلية المحتملة، و يُستخدم هذا الأسلوب من خلال مجموعة خطوات تبدأ بتحديد المشكلة مع التركيز على أبرز معالمها أو ملامحها ثم محاولة النفاذ إلى التفاصيل الخاصة بكل معلم أو ملمح من ملامحها وتحديد الأفق المستقبلي المحتمل له، ثم تقويم هذه الاحتمالات.

- النمط الثالث: هو النمط الاستهدافي أو المعياري Normative:

يبدو العنصر الذاتي سافراً في هذا النمط على عكس النمط السابق (الاستطلاعي)، بل يمكن اعتبار هذا النمط تطويراً للنمط الحدسي المستمد من الخبرة

والتخيل والبصيرة. وينطلق النمط المعياري من العبء الذاتية للباحث ولكنه يتجاوزها مستفيداً من شتى الإضافات المنهجية التي استحدثتها العلوم التطبيقية والرياضية مع عدم إغفال أهمية الخبرات والاستبصارات. ويبدأ هذا النمط بتحديد أهداف معينة سلفاً ثم يصوغ النموذج على نحو يسمح بتحديد الخطوات والسياسات الكفيلة بتحقيق أهداف الدراسة المستقبلية. ويتميز هذا النمط بالتدخل الواعي من أجل تغيير المسارات المستقبلية للظواهر المدروسة في ضوء أهداف محددة سلفاً (صور المستقبل العربي، 1982، 181)

وقد استلزمت الطبيعة النوعية الخاصة لهذا النمط استحداث أساليب بحثية جديدة تمثلت فيما يسمى بالاستثارة الذهنية الجماعية وأسلوب دلفي، ويعتمد كل من هذين الأسلوبين على رصد تصورات مجموعات من الخبراء والمتخصصين عن المستقبل المتوقع في مجالات تخصصهم، وهنا يبرز الإسهام الذي قدمه العالم الرياضي الأمريكي أولاف هلمر عام 1959 حيث نشر دراسة هامة عن (الإطار المعرفي للعلوم غير الأساسية)، أوضح فيها إمكانية الاستعانة بشهادة الخبراء في المجالات العلمية التي لا يتوافر لديها رصيد معرفي يسمح باستخلاص القوانين العلمية، وقد اعتمد في استقاء شهادة هؤلاء الخبراء على أسلوب دلفي الذي يقضي بالحصول على رأي كل خبير على انفراد، من دون علم زملائه. وقد أجريت عدة تعديلات على هذا الأسلوب بهدف الاستفادة من الاستخدامات الحديثة للكمبيوتر.

وخلافاً للنمط الاستطلاعي نبدأ الخطوات المنهجية في البحوث المعيارية من رسم صورة المستقبل المستهدف تحقيقه ثم نتقل إلى الحاضر. ومن هنا جاء الاختلاف في الأساليب البحثية المتبعة في كل نمط، غير أن ذلك لا يمنع من اشتراكهما في بعض الأساليب.

ومن أبرز الأساليب المستخدمة في النمط المعياري الأسلوب المعروف باسم شجرة العائلة Family Tree Method ، ويقوم على أساس تحديد الهدف المرغوب في تحقيقه مستقبلياً بالنسبة للظاهرة المدروسة، وهذا يمثل قمة الشجرة، ثم تنتقل من هذا الهدف إلى الحاضر الذي يتمثل في سائر فروع الشجرة، ونبحث في البدائل المختلفة لكل فرع من هذه الفروع حتى نتوصل إلى رسم صورة كاملة للبدائل المستقبلية المرغوب في تحقيقها. والواقع أن هذا الأسلوب رغم ما يتسم به من وضوح إلا أنه يستلزم بذل جهد مكثف يتميز بالدقة والشمول، حتى يمكن استيعاب جميع الاحتمالات التي يطرحها الواقع الراهن للظاهرة وترتيبها وفقاً لأهميتها، ثم تحديد السياسات اللازمة لتحقيق كل هدف من الأهداف الفرعية، ثم ربط مجمل هذه السياسات في صورة متكاملة تتضمن جميع العناصر والمؤشرات.

- النمط الرابع: نموذج الأنساق الكلية Feedback Models:

ويركز هذا النمط على مجمل المتغيرات والتشابكات في إطار موحد يجمع بين النمطين السابقين في شكل تغذية مرتدة تعتمد على التفاعل المتبادل بينهما، حيث لا تهمل ماضي الظاهرة المدروسة ولا تتجاهل الأسباب الموضوعية التي سوف تفرض نفسها لتغيير المسارات المستقبلية لها. و يستفيد هذا النمط أيضاً من مزايا النمطين السابقين، أي يجمع بين البحوث الاستطلاعية التي تستند إلى البيانات والحقائق الموضوعية، والبحوث المعيارية التي تولي أهمية خاصة للقدرات الإبداعية والتخيل والاستبصار، ويمثل هذا النمط خطوة متقدمة في المسار المنهجي للبحوث المستقبلية المعاصرة. (عبد الرحمن، 1988، 22)

وفي مجال المقارنة بين الأنماط المختلفة للدراسات المستقبلية لا يمكن ترجيح كفة أحدها على الآخر، بل يمكن القول: إن جهود العلماء المستقبليين قد انصبحت في الأساس

على محاولة الجمع بين مزايا الأنماط الثلاثة الأولى والاستفادة منها في بناء النمط الرابع المعروف بنموذج الأنساق الكلية، وإن كان هناك تحذير يطلقه هؤلاء العلماء، هو: عدم إحلال النموذج الرياضي محل التحليل النظري الذي يركز على الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية، ومراعاة ألا يكون النموذج ستاراً يخفي اختيارات محددة لا يفصح عنها صراحة.

ج - أساليب التحليل ومستوياته في الدراسات المستقبلية:

يدور الكثير من الجدل حول المقارنة بين كل من الأسلوب الكمي والكيفي وصلاحيته كل منهما لضمان الوصول إلى أكبر قدر من الدقة والموضوعية. وأصبح من الشائع ترجيح كفة الكم على حساب الكيف في كثير من البحوث والدراسات الاجتماعية المعاصرة على أساس أن التكميم بصورة المختلفة (الرياضية والإحصائية) أكثر اختصاراً ودقة في التعبير.

وقد انتقل هذا الجدل المنهجي إلى ميدان الدراسات المستقبلية، حيث يرى البعض أن الأساليب الرياضية توفر إمكانية التعامل مع المتغيرات الكمية بصورة تسمح بإدراك ما يمكن أن تؤدي إليه السياسات المختلفة من نتائج في الأمد الطويل، وأصحاب هذا الاتجاه هم في الأغلب من العلماء البارزين في مجال بناء النماذج الرياضية.

ولا شك أن هناك خلطاً غير مقصود بين المجالات البحثية التي يصلح لها كلا الأسلوبين الكمي والكيفي، ومنطق استخدام كل منهما، وحدود هذا الاستخدام. علاوة على أن أهداف الدراسة تفرض على الباحث الاهتمام بأبعاد معينة أكثر من سواها؛ ذلك أنه لا يوجد منهج واحد أو أسلوب تحليلي بعينه بإمكانه أن ينهض بمفرده بدراسة ظاهرة ما أو عدة ظواهر، ويحيط بها وصفاً وتفسيراً مبرزاً جميع جوانبها الكمية والكيفية.

فمن الواضح أن التحليل الكمي قد لا يتناسب مع بعض الموضوعات كعمليات التفاعل الاجتماعي أو التحليل التاريخي، ذلك لأن الرقم الذي تمنحه أهمية قصوى هو شيء ثابت، بمعنى أن الذين يعتمدون على التكميم يعزلون الحقيقة الاجتماعية عن مسارها الجدلي، ويحاولون تثبيتها في لحظة ما، ثم يتنبؤون بمسارات معينة لهذه الحقيقة بناء على عملية التثبيت المتعسفة، مفترضين أن العلاقات بين العوامل والمتغيرات التي يخضعونها للقياس هي علاقات دائمة وثابتة عبر الزمن، وهذا افتراض خاطئ بسبب تناقضه مع قانون الصيرورة والجدل الذي لا تستثنى منهما أية ظاهرة حية في هذا الكون. علاوة على أن ثمة ظواهر أو أبعاداً في الواقع الاجتماعي أكثر دينامية وتغيراً من سواها، وبالتالي فالإصرار على إخضاعها للتحليل الكمي يؤدي إلى تزييف فهمها وقياسها والتنبؤ بمسارها المستقبلي. ويمكن القول إن الرياضة ليست إلا أداة من أدوات البحث العلمي، وإن استخدام النماذج الرياضية لا يعني بأي حال حيادية هذه النماذج، فهي لا تقوم على افتراضات مجردة وإنما تتعامل هذه النماذج مع وقائع اجتماعية للباحث منها مواقف واعية خفية أو معلنة، وهذا لا يعني أن نتغافل عن وجود موضوعات تقتضي دراستها التركيز على التحليل الكمي خصوصاً الموضوعات التي تقيس الدرجة والشدة، مثل: الدخل القومي، والسكان، والنتائج الزراعي والصناعي، واستهلاك الطاقة.. الخ.

- الأساليب الكيفية :

يركز أنصار هذا الاتجاه على رصد الجوانب الكيفية وتحليلها مثل: قضايا الصراع الاجتماعي والأيدولوجي والقيم والفنون وسائر الموضوعات التي يغلب عليها الطابع الكيفي، وإن كانت لا تخلو من أبعاد كمية. ولا يبالى أصحاب الاتجاه كثيراً بالاهتمام ببعض المتغيرات الكمية التي قد تؤثر بالفعل في العوامل الكيفية التي يركزون عليها دون سواها. وهنا لا نستطيع أن نتجاهل مجموعة الاعتراضات التي توجه إلى الأساليب الكيفية

في التحليل وأهمها الافتقار إلى الدقة والموضوعية بسبب اعتمادها على الأحكام الانطباعية والذاتية واتسامها بالجزئية وإسقاط بعض المتغيرات أو إهمالها أثناء التحليل، فضلاً عن صعوبة أو استحالة تكرار الأبحاث الكيفية في أغلب الحالات، الأمر الذي يؤثر في ثبات أغلب الأبحاث التي تعتمد على الأساليب الكيفية في التحليل وصدقها.

- التوازن بين الكمي والكيفي :

كيف يمكن الجمع بين مزايا الأسلوبين الكمي والكيفي في الدراسات المستقبلية..؟ هناك بعض الاعتبارات العامة التي يجب أن يضعها الباحث نصب عينيه عند اختيار نوع التحليل الملائم مع مراعاة عدم الفصل التعسفي بين أنواع التحليل أو ترجيح كفة أحدهما على الآخر. بل لا بد من وضع الأسلوبين موضع الاعتبار عند دراسة الواقع المجتمعي، حتى لا يقودنا أي فصل بينهما إلى تشويه الحقيقة الاجتماعية. وتتلخص الاعتبارات فيما يأتي:

1- موضوع البحث وطبيعة الظاهرة المدروسة: وتوضح أهمية هذا العامل بسبب تباين بعض أبعاد الواقع الاجتماعي وتفاوت الأبعاد الكمية والكيفية بين ظاهرة وأخرى، فهناك موضوعات مثل: الصراع الاجتماعي والوعي والتأثير الثقافي والحضاري والموضوعات التاريخية، كل هذه الموضوعات يغلب عليها الطابع الكيفي، في حين أن هناك موضوعات أخرى مثل الدراسات الديموغرافية يغلب عليها الطابع الكمي. مثل هذه الموضوعات أو تلك تقتضي من الباحث التركيز على الأسلوب الكمي أو الكيفي مع مراعاة الاحتفاظ بالأسلوبين، ولكن بتفاوت أحدهما عن الآخر طبقاً لطبيعة الظاهرة المدروسة.

2- نمط الدراسة المستقبلية: قد يعتمد النمط الاستطلاعي في الدراسات المستقبلية على البيانات الكمية أكثر من البيانات الكيفية، وإن كان النمط الاستقصائي لا يستغني عن النوعين معاً.

3- الإطار النظري للدراسات المستقبلية: إذا أجريت الدراسة المستقبلية في ضوء البنائية الوظيفية التي تهتم بالثبات والتوازن فإن هذا يستلزم التركيز على الأبعاد الكمية القابلة للفصل والتجزئة والعد، أما إذا ركز الباحث على الأبعاد الدينامية في إطار المادية التاريخية فإن التحليل الكيفي هو الأسلوب الأكثر ملائمة في هذا الصدد.

4- مصادر البيانات: تؤثر مصادر البيانات في اختيار الباحث للأساليب الخاصة بجمعها ومن ثم تحليلها. فالبيانات الجاهزة- في سجلات أو وثائق والبيانات الميدانية التي يجمعها الباحث من خلال المقابلة بأنواعها، ومن خلال الملاحظة- تختلف عن البيانات المستقاة من وسائل الإعلام التي غالباً ما يقتضي تحليلها استخدام أسلوب تحليل المضمون أو تحليل حقول الدلالة، و يمكن أيضاً استخدام ما يسمى بالتحليل الثانوي. وتباين أدوات جمع البيانات بتباين معايير تصنيفها. فهناك أدوات يقتضي تحليل بياناتها استخدام نوع من التحليل الكيفي كتحليل المضمون، كذلك في المقابلة الحرة غير المقننة عكس الاستبيان المقنن الذي يستلزم تحليلاً كمياً. (عبد الرحمن، 1988، 25)

د- حركة النماذج العالمية لدراسة المستقبل:

بعد الحرب العالمية الثانية اهتمت الدول (الرأسمالية والاشتراكية) بدراسات تطور الإنتاج والموارد على المدى البعيد، وظهرت العديد من الدراسات والرؤى لتوقع ما تؤول إليه أوضاع البلاد والعباد المستقبلية.

يستعرض الكتاب هذه النماذج العالمية لدراسة المستقبل بتسلسل ظهورها الزمني في العلوم الاجتماعية:

1- نموذج نادي روما لدراسة المستقبل:

هو أول نموذج لدراسة المستقبل حين تولى العالمان الأمريكيان **فورستر وميدوز** بتشجيع ورعاية نادي روما - مهمة بناء أول نموذج علمي على الكمبيوتر يستطلعون من خلاله مستقبل

العالم خلال المائة عام القادمة في عدد محدد من القضايا مثل: الإنتاج الصناعي والغذاء وتلوث البيئة وتزايد السكان ونضوب الموارد، وقد نشرت هذه الدراسة تحت عنوان: (حدود النمو) في عام 1972.

انتهى فورستر وميدوز إلى أن «النمو الأسي» في بعض الأنساق الفرعية موضوع الاعتبار يصطدم بحدود طبيعية ثابتة، الأمر الذي ينتج عنه انهيار النسق العالمي في أقل من مائة عام، ويبدأ الانهيار بانخفاض تدريجي في قيمة متغير يعبر عن «نوعية الحياة»، ويظهر فيما بعد في شكل انخفاض حجم السكان نتيجة ارتفاع معدلات الوفاة.

ومن أجل تفادي هذا المصير الذي يحده بنیان النسق العالمي في هذه النماذج للبشرية، يقترح فورستر وميدوز وضع حدود اختيارية للنمو عن طريق ضبط نمو السكان في دول العالم الثالث، والحد من التكوين الرأسمالي بهدف التوصل لحالة من التوازن المستقبلي.

ومما لا شك فيه أن «حدود النمو» كان محاولة جريئة تماماً في ذلك الوقت، حيث تعامل واضعو النموذج مع العالم بوصفه كلاً متكاملاً في إطار نموذج شامل للموارد والبشر.

وقد جاء أفق الاستشراف في هذه المحاولة- الذي يمتد إلى مائة سنة أحياناً- نتيجة طبيعية للنظرة الشاملة التي تتطلب ملاحقة آثار التصنيع والفقر وإهدار البيئة وغيرها. ولذلك لا يمكن التقليل من شأن بعض المساهمات الرائدة التي قدمها أصحاب نموذج «حدود النمو»، حيث أكد عملهم على أن «الكارثة» عندما تأتي فإنها ستصيب الجميع في العالم دون استثناء، كما أكدوا أن النمط الحالي للنشاط الإنتاجي، والتعامل مع البيئة يقودان إلى الانهيار. ولكن ما يجب الإشادة به بلا تحفظ، هو مساهمتهم في الصيغ الفنية لبناء نماذج الأنساق الكلية، التي تعدّ بحق إضافة علمية جوهرية في هذا المجال.

(سعد الدين، 1982، 35)

فحين أهمل مالتوس عامل «التقدم التكنولوجي» في دراسته الاستشرافية القديمة، عندما قارن بين نمو السكان ونمو الموارد، نجد أن «حدود النمو» قد أوضح حدود الدور الإيجابي الذي يمكن أن يقوم به هذا التغير التكنولوجي في حل معضلة العالم. لذا فعندما قدر القائمون على هذا العمل أن الانجازات التكنولوجية ستكون دون مستوى الحاجات المطلوبة، انتقلوا إلى المناداة بالحد من النمو.

وليس بمستغرب أن يكون هذا هو التابع المنطقي الوحيد في نتائج نموذج لا يهدف إلى التعبير عن التوزيع، سواء بين مناطق العالم، أو بين الأغنياء والفقراء كما أنه لم يعن كثيراً بالنواحي غير الاقتصادية الأخرى. والحقيقة أن الدعوة إلى الحد من النمو قد تكون غريبة في نموذج غايته مستقبل التنمية!!

الملاحظات على نموذج نادي روما:

(1) يمثل هذا الجهد محاولة رائدة في ذلك الوقت، وقد تناول العالم على أنه كتلة واحدة متجانسة ذات حدود طبيعية ثابتة. وقد أكد أصحاب هذا النموذج على أن النمط الحالي للنشاط الإنتاجي والتعامل مع البيئة يقودان إلى الاختيار، ومن أجل تفادي هذا المصير يقترح فورستر وميدوز وضع حدود اختيارية للنمو، تتمثل في: ضبط النمو السكاني في العالم الثالث وتحجيم التوسع الرأسمالي بهدف تحقيق التوازن المستقبلي المنشود. (عبد الرحمن، 1988، 26)

(2) تهتم المحاولة بتوليد المؤشرات المحاسبية المتعارف عليها، سواء بالنسبة للمتغيرات الإجمالية المعروفة، أو بالنسبة للنشاط الصناعي.

(3) تهتم بتفصيل قطاعات الصناعة والخدمات.

(4) اهتمت كثيراً بديناميكيات العلاقات بين الظواهر على المستوى العالمي.

(5) بدأت بقاعدة معلومات ضعيفة، وكان العديد من القيم المستخدمة في التنبؤ مجرد تخمينات.

6) جاءت تقديراتها للموارد العالمية متفائلة أكثر من اللازم في ضوء الظروف العالمية المفترضة، ولعل إهمالها للعلاقة بين الموارد المتاحة والأسعار أحد الأسباب لسوء التقدير هذا. كما أن القضية الأساسية، في نظرهم هي محاربة تلوث البيئة - بمزيد من الإنفاق وليس تفادي هذا التلوث. (سعد الدين وآخرون، 1982، 36).

7) اقتصر نموذج نادي روما على مجموعة من المتغيرات، هي: السكان والطاقة والموارد الطبيعية والإنتاج الزراعي وغير الزراعي، وتلوث البيئة. أما الأساليب المنهجية فقد اعتمد هذا النموذج على ما يسمى بديناميكية الإنسان، و يحسب لهذا النموذج إسهامه المنهجي في بناء نماذج الأنساق الكلية التي يعتبرها المتخصصون إضافة علمية جوهرية في المجال.

كل نموذج يدعي الحياد له غايات اقتصادية غير واضحة؛ فقد تبين أن شركة «فيات» للسيارات وشركة «أوليفتي» لآلات الطباعة كانتا تمولان مؤسسة استشارات هندسية واقتصادية مشرفة على نموذج نادي روما.

2- نموذج ميزاروفيتش وبستل لدراسة المستقبل:

قام بهذه الدراسة العالمان ميخائيلو ميزاروفيتش، وهو أمريكي من أصل يوغسلافي، وادوارد بستل من ألمانيا بمساعدة فريق من العلماء والباحثين، وصدرت هذه المحاولة في كتاب بعنوان «البشرية على مفترق طرق» 1975. قسمت دراسة ميزاروفيتش وبستل العالم إلى عشر مناطق رئيسية لتوزع تدفقات التجارة العالمية وتوزع المظاهر البيئية والبشرية والاقتصادية واهتمت بتحليل الوضع العالمي للطاقة (خصوصاً النفط) وأوضاع الغذاء العالمية.

واستجابة للنقد الموجه لمعاملة العالم بوصفه كتلة واحدة متجانسة، ومفهوم «النمو المتجانس» في أعمال فورستر وميدوز، واستفادة من تقسيم العالم إلى مناطق، قدم ميزاروفيتش وبستل مفهوم النمو العضوي أو التمايز.

وطبقاً لهذا المفهوم يمكن التغلب على الأزمات في النسق العالمي عن طريق تغيير تركيب النسق أفقياً، أي: من خلال تغيير العلاقات بين مناطق العالم، أو رأسياً، أي: من خلال تغيير العلاقات الاقتصادية أو السكانية أو التقنية داخل هذه المناطق. وبينما كانت نتائج نماذج «ميزاروفيتش وبستل» أكثر تفصيلاً وعمقاً إلا أنها لم تختلف اختلافاً جوهرياً عن نتائج فورستر وميدوز.

- أهم نتائج دراسة ميزاروفيتش وبستل:

إن منظور الأجل القصير للمشكلات العالمية هو منظور خادع. ولكن نتائج النموذج تشير إلى أن الانهيار سوف يحدث أيضاً، وإن كان في بعض مناطق العالم، ولأسباب مختلفة وفي أوقات مختلفة، ولكن ستكون له ترجيحات عالمية، وأنه سيكون تفادي الأزمات فقط عن طريق ضبط نمو السكان في العالم والتعاون، وليس عن طريق المواجهة بين مناطق العالم، وذلك ضمن أشياء أخرى، مثل: قيام نظام اقتصادي عالمي جديد وبناء نسق عالمي لتخصيص الموارد.

ويعطي النمو أمثلة محددة لأنواع التعاون المطلوب ممارستها، بين البلدان الصناعية المتطورة والبلدان النامية، إذ ركز بعض السيناريوهات على التعاون في مجال الطاقة بالدرجة الأولى، وهو بذلك يقارن بين التعاون، وبين المواجهة والصراع، في محاولة لإثبات ميزات التعاون المقترح.

وإذا لاحظنا أن نقطة البداية في عمل المجموعة كانت هي الانتقادات التي وجهت إلى «حدود النمو» من حيث تعامله مع العالم بوصفه وحدة واحدة، وإهماله للمستويات والأقاليم في العالم، الشيء الذي دفع إلى التشكيك في نتائج «حدود النمو».

قد يكون السبب هو طبيعة «النموذج الرياضي» حيث يقصر عن التعبير عن نواح اجتماعية هي في غاية الأهمية بالنسبة لاستشراف المستقبل. ولكن قد يكون هذا السبب أيضاً أن مطلب «التعاون» وتوزيع الأدوار بين مناطق العالم، وبين فقرائه وأغنيائه... هو

من نوع النتائج التي لا تناسب من خلال نموذج رياضي، ولكنها نتيجة يرتضيها القائمون على هذه المحاولة سلفاً.

وبالطبع قد أضافت هذه المحاولة الكثير إلى المعرفة الإنسانية الفنية في مجال تحليل الأنساق والتفاعل بين أنساق إقليمية، وتوصلت إلى بعض النتائج «حسنة النية»، منها: أن معضلات العالم يمكن أن تحل بالمفاوضة لا بالمجابهة، وأن أهم ما يعترض طريق المفاوضة حالياً هو الجري وراء الربح السريع، وأن على البلدان الصناعية المتطورة أن تساعد البلدان النامية ليس خلال بيع المنتجات، ولكن خلال عمليات الاستثمار لمساعدة الأخيرة على أن تنتج بنفسها ولنفسها في إطار نظام عالمي جديد لتقسيم العمل. (سعد الدين وآخرون، 1982، بتصرف)

- الملاحظات على محاولة نموذج ميزاروفيتش وبستل لدراسة المستقبل:

(1) إن هذه المحاولة اهتمت كثيراً بأزمة الطاقة على الصعيد العالمي، وفي المعالجة اقتصرت على أن يحكم «قطاع الطاقة» باقي عناصر النموذج فقط، لذلك عند تطبيق النموذج، وفي حال وجود نقص في موارد الطاقة بنسبة معينة، فالنتيجة الوحيدة هي انخفاض الإنتاج في بعض القطاعات على نحو يتناسب مع ذلك.

(2) يهتم النموذج بإبراز التفاصيل السكانية لكل منطقة بالعالم، ولكن يقصر عن دراسة العلاقة الديناميكية بين السكان والتنمية. بيد أن معالجة السكان لا تتعدى حساب نسبة القوة العاملة بالسكان وأحياناً مستويات الهجرة، وبالإضافة إلى ذلك فهناك علاقة لربط الوفيات بالنقص في الإمداد بالغذاء بالمناطق التي بها عجز في موارد البروتينات والسعرات الحرارية.

(3) تعالج الدراسة تدفقات السلع من خلال مجمع للموارد والمنتجات. وتعمل تماماً العلاقات الثنائية بين المناطق، ولا يقلل من هذه الخاصية في هذا النموذج العالمي

- محاولة ربط الواردات بالنتائج القومي، أو تعبيره عن الصادرات لكل منطقة بحصة من الصادرات العالمية. هنا نلاحظ أيضاً، أن ذلك لا يؤثر في بقية أجزاء النموذج.
- (4) تغطي منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بمعالجة خاصة ونموذج خاص في هذه المحاولة، وذلك للتعبير عن سوق للعمل، وعن ظاهرة هجرة العمل.
- (5) العلاقات الرياضية في هذه المحاولة بسيطة تماماً؛ إذ لا تتناول آثار تغذية عكسية بين المتغيرات خلال مدد زمنية متباعدة، كذلك لا تتضمن تأثيرات لتغير الأسعار، إلا من خلال معاملات رأس المال ومن خلال تلك النسبة من الإنتاج التي توجه لأغراض الاستثمار في السلع الإنتاجية.
- (6) يجري التعامل مع البيئة بطريقة مشابهة للمحاولة السابقة فالمشكلة تنحسر إلى مجرد «إزالة آثار التلوث» وليس تفادي وقوعه، ومن خلال نسق فرعي شبه منعزل عن باقي الأنساق.
- (7) يجري حساب السيناريوهات المختلفة في هذه المحاولة بدءاً من تحديد حجم المساعدات الخارجية ومعدلات الاستثمار لكل منطقة في ضوء الموارد المتاحة.
- (8) المعايير المستخدمة في تحديد ما يعد بمزايا إيجابية لمنطقة «شمال أفريقيا والشرق الأوسط»، هي تراكم ثروة تمتلكها المنطقة في الدول الصناعية، وليس تنمية القدرات الذاتية للمنطقة والتراكم الرأسمالي المحقق للتنمية داخلها. (سعد الدين وآخرون، 1982، 39).
- (9) أكد ميزاروفيتش على ضرورة ضبط النمو السكاني في العالم وخاصة في الدول النامية، وتحقيق تعاون بين الدول القائمة في إطار نظام اقتصادي دولي جديد.
- (10) التزم النموذج بالأفق الزمني لتجاوز القرن العشرين واستخدم أساليب منهجية متطورة لتحليل المدخلات والمخرجات في الاقتصاد ودراسة التقسيم الأفقي والرأسي للعالم وخاصة العوامل الجغرافية والبشرية والاقتصادية. (شددو، 2003، 336).
- 3- نموذج مؤسسة باريلوتشي لدراسة المستقبل:

من بين مجموعة النماذج العالمية، يبرز نموذج «أمريكا اللاتينية» الذي بني في مؤسسة باريلوتشي بالأرجنتين بطابع خاص؛ إذ إن كثيراً من ملامحه تميزت عن بقية النماذج: فعلى خلاف أعمال فورستر وميدوز وميزراوفيتش وبستل، التي تدعي العلمية والحياد، أي اللا عقائدية يعترف عمل مؤسسة باريلوتشي بداية بأن له موقفاً عقائدياً، إذ يتبنى قضايا العالم الثالث، ويقوم على منظور استهوائي للعالم، وينتقد النموذج الأحوال المتردية في العالم حالياً، ويرجعها إلى أنماط جائرة واستغلالية للتنظيم السياسي الاجتماعي على مستوى العالم وداخل الكثير من بلدانه، ويلاحظ أن حالة البؤس المرتبطة بفكرة الانهيار التي تنبأت بها النماذج الأخرى للعالم، أو لمناطق فيه، لا تختلف كثيراً عن ظروف الحياة الراهنة لغالبية البشر.

ويروج فريق العمل الذي قام ببناء النموذج لمجتمع جديد اشتراكي النزعة: مجتمع يقوم على المشاركة الجماهيرية ولا تكون فيه الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وسيلة للتمييز والسيطرة، مجتمع لا يكون فيه الاستهلاك هدفاً في حد ذاته، ويجري فيه تصميم الإنتاج لإشباع الحاجات الأساسية التي تحدد مجتمعياً.

وبهذا الشكل حدد فريق العمل لنفسه مسبقاً، وعلى نحو واضح، موقفاً نظرياً يستند إلى الاتجاهات الحديثة في الفكر التنموي لدى بلدان العالم الثالث.

وقد أظهرت الدراسات التي أجريت في إطار برنامج مؤسسة باريلوتشي للنموذج العالمي أن «الحدود الطبيعية»، المدعى ثباتها في الأعمال الأخرى في مجال النماذج العالمية، تتوقف على درجة معرفتنا، وأنها ليست بالصرامة التي بشر بها تقرير «حدود النمو» والكتابات المماثلة، وقد بني هذا النموذج العالمي ليوضح كمياً إمكانية إقامة المجتمع الجديد المقترح، وعلى وجه التحديد كان هدف النموذج إظهار أنه يمكن كمياً إشباع الحاجات

الأساسية للبشر: الغذاء، و السكن، و التعليم، والصحة عند مستويات مقبولة، أي تفادي انهيار النسق العالمي. (سعد الدين وآخرون، 1982، 40).

وقد قسم هذا النموذج العالم إلى أربع مناطق: واحدة تشمل الدول المتقدمة (الرأسمالية والاشتراكية)، وثلاث مناطق تشمل القارات الثلاث، وهو يتكون من ثلاث أنساق فرعية، هي: السكان والغذاء والموارد الاقتصادية. ويتميز هذا النموذج عن النماذج السابقة في الهدف إذ ألزمت مجموعة باريلوتشي نفسها بوضع نموذج عالمي معياري لاهتم بالتنبؤ بما سوف يحدث إذا استمرت التوجهات الراهنة في النظام العالمي، وإنما اهتمت برسم طريق يساعد على التوصل إلى إشباع الحاجات الأساسية لشعوب العالم خلال ستين عاماً بدءاً من عام 1980، وذلك بشرط تخصيص 2% من إنتاج العالم المتقدم للمساعدة غير المشروطة لشعوب آسيا وأفريقيا، وبهذا تسقط الحجة الزائفة التي اعتمدت عليها النماذج الأخرى والتي تشترط تنظيم النسل في العالم الثالث؛ من أجل تفادي الانهيار المتوقع للنسق العالمي الراهن.

وتتمثل القضية المحورية لهذا النموذج في تحقيق العدالة في توزيع الدخل وتحقيق الاستقلال الاقتصادي لشعوب العالم الثالث، ويحدد القائمون على هذا النموذج ملامح المجتمع الجديد الذي يعتمد على العدالة الاجتماعية والمشاركة الشعبية، وتختفي فيه أشكال السيطرة الفردية القائمة على امتلاك وسائل الإنتاج وأشكال الاستهلاك المبالغ فيها، ويجري تخطيط الإنتاج الذي يفي بالحاجات الأساسية للسكان طبقاً لبرامج تنموية تستهدف تحقيق مصالح مختلف الجماعات السكانية دون تمييز. (عبد الرحمن، 1988، 30)

أخذ نموذج باريلوتشي على عاتقه تحقيق الطرق والوسائل التي يجب اتباعها مستقبلاً من أجل إشباع الحاجات الأساسية لشعوب العالم خلال ستين عاماً من

1980-2040، وطالب الدول المتقدمة بتخصيص 2 % من إنتاج العالم المتقدم لمصلحة الدول النامية. أصدر هذا النموذج دراسته للمستقبل في كتاب (كارثة أم مجتمع جديد) عام 1976. (شودود، 2003، بتصرف).

فأهم ما يميّز العالم الآن هو أن ثلثي البشرية تعيش في فقر وبؤس، والمجموعة المتبقية تمارس الإسراف في استهلاكها، بل بدأت بالإحساس بعواقب هذا الإسراف وتدميره للطبيعة. وهنا ينتقد القائمون على الدراسة، كلاً من النمط الغربي والأوروبي الشرقي، ويطالبون بمجتمع «أكثر مثالية» محددين له عدداً من الملامح في مجال العدالة الاجتماعية والمشاركة الشعبية. والوصول إلى هذا المجتمع هو عملية استهدافية واعية - وهذا هو دور النموذج الرياضي في الواقع - إذ يعرض لنا مقارنة بين المسار إلى هذا المجتمع المثالي والمسار الآخر، لو تركت الأمور كما هي عليه الآن.

وهنا تظهر دلالات الحسابات كما قدمت في «كارثة... أم مجتمع جديد؟» فالبلاد المتقدمة يمكنها تحقيق مستويات عالية للرفاهية، وإن كان على المستقبل العالمي المشترك إرغامها على تخفيض معدلات نموها وقبول علاقات دولية جديدة. وهنا لا تبرز «مشكلة السكان» كما في الدراسات الأخرى، ولكن القضية المركزية هي العدالة في توزيع الدخل، وتحقيق البلدان النامية لهياكل اقتصادية مستقلة وموجهة لإشباع حاجات تجمعات إقليمية منها، وهكذا تستطيع أمريكا اللاتينية إشباع حاجات كل سكانها في عام 2000، وتستطيع أفريقيا ذلك أيضاً في عام 2008، أما بالنسبة لآسيا فإن الكثير يجب عمله في مجال التنمية الزراعية حتى يمكن تفادي الانهيار، وبالتسلسل نفسه أيضاً تبين الحسابات أن التوزيع الحالي للموارد بين مناطق العالم إنما يؤخر تحقيق الأهداف المنشودة مدة جيلين على الأقل.

- الملاحظات على نموذج باريلوتشي لدراسة المستقبل:

- 1) استبعد النموذج عن عمد قضية تلوث البيئة، حيث اعتبر الحل البسيط لتدهور البيئة هو التنظيم الاجتماعي، والفكاك من النمط الغربي في الاستهلاك، والتطور التكنولوجي المستقل.
- 2) ترجمت الدراسة معايير إشباع الحاجات كافة، في مؤشر واحد «تركيبي» هو توقع العمر عند الولادة.
- 3) تستبعد الدراسة التعبير عن المسارات الزمنية والسياسات التفصيلية للوصول إلى المجتمع المثالي المنشود، واكتفت بوضع الشروط اللازمة لتحقيق ذلك.
- 4) أهملت الدراسة التبادل التجاري بين مناطق العالم، باستثناء الانتقال المادي للأصول الرأسمالية.
- 5) لم يتضمن النموذج تفصيلاً لقطاع الصناعة. (سعد الدين وآخرون، 1982، 42).

4- نموذج ليونتييف لدراسة المستقبل:

ينطلق هذا النموذج من استراتيجية التنمية العالمية التي تبنتها الأمم المتحدة عام 1970 لعقد التنمية الثاني. و يقسم العالم إلى 15 منطقة، لكل منها جدول (مدخلات ومخرجات) يضم 48 قطاعاً، ويجري الربط بين مناطق العالم من خلال قنوات التجارة الدولية في حوالي أربعين فئة من السلع والخدمات ورؤوس الأموال. وقد تركزت محاور النموذج حول مجموعة من المتغيرات شملت تفاوت مستوى المعيشة بين القطاعات المتقدمة والأقل تقدماً من البشرية في ضوء مشكلات الغذاء والتلوث والطاقة والزراعة والتجارة الدولية. وقد طرح النموذج تصورات مستقبلية للاقتصاد العالمي تتمثل في إيجاد مسارات بديلة للتنمية الاقتصادية على المستوى العالمي، تبدأ من عام 1970 حتى عام 2000، وقد أكد هذا النموذج على ما سبق أن أشرنا إليه في نموذج أمريكا اللاتينية على عدم

وجود حواجز طبيعية تحول دون التنمية الشاملة والمستقلة في العالم الثالث، وأكد أن الحواجز هي - أساساً - سياسية - اجتماعية ومؤسسية. (Leontif, 1976)

قدمت دراسة ليونتييف السبل الأساسية لتوازن الاقتصاد العالمي بين الدول الغنية والفقيرة من خلال:

آ - إذا تحققت أهداف النمو الدنيا المحددة للبلاد الأقل تقدماً في استراتيجية التنمية الدولية (6 بالمئة الناتج الإجمالي سنوياً)، وكذلك معدلات النمو السائدة حالياً في البلدان المتقدمة، فسيؤدي هذا إلى الإبقاء على التفاوت الحالي في الدخل للفرد حتى عام 2000.

1- تحقيق معدل نمو متوسط في دخل الفرد يبلغ 4.9 بالمئة سنوياً في البلاد النامية، وذلك يتطلب معدل استثمار حوالي 30-40 بالمئة، بالإضافة إلى تغييرات جذرية أخرى.

2- إتباع نمو السكان للإسقاطات المنخفضة أو المتوسطة للأمم المتحدة.

3- انخفاض معدل النمو في دخل الفرد في البلاد المتقدمة عن مستوى 4 بالمئة لدى زيادة الناتج الإجمالي للفرد عن 4000 دولار في السنة.

ب - لا تقف حواجز طبيعية أو تقنية مانعة في طريق التنمية المتسارعة للعالم الثالث خلال هذا القرن، وعلى العكس، فالحواجز هي أساساً حواجز سياسية - اجتماعية - ومؤسسية الطابع سواء داخل البلاد الأقل تقدماً نفسها أو في النظام العالمي.

ت - حل المشكلات الملحة أمام العالم الثالث يبدأ باستزراع المناطق غير المستغلة ومضاعفة إنتاجية الأرض، وكلاهما ممكن فنياً، لكنه يحتاج إلى تغييرات جذرية، وهناك أهمية خاصة لتوافر الصناعات الثقيلة بمناطق العالم المختلفة.

ج- الإمداد بالموارد المعدنية حتى نهاية القرن، لا يعود إلى مشكلة الندرة، ولكن ترجع مشكلاته إلى سوء الاستغلال، وقلة البحث عن احتياطات إضافية، وسوء التوزيع بين مناطق العالم.

ح - تلوث البيئة لن يمثل مشكلة خطيرة حتى نهاية القرن، ويمكن توفير الحلول «التكنولوجية» الملائمة لهذه المشكلة.

خ- الطريق إلى حل مشكلات العجز في ميزان المدفوعات هو الوصول إلى نظام دولي جديد، بالنسبة للدول النامية، «ذات العجز»، ومن خلال الإقلال من وارداتها من السلع المصنعة.

- الملاحظات على نموذج ليونتييف لدراسة المستقبل:

(1) يعتبر هذا النموذج حالة خاصة في منهجية الحساب - مقارنة بالنماذج العالمية الأخرى - من حيث كونه يبدأ بالاستثمار كمتغير خارجي ومنه يجري حساب مستويات الإنتاج، أو العكس.

(2) يحوي النموذج تفصيلاً كبيراً لقطاع الصناعة وقطاع الطاقة.

(3) يستخدم نموذج ليونتييف «المدخلات والمخرجات» بدلاً عن الصيغ البسيطة لتداول الإنتاج المستخدمة في النماذج الأخرى.

(4) يؤثر إنتاج الغذاء المحسوب من النموذج على معدلات الوفيات، ولكن من ناحية أخرى تهمل كل الديناميات الداخلية، مثل: العلاقة بتوزيع الدخل وسياسات الحد من الإنفاق، والخارجية الخاصة بسياسة الواردات. أي أنه يصعب اعتبار النموذج مهتماً بسياسة إشباع الحاجات الأساسية.

(5) يعالج النموذج تدفقات التجارة الدولية من خلال آليات سوق عالمية، دون أن يأخذ في الاعتبار العلاقات الثنائية وتجمعات الأسواق الجزئية.

(سعد الدين وآخرون، 1982، 44).

6) ركزت دراسة ليونتييف على ضرورة ضبط زيادة السكان في الدول الفقيرة؛ مع أن المشكلة أساساً في ضعف تأهيل القوى العاملة في البلدان الفقيرة، وقلة المشاريع الإنتاجية لاستيعاب القوة العاملة في البلدان الفقيرة، فالأهم توظيف الزيادة السكانية تنموياً.

5- نموذج (ساروم) لدراسة المستقبل:

اعتمد هذا النموذج في إدارة البيئة في انكلترا من قبل العالم (ساروم Sarum) لتدارك عيوب النماذج الأخرى من حيث ضعف قاعدة البيانات، وقد حرص ساروم على توضيح الأساس النظري الذي يقوم عليه النموذج.

ولقد وضع بناء النموذج لأنفسهم هدفاً هو بناء نموذج محاكاة Simulation، له أساس نظري متسق، وينطلق من علاقات مقبولة تحليلياً بحيث يمكن به دراسة مستقبل الموارد العالمية، ويعطي النموذج اهتماماً خاصاً لتأثير نضوب الموارد الطبيعية، والتغيرات التكنولوجية على مستقبل التوازن الاقتصادي والرفاهية في العالم.

وقد جاء النموذج في بدايته يقسم العالم - في ضوء ترجمة القائمين عليه للأهداف الموضوعية - إلى 3 شرائح عالمية تختلف من حيث نصيب الفرد من الدخل، الأولى: الولايات المتحدة الأمريكية، والثانية: الدول المصنعة، والثالثة: تتكون من الدول النامية والصين. ويسمح النموذج بدرجة كبيرة من التقسيم القطاعي؛ الأمر الذي يعطي الفرصة لتفصيل العرض والطلب على الغذاء بالإضافة إلى ضبط التناسق القطاعي للصناعة، فالنهج النيو كلاسيكي الذي روعي في بناء النماذج جعل «العالم فيه يعمل كنظام موحد للسوق الحرة، فلا فرق هناك بين فرد يعمل بالإدارة ويسعى لتعظيم الربح، أو دولة تسعى لتعظيم الفائض الاقتصادي، ونجد أن العمالة تنتقل بين القطاعات والأقاليم بحرية كاملة.

في هذا النموذج لا يتحدد حجم السكان على المدى الطويل من خلال النموذج، و تحمل بعض القضايا العالية مثل قضية التلوث. ولكن من ناحية أخرى، فللنموذج بعض المزايا، وعلى رأسها: المناطق المختلفة، بالإضافة إلى تطوير قاعدة البيانات.

ومن حيث النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة نجد أنها لا ترى الكثير مما يمكن أن يحققه العالم الثالث في مجال المشاركة في الإنتاج الصناعي العالمي، ولكنها من ناحية أخرى تعطي أكثر النتائج تفاؤلاً بالنسبة لمستقبل الغذاء في العالم الثالث. ولا يرجع هذا إلى تحسين قاعدة البيانات فقط، ولكن أيضاً إلى أن الدراسة استهدفت عن قصد أعلى مستويات الاستثمار في الزراعة للبلدان النامية، وافترضت أقصى مستويات التفاؤل بالنسبة لحدود التوسع الأفقي والرأسي للزراعة.

- الملاحظات على نموذج (ساروم) لدراسة المستقبل:

- (1) محاولة ساروم من أكثر المحاولات اهتماماً وتكاملاً في معالجة قطاع الزراعة.
- (2) تحوي الدراسة تفصيلاً واسعاً لقطاع الصناعة.
- (3) تعطي الدراسة اهتماماً واضحاً، وإن كان غير كافٍ، للعلاقة بين الاستهلاك وتوزيع الدخل.
- (4) يعتد النموذج بالعلاقات الثنائية في التجارة الخارجية بين الشرائح المختلفة في تقسيمه الثلاثي للعالم، بالإضافة إلى معدلات التبادل والآثار التبادلية للتجارة الخارجية مع بقية أجزاء النموذج. (سعد الدين وآخرون، 1982، 46).
- (5) فرض نموذج ساروم على الدول النامية التوجه نحو الزراعة، لأنه يريد أن تبقى الدول النامية تابعة اقتصادياً للدول المتقدمة، وتبقى على تخلفها عن الدول المتقدمة صناعياً؛ لإبقاء السيطرة على دول العالم الثالث.

6- نموذج جاك أتالي لدراسة المستقبل:

يوضح الكاتب الفرنسي «جاك أتالي» في كتابه (آفاق المستقبل) 1992- مستنداً إلى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية، وتطور العلم والتكنولوجيا، والتفجر السكاني، والمتغيرات في السلوك البشري- أن الزعامة السياسية في العالم سيكون أساسها في المستقبل القدرة الاقتصادية وليس القدرة العسكرية، وبالتالي فإن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي سينتقلان من المركز الأول في الزعامة العالمية إلى المركز الثاني، وستتنافس على مركز السيادة العالمية كل من اليابان، و دول الشاطئ الشرقي للمحيط الهادي وأوروبا الموحدة.

يرى أتالي أن عصرنا يشهد تفكك التكتلات الدولية وانتصارات جديدة للديمقراطية، وتطور العلوم الاجتماعية المعاصرة التي يمكن استخدامها لإدراك مغزى الأحداث الذي تفاجئ عالمنا كل يوم، ويلاحظ أن الدول الكبرى تنتهج سياسة اقتصادية تخالف الاتجاه الطبيعي، بما في ذلك المضاربات المالية، ونقص الادخار، والتضخم النقدي، وعجز المؤسسات، الأمر الذي يؤثر في سوق الأوراق المالية، ويبطئ وتيرة التوسع الاقتصادي، وتعاني الولايات المتحدة الأمريكية بخاصة هذه الآثار، وتنعكس نتائجها على الاقتصاد العالمي.

ومن الملاحظ أن المنتفع من النمو الاقتصادي حالياً - حتى في البلدان الأكثر غنى- هو جزء محدود من السكان، بالإضافة إلى أن المؤسسات التي تشكل البنية التحتية في البلدان الغنية أصبحت مهترئة وعاجزة، ولاسيما التعليم والصحة والمواصلات، ومما يثقل كاهل هذه البلدان انتشار المخدرات، وسوء استخدام مفهوم الحرية الفردية وحرية الاستهلاك . و الذي يعمل على تراجعها.

أما بلدان الجنوب فهي محرومة، تهددها المجاعة، ولاسيما بلدان العالم الثالث بما في ذلك أمريكا اللاتينية وأفريقيا... ولن تتوقف شعوب هذه البلدان عن المطالبة بحقوقها في الحياة الكريمة والحفاظ على ثروتها الوطنية.

يرى «أتالي» أنه- لما كان العنف مستمراً في حياة الكائن البشري وفي المجتمع- لابد من توضيحات ومنغصات، وكان ينظم العنف عادة ويشرف عليه في رأي «جاك أتالي» ثلاث سلطات مهيمنة عبر التاريخ، هي: السلطة الدينية، والعسكرية، والاقتصادية.

فالأولى تدير العلاقات مع العالم الآخر، والثانية تنظم العلاقات بين الزمر الاجتماعية. والثالثة تدير العلاقات داخل الزمرة الواحدة، ومع التوسع التدريجي لحجم الأشكال الاجتماعية انحسرت السلطة الأولى، وبرزت السلطان الثانية والثالثة بقيام الإمبراطوريات الكبرى، فحل الشرطي في ضبط النظام محل رجل الدين إلى حد بعيد.

أما في عصرنا فقد ظهر نمط جديد من القيمة، إذ أصبح النقد مقياس كل شيء وأصبح له دور في تشكيل الحياة، وفرض نفسه قوة اقتصادية في تنظيم الحياة ومقاومة العنف.

في المستقبل ستكون اليابان القلب المحتمل للنظام التجاري الجديد، فهي رائدة تقنيات السلع المرتحلة، ونظامها يجمع بين الدولة والمؤسسات، واليابان تتولى دور القلب دون أن تغامر بدفع ثمن القيادة، ومن المرجح أن يقوم تعايش طويل بين نظامين: الأول عملاق سياسي هو الولايات المتحدة، والثاني عملاق اقتصادي هو اليابان ويتنافسان في الوقت ذاته للسيطرة.

وفي داخل كل منهما ينشأ صراع بين السلطتين السياسية والاقتصادية لتولي القيادة. وإلى جانب هذين النظامين بلدان تحتل مركز الوسط كبلدان المحيط الهادئ بالنسبة لليابان، أما أوروبا فتسعى إلى التوحد، وستكون المنطقة الممتدة بين لندن وميلانو قلب هذا التجمع.

أما الهند والصين فبالرغم من نموها وتنافسهما، فإنهما يحتاجان إلى مرحلة لاحقة لمنافسة الأنظمة المسيطرة كاليابان وأوروبا.

وفيما يتعلق بمصير المناطق والأطراف المحرومة، فإن مستوى المعيشة فيها سيتدنى لعجزها عن تطوير بنائها التحتية وأنظمتها التعليمية والصحية، وستزداد الهوة اتساعاً بينها وبين الشمال.

إن نظام التجارة الحالي مصدر خطر للجنس البشري لأنه يستبدل بالخدمة الحية وسائل اصطناعية، ويجول الطبيعة إلى بضاعة، حتى الإنسان ينذر بتحويله إلى سلعة، ولا بد من إدخال تغيير جوهري على خطوط المستقبل، وستكون السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين حاسمة، يتوقف عليها الجنس البشري، والمطلوب إقامة نظام نقد دولي مستقر يقرب بين العملات الرئيسية، ويساعد البلدان الأخرى على النمو، وإقامة نظام مصرفي ومالي للحد من المضاربات المالية، وضمان حرية التجارة الدولية بفتح أسواق الشمال أمام منتجات الجنوب وتوفير القطع النادر لبلدانه، والحد من التسلح، وحماية البيئة ومحاربة المخدرات، والبحث عن توازن دولي أفضل، ولا يتم ذلك إلا بتخلي الدولة الكبرى عن سعيها لاحتلال المركز الأقوى واعتمادها على قوة المال في السيادة على العالم. (جاك أتالي، آفاق المستقبل، خلاصة).

7- نموذج أنتوني جيدنز لدراسة المستقبل:

قدم المفكر الاجتماعي البريطاني «أنتوني جيدنز» وجهة نظره حول مستقبل العالم في كتابه (الطريق الثالث) من خلال:

آ - أفكار جيدنز السياسية :

1) تحدث جيدنز عن تحولات الأحزاب السياسية الأوربية بتنامي الاهتمام بقضايا البيئة، وهو ما حدث في ألمانيا بتأثير حضور حركة الخضر، ونشوء أحزاب ديمقراطية في أوروبا الشرقية.

(2) يرى أن العلاقة بين اليسار واليمين تغيرت، والتقارب يزداد، ويرى السبب عائداً إلى العولمة وتفكك الشيوعية واختفاء الاشتراكية بوصفها نظرية في الإدارة الاقتصادية.

(3) يميل جيدنز إلى الأخذ بفكرة الوسط النشط أو الراديكالي، وهو ما يجب أن تأخذ به الديمقراطية (الوسطية السياسية).

(4) أكد على مفهوم دولة الرفاه الاجتماعي التي تعني: توفير حاجات الإنسان الأساسية، وأهمها التأمين الصحي الشامل، وصولاً إلى تحقيق الرفاهية الاجتماعية في مجتمع يطلق عليه اسم مجتمع الوفرة، و جعل من توفير الاحتياجات الأولية للإنسان مسلمات لا غنى عنها. ثم ناقش أن انفتاح السوق الحرة قد يضر بدولة الرفاه وتتحطم علاقات الدولة بالرفاه لأن خفض التلوث مثلاً يحتاج تعاوناً دولياً. (جيدنز، 2002، 94).

(5) يرى جيدنز بأن الانتماء الطبقي قد تراجع أثره في الانتخابات لصالح مؤشرات أخرى مثل العمر والتوجهات، من ذلك أن عدد المنتمين للمجتمعات الطوعية يزيد 20% على أولئك الذين ينتمون إلى الأحزاب السياسية.

(6) يحدد جيدنز عناصر جديدة للاستقطاب الأيديولوجي، هي: الطريق الثالث: طريق الديمقراطية الاجتماعية، ولا مركزية السلطة السياسية ضماناً لتدفق المعلومات من القاعدة إلى القمة.

(7) يقول جيدنز: «إن المهمة الملقة على عاتق البشرية مستقبلاً هي الإمساك بدفة التطوير الاجتماعي بنفسها ولنفسها، وتوجيه مساره بطريقة واعية. إننا نحن، أو بإمكاننا نحن، أن نكون سادة مصائرنا». (جيدنز، 2002، 83).

ب - أفكار جیدنز الاجتماعية:

- 1) يرى جیدنز أن المساواة - إذا أمكن أن تتحقق - مفروضة من الأعلى أي من قبل الدولة، وقد تكون على حساب حرية الأفراد وحراكهم الاجتماعي، ويصبح التضامن الاجتماعي نوعاً من الاستبداد السياسي مفروضاً على المجتمع والأفراد.
- 2) يرى جیدنز التضامن الاجتماعي ضرورياً للمجتمع، وأنه لا بد أن يطبق بأساليب تكيفية مع تطور الحياة الاجتماعية.
- 3) يرى جیدنز استحالة العودة للأسر التقليدية، ويضع مؤشرات أوربية ترتبط بارتفاع نسبة الطلاق والإنجاب دون زواج والعزوبة.
- لذلك يجد الحل في الأسرة الديمقراطية التي تضمن حقوقاً متساوية لأعضائها.
- 4) لا بد من الحرص على وظائف الأسرة الاجتماعية والبيولوجية، وهي وظائف في البلدان الأوربية لا تقع على الأقارب - كما في الشرق - وتقع دائماً على الحكومات، الأمر الذي يتطلب محافظة الأسرة على وظائفها واستقلالها، وهو أمر غير سهل.
- 5) يقترح جیدنز: إلغاء سن التقاعد؛ لأن كبار السن موارد وليسوا مشكلة، وإلغاء تشريعات التقاعد والتشارك مع كبار السن والضمان الاجتماعي هو الحل لمشكلة المسنين ومعالجة البطالة. (شلويط، 2011، بتصرف).

ج - أفكار جیدنز الاقتصادية:

- 1) مقترح لربط أسواق المال: إمكانية ربط العملات العالمية سوية، فيتحول الصراع بين تكتلات العملات إلى تنسيق وتعاون لمصلحة الأسواق العالمية، وجعل معدلات الفائدة ثابتة، وتشجيع الاستثمار طويل الأجل.

(2) طالب بتنسيق العمل الدولي للسيطرة على أسواق المال، وهو عمل دولي مهم خاصة بوجود المخاطر البيئية.

(3) يقول جیدنز إننا ندخل في مرحلة «رأسمالية الدولة الاحتكارية» التي يمتزج فيها رأس المال بجهاز الدولة، وتعتمد الدولة على وفرة المعلومات في تحديد مستقبلها.

(4) أثرت العولمة - برأي جیدنز - كثيراً في مجتمع المستقبل رغم إيمانه بأن الدولة القومية لم تختف بعد، لكن العولمة ساهمت في زيادة النزعة الفردية، ويفهم جیدنز العولمة على أنها منظومة اتصالات معولمة توحد المعايير.

يحدد معنى العولمة بأنها: العمل والتأثير عن بعد، وقد ربط شيوعها بظهور وسائل الاتصال الفوري وحركة الانتقال الجماعية الواسعة على نطاق الكوكب. (جیدنز، 2002، 11)

(5) يقول جیدنز : (أطلقت العولمة تحولات عميقة في عالم العمل، فقد تركت أنماط التجارة العالمية وأساليب الانتقال إلى اقتصاد المعرفة آثاراً بالغة في أنماط الاستخدام والعمالة، فلحقت البطالة بالعمال الصناعيين الذين لا يمتلكون المهارات الجديدة لدخول الاقتصاد القائم على المعرفة، وقد أدت العولمة الاقتصادية في كثير من بقاع العالم إلى تزايد البطالة وارتفاع معدلات الجريمة والانحراف). (جیدنز، 2005، 138).

(6) العولمة غيرت أنماط العمل: يرى أن دخول المرأة سوق العمل إلى جانب الرجل أدى إلى تأخير سن الزواج، وتغير أدوار العمل في أماكن العمل (ظهور العمل المرن)، وفي تقسيم العمل المنزلي. فالعمل يحتل المحور الرئيسي لحياة الكثير من الناس.

تعدّ الدراسات المستقبلية عند أنطوني جیدنز محاولة جادة لفهم التحولات العالمية ورصد اتجاه التطور العالمي بعد ثورة المعلوماتية والعولمة.

ثانياً - مستقبل الاشتراكية في المجتمع:

ظهرت الاشتراكية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، بوصفها نقداً نظرياً وعملياً للنظام الرأسمالي الحديث النشأة، فانطلقت من نقاش مبادئ العقلانية (الأزلية) التي وصفتها فلسفة التنوير، التي مفادها إدارة الاقتصاد من خلال آليات السوق الرأسمالية وممارسة الديمقراطية البرجوازية، ولما كانت الصيغ الباكزة معتمدة على مرجعية أخلاقية ذات أصول دينية في كثير من الأحيان؛ فإن تبلور الفكر الماركسي في مرحلة تالية أعطى شرعية علمية للمشروع الاشتراكي.

لقد أعطى ماركس (1818-1883م) الفكر الاشتراكي، وقيام الدول على أسس من العدالة في سلطة الطبقة العاملة - كما اعتقد - دفعة قوية لفهم التطور التاريخي على أسس علمية تحدد المسار التاريخي، ومستقبل الدولة والصراع الطبقي والإنسان...

ثم جاءت الثورة الروسية وأعلنت إمكانية (بناء الاشتراكية) على أساس مبادئ الماركسية، وتلتها ثورات أخرى استلهمت هي الأخرى المبادئ نفسها في الصين وغيرها. ومنذ عام 1917م انقسمت الحركة الاشتراكية إلى: جناح (ثوري) ينادي بالقيام بثورات على النمط الروسي - الصيني وجناح (إصلاحي) سائد في الغرب الرأسمالي المتقدم يرفض الماركسية اللينينية، ويتبنى التغير الاجتماعي التدريجي لمختلف قطاعات الدولة دون دم.

يؤكد دوركهيم أن الاشتراكية جاءت نتيجة لزمان ومكان محددين، واستجابة للثورتين السياسية والصناعية أواخر القرن الثامن عشر وما بعده، وتمتد الجذور الفكرية للاشتراكية إلى عصر التنوير. ويضيف دوركهيم أن إنتاج الثروة هو أساس سعادة الفرد والحياة الاجتماعية؛ فأصبح التحرر يعني تحرير قوى الإنتاج من قيود التقليد، و تحرير العقل من العقائد الجامدة.

لكن دوركهائم يرى ألا ضرورة لتبعية الاقتصاد للسيطرة السياسية، بل الأهم هو اندماج الاقتصاد والدولة على نحو يفضي إلى اختفاء السيطرة السياسية في نهاية الأمر.

ويرى دوركهائم أن فكرة المساواة التي عرضتها المبادئ الاشتراكية هي فكرة فضفاضة في كل مراحل تطورها، وأنها لا يمكن أن تحقق العدالة.

صورة الاشتراكية عند ماركس ليست متعلقة بعدم المساواة الاقتصادية، بل بالاستغلال. والفرق عند ماركس بين مجتمع طبقي ومجتمع لا طبقي هو أن المجتمع الطبقي لا يسمح بالتحكم العقلاني في الحياة الاقتصادية، والمقصود بالتحكم الواعي هو: التخطيط الاقتصادي. (جيدنر، 2002، 83-89).

انقسمت الحركة الاشتراكية بين الإصلاحية والاشتراكية الثورية، و أدى هذا الانقسام أن يحط الماركسيون من قدر الديمقراطية والحقوق الديمقراطية الشاملة بدعوى أن سلطة الطبقة العاملة والثورة أولاً.

لكن الحركة الاشتراكية الإصلاحية طلبت تغييرات متدرجة خوفاً من فساد نظام تنوير المجتمع وقسمه إلى مؤيد ومعارض، وكذلك تجنباً لحكم تسلطي قد يفرضه الحزب الواحد.

يبدو اليوم للعديد من المحللين أن هذا الانقسام لم يكن له أساس مقنع، بل أدى إلى مأزق مزدوج لكل من المحاولات (الثورية) من جانب، والممارسات الإصلاحية من الجانب الآخر.

فهذا الانقسام مسؤول عن انهيار النظم الشرقية، وعن تنازلات الاشتراكية الديمقراطية الغربية بحيث إن المحللين يتطلعون إلى احتمال العودة إلى (وحدة الصف الاشتراكي)، ولو حول أحزاب الاشتراكية الديمقراطية.

أخذت النظم الوطنية بعدد من مبادئ المجتمع الاشتراكي بشكل انتقائي، ومنها كثير من البلدان النامية مثل التأمين والتخطيط والحزب الواحد. وعلى هذا الأساس ذهب البعض من المحللين الاشتراكيين إلى إعلان قناعتهم أن (الانتقال إلى الاشتراكية) أمر محتمل من خلال تطوير هذه النظم وإكسابها مزيداً من الجذرية أي: (الطريق غير الرأسمالي على سبيل المثال).

بالرغم من مواصلة دول الاشتراكية ممارسات (البناء الاشتراكي) على أسس وطنية إلا أنها قد أخذت هي الأخرى بالانفتاح على السوق العالمية تدريجياً، أما بلدان العالم الثالث فقد اندمجت خلال العقود الأربعة الأخيرة في هذا النظام الرأسمالي العالمي بقدر متزايد لم يسبق له مثيل حتى في عصر الكولونيالية، وتنطبق هذه السمة على الجميع بما فيهم النظم الوطنية الجذرية، وإن كان بدرجات مختلفة.

ويستنتج من هذه التطورات أن الرأسمالية العالمية قد حققت خطوات واسعة خلال هذه العقود بالرغم من إنجازات الاشتراكية في الشرق وفي الجنوب، فكان هذا التطور يحمل في طياته تناقضاً متزايداً يضاف إليه تناقض متزايد آخر، ألا وهو: التناقض الناتج عن استمرار التنمية اللا متكافئة بين مراكز النظام (أي: بلدان الغرب الرأسمالي المتقدم) و أطرافه (أي: بلدان العالم الثالث).

والخيار هنا هو بين الاشتراكية أو الهمجية، وهذا الخيار يفرض نفسه في الظروف الراهنة بقدر لم يسبق له مثيل في تاريخ الإنسانية، ولكن ليس معنى هذا الاستنتاج أن (الاشتراكية) لا تعاني من أية أزمة.

فأزمة الاشتراكية القائمة بالفعل هي أن قيم الاشتراكية تقوم على نقد علمي للحدود التاريخية الحقيقية للرأسمالية، إذ نجح فعلاً الفكر الاشتراكي في إثبات عدم علمية منهج فلسفة التنوير، وهو جوهر الفكر البرجوازي في بحثه عن عقلانية أزلية تتجاوز حدود التاريخ! وعلى هذا الأساس طرح الفكر الاشتراكي بديلاً يعطي للنضال الاجتماعي هدفاً

يسمح بتجاوز تناقضات الرأسمالية وحدودها التاريخية، علماً بأن هذا البديل يظل مشروعاً مستقبلياً، وأن إجراءات إلغاء مؤسسات الرأسمالية (الملكية الخاصة) لا تمثل نهاية المطاف، بل فقط نقطة البدء التي تنطلق منها المسيرة الطويلة نحو الاشتراكية.

ونحن الآن أمام نظم ادعت أنها اشتراكية فألغت فعلاً الملكية الخاصة وأقامت محلها مؤسسات أخرى لإدارة الاقتصاد والسياسة، ولكنها دخلت فجأة في مرحلة الانهيار.

والتطور اللامتكافئ للرأسمالية العالمية قد جعل (ثورات) الاشتراكية أمراً خارج التاريخ، والمجتمعات الرأسمالية المتقدمة لا تعاني أزمة اجتماعية حادة تدفع الطبقة العاملة فيها إلى الثورة، بينما الطبقات الشعبية (وليست الطبقة العاملة) في أطراف النظام هي التي تعاني أزمة حادة لا حل لها في إطار الرأسمالية، فتجعل انتفاضتها ضد الرأسمالية أمراً وارداً في جدول التاريخ. (أمين، 1997، بتصرف)

ومن أهم نتائج هذا أن إشكالية الانتقال إلى الاشتراكية تطرح نفسها على نحو يختلف جوهرياً عن تصورات الفكر الاشتراكي الكلاسيكي، الذي ظل أسير تصوره التقليدي لثورة عمالية تحدث في بلد متقدم من حيث نمو قوى الإنتاج فتؤدي إلى تطور سريع نحو المجتمع اللا طبق.

وفيما يخص النظم الاشتراكية التي دخلت في أزمة بنيوية عميقة: تجلت في انتفاضات فجائية تستدعي تساؤلات جديدة عن مستقبل اندماج النظم الاشتراكية بالنظم الرأسمالية.

إن هذه التساؤلات تستدعي النظر في مشكلات الاشتراكية الثلاث الآتية:

1- مشكلة الديمقراطية: وهل ستسود الممارسة الديمقراطية البرجوازية فقط أم ستخطو خطوة في اتجاه ديمقراطية ذات مضمون اجتماعي قائمة على إدارة مجتمعية للاقتصاد؟

2- مشكلة السوق: هل ستتجه هذه النظم نحو الخضوع لآليات السوق؟ علماً بأن السوق هنا لا بد أن تكون من النوع (الهمجي) فتكون العودة إليها في هذه الظروف مجرد مرحلة في سبيل العودة إلى المنشأة الخاصة، أم أنها ستتجه نحو تحديد التخطيط على أساس غير بيروقراطي، بحيث تحدد الخطة هامشاً محدداً لآليات السوق؟

3- مشكلة الانفتاح على الخارج، ومضمون التساؤل هنا هو الآتي: هل ستتجه النظم الاشتراكية نحو انفتاح منفلت؟ أم ستتجه نحو تطبيق مبدأ فك الارتباط بمعناه الصحيح أي الهيمنة الوطنية الشعبية على الانفتاح؟

- إن الالتباس حول هذه المشكلات ناتج عن غياب شفافية المرحلة التي فتحتها الثورات في بلدان الكتلة الشرقية، ذلك لأن الوراثة الإيديولوجية لا تزال تنظر إلى هذه المجتمعات على أنها اشتراكية. فالقوة التي تميل إلى (العودة إلى الرأسمالية) تدعو إلى الاستسلام أحادي الجانب والكلي لقاعدة السوق، وبالتالي (الانفتاح الخارجي)، وذلك سواء أصبح ديمقراطية أم لا، والقوى الاشتراكية لم تنجح إلى الآن في مواجهة هذه الخطة بديل فعال.

والإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة المطروحة تتوقف على نتائج الصراع الطبقي الدائر في هذه البلدان، والحل التقدمي السليم لجميع النزاعات الاجتماعية والسياسية والقومية الجارية حالياً ينبغي أن يعتمد على مزيد من الديمقراطية، فالسبب الأساسي للالتباس الحالي يعود بالدرجة الأولى إلى الممارسات غير الديمقراطية.

- مستقبل الاشتراكية في العالم الثالث:

دخل الفكر الاشتراكي في بلدان العالم الثالث في سياق حركة التحرر الوطني، الأمر الذي يجد تفسيره في ظاهرة الاستقطاب، وهي ظاهرة مفادها: أن آليات النظام الرأسمالي

العالمي لا تمثل عنصراً موافقاً لتبلور برجوازية وطنية جديدة قادرة على مواجهة تحديات العصر، فلا مفر إذاً من اتخاذ طريق فك الارتباط، وفتح باب مرحلة الانتقال الصعب نحو استقلالية القرار.

ومستقبل الاشتراكية على صعيد عالمي يتوقف إلى حد كبير على مدى قدرة شعوب الجنوب على مواجهة تحديّ التوسّع الرأسمالي مواجهة إيجابية، فالخيار بين الاشتراكية والهمجية يفرض نفسه هنا بأقصى قوته، فالتجارب الاشتراكية للعالم الثالث المعاصر لم تقم على أساس ثورات وطنية شعبية صحيحة، بل كانت مجرد ناتج مأزق التنمية الرأسمالية المندرجة في إطار النظام الرأسمالي العالمي، ففي أحسن الفروض كانت هذه التجارب تشير إلى احتمال التطور نحو نظام وطني شعبي، لا أكثر من ذلك.

إن الثورات القادمة سوف تظل متخلفة، أي: مشابهة في الجوهر للثورات الوطنية الشعبية السابقة، و نرى أن النضال من أجل الديمقراطية قبل إتمام الثورة وبعدها سوف يظل ضرورة ملحة؛ لأن الديمقراطية تمثل المحور الأساسي من أجل تطوير الثورة نحو الاشتراكية، فليست الديمقراطية ترفاً يمكن الاستغناء عنه، بل هي الوسيلة الوحيدة من أجل تقوية النزعة الاشتراكية.

ويمكن القول إنه من العسير تصور تفاصيل سياسات (فك الارتباط) المطلوبة: ذلك لأن النظام العالمي نفسه في تطور مستمر، بل إنه يمر حالياً بمرحلة حاسمة، فلم تظهر بعد ملامح مستقبلية واضحة.

أما فيما يخص مستقبل الاشتراكية في الغرب: فإن الغرب من حيث المبدأ لا يمثل حالياً المركز الأساسي الذي تنبع منه قوى اجتماعية تدفع نحو الاشتراكية، وغالباً لن يتغير هذا الوضع في المستقبل المنظور.

فالاشتراكية التي نشأت في الغرب في القرن التاسع عشر، هجرته لتستقر في أطراف النظام العالمي، حيث ألهمت ثورات الشرق وانتفاضات الجنوب، بحيث إن الخطوات الأولى مهما ظلت ضعيفة وقابلة للانقلاب في المسيرة الطويلة نحو مجتمع يتجاوز حدود الرأسمالية؛ فقد انطلقت من هذا المحيط المتخلف.

وأرى أن هذه الظاهرة تظهر انعكاساً لما يسمى قانون التطور اللا متكافئ، الذي يعني أن تجاوز نظام ما يبدأ دائماً من الأطراف غير المكتملة لهذا النظام، وليس من مراكزها القوية. (أمين، 1999، 231-240).

إن الأفكار الاشتراكية التي طرحها ماركس وطبقها لينين 1917 شهدت تراجعاً بتفكك الاتحاد السوفييتي عام 1991م وتغير الاستقطاب العالمي لصالح الهيمنة الأمريكية؛ قاد إلى فهم جديد للاشتراكية، بوصفها حلماً للبشرية لتحقيق العدل والمساواة على كوكب الأرض.

ثالثاً - حول حاضر الصين ومستقبلها:

تتميز التجربة الصينية بالسّمات الثلاثة الآتية:

- 1- الوظيفة القيادية للحزب.
- 2- هيمنة الدولة في المجال الاقتصادي وإحلال أشكال ملكية الدولة والجمعيات التعاونية محل الملكية الخاصة لأهم وسائل الإنتاج.
- 3- التخطيط الاقتصادي المركزي.

هذه السمات في الواقع مشتركة بين جميع التجارب الاشتراكية التي استلهمت الماركسية، فينبغي نقاش هذه السمات والكشف عما يكمن وراءها من جوهر وأشكال وأنماط، وعما تقصر هذه السمات في التعبير عنه، رغم الفروقات.

لقد نشأ الحزب البلشفي في روسيا القيصرية في بداية القرن العشرين في أوساط الانتلجنسيا المثقفة الثورية (التي خرج منها معظم الزعماء التاريخيين لثورة 1917م)، ثم نجح في كسب الطبقة العاملة الصناعية منذ ثورة عام 1905م في روسيا، لكن لم يكن لهذا الحزب جذور في الريف، إذ كان معظم الطبقة العاملة من المدينة، فكان الحزب البلشفي العمالي هو القوة الثورية المسيطرة على الريف، وانعكست هذه الأوضاع في صفوف سوفيات (مجالس الشعب) عام 1917م: أغلبية عمالية في الحضر، وأغلبية اشتراكية ثورية في الريف، بيد أن الحزبين قد تلاقيا في معاداة الدولة البرجوازية خلال الحرب العالمية الأولى (1914م-1918م)، ثم تحالفا أثناء الثورة على أساس تبني برنامج إصلاح زراعي جذري، مفاده: توزيع كل الأرض الزراعية على جميع الفلاحين العاملين تقريباً على قدم المساواة.

جدير بالذكر أن هذا البرنامج لم يكن أصلاً برنامج حزب لينين البلشفي بل برنامج الحزب الاشتراكي الثوري في روسيا، فالحزب البلشفي نشأ وغما بعيداً عن مشكلات الريف، فاكتفى حتى ثورة 1917م بإعلان الموقف النظري للأمية الثانية الماركسية، و هو: إلغاء الملكية الخاصة وإحلال ملكية الدولة محلها، وهذا طرح إشكاليات كبيرة حول شكل التأميم، وملكية الدولة للأراضي التي حلت في روسيا بعد الاشتراكية محل الإقطاعي، وأحياناً كثيرة - في العهد الستاليني - أصبحت أقصى من الإقطاعيين.

في التحليل الماركسي تقوم البرجوازية بثورتها في مراكز المدن وفي المصانع، وتتسلم الطبقة العاملة السلطة لإقامة دولة العمال، وفي هذه المرحلة (ديكتاتورية البروليتاريا) يكون الحكم للعمال ويصبح الفلاحون درجة ثانية، لأن العمال - كما يرى ماركس - أصحاب الحق التاريخي في قيادة المجتمع، وهذه نقطة خلافية بالنسبة لكثير من المفكرين بعد ماركس، فبأي حق ديمقراطي تحكم الطبقة العمالية الطبقات الأخرى، التي تتضمن طبقة الفلاحين؟

والأمر مختلف بالنسبة لبلدان العالم الثالث؛ لأن هذه البلدان لم تحدث فيها ثورة برجوازية، و قد انتقلت من النضال ضد الاستعمار لتحقيق الاستقلال، إلى إقامة مجتمع ديمقراطي شعبي، فيه طبقة العمال ضعيفة كما هي طبقة الفلاحين، فلقد اعترض الفلاح في روسيا عام 1939م على الدولة لأنها تأخذ نصف إنتاج أرضه؛ فأمر ستالين بأخذ كامل إنتاج الأرض للدولة، لأن الاتحاد السوفيتي في حالة حرب !!

بينما النظام الصيني لم يفرض على الفلاحين تسليم الإنتاج بأسعار مخفضة للغاية، كما كان الشأن في الاتحاد السوفيتي، و لم يكن من الممكن تصور مثل هذا الخطأ في ظروف الصين الموضوعية، فإنها لم تتجاوز حدوداً معتدلة، لا تقارن مع الشروط التي فرضت على فلاحي الاتحاد السوفيتي، لا شك أن ثمة تناقضات داخلية للحزب الشيوعي الصيني ظهرت منذ إنشائه، إلا أن هذه التناقضات لا تتعلق بموضوع ثورة الفلاحين بشكل مباشر على الأقل، بل تخص إشكالية أخرى، هي ناتج تقابل أهداف الثورة الاجتماعية (وهي بدورها مزدوجة الطابع، أي: برجوازية - فلاحية من جانب واشتراكية من الجانب الآخر)، وأهداف التحرر الوطني البحت للتخلص من الاستعمار في الصين.

كانت الصين شبه مستعمرة يتحكم الاستعمار الياباني في شؤونها، وقد أثرت هذه الظروف في جميع القوى والمنظمات السياسية في الصين، وهذا أمر طبيعي نجده أيضاً في جميع أقطار العالم الثالث، التي تعاني هيمنة الاستعمار.

وفي ظروف الصين آلت هذه الأوضاع إلى انضمام عدد كبير من المثقفين الوطنيين المعادين للاستعمار إلى الحزب الشيوعي الصيني، خاصة في مرحلة التصادم المباشر مع اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية؛ فكان هؤلاء المثقفون يغذون ميولاً اجتماعية برجوازية، ولم تكن تطلعاتهم المستقبلية اشتراكية أصلاً، وجذبهم الحزب الشيوعي على أساس ميولهم الوطنية، ونفورهم من خيانة الحزب الوطني، وعدم فعالية البرجوازية في مواجهة الغزو الياباني.

ويمكن ذكر ملاحظتين حول اشتراكية الصين:

1- لا شك أن الانفتاح الصيني على الخارج يحمل في طياته خطر تغلغل نفوذ استعماري في داخل المجتمع، والغريب هو أن معظم هؤلاء الذين يتهمون الصين بالتنازل أمام الاستعمار، على نمط ما حدث في كثير من بلدان العالم الثالث، لا يدركون أو يتجاهلون أن درجة انفتاح الصين على الغرب أخف بكثير مما هي عليه في الاتحاد السوفييتي نفسه، فمهما كانت المعايير المستخدمة لقياس هذا الانفتاح لا نرى أنه خطر حقيقي على استقلال الصين، قد يؤدي بها إلى حالة تبعية على نمط هيمنة الدول الرأسمالية على العالم الثالث، المهددة فعلاً بإعادة (كومبرادوريتها).

إن الخطر الحقيقي هنا هو: تلاقي عامل توسيع العلاقة مع الخارج مع عوامل داخلية حتى تتآزر وتتقوى الميول الرأسمالية الوطنية على حساب الاتجاهات الاشتراكية.

2- لا شك أن المراجعة الصينية جاءت أيضاً نتيجة نضوج مشكلات جديدة هي من إنجازات الفترة السابقة، واستحالة استمرار الاعتماد على ممارسات قد بلغت حدودها في كثير من الحالات، ففي ميدان التنمية الزراعية مثلاً اعتمدت ممارسات المدة السابقة على تعبئة العمل لتخصيصه للاستثمارات الجماعية في إطار الكومونات، وعلى تكثيف العمل الإنتاجي المباشر بأقل ما يمكن من إنفاق على المكننة واستخدام الوسائل العلمية الحديثة، وهذا أمر في غاية الأهمية فقد سعت الصين إلى توسيع الاعتماد على اليد العاملة، بدل المكننة المتطورة لأن في ذلك تشغيلاً مثمراً لعمال الصين، وقضاءً على البطالة، في مجتمع فيه أكبر تعداد سكاني في العالم.

أثرت في الصين ثلاث قوى كانت تدفع باتجاهات متعددة لمستقبل الصين :

أولاً : القوى الدافعة في اتجاه التطور الاشتراكي ومصدرها الطبقات الشعبية، التي عبأت قواها خلال الثورة من أجل تحقيق الأهداف الاشتراكية وإيدولوجيا الطبيعة الماركسية، التي لعبت الدور الحاسم في هذه التعبئة و التوعية، بقيادة زعيمها ماو تسي تونغ.

وثانياً : هي الدافعة في اتجاه استمرار، بل إنماء علاقات إنتاج رأسمالية، وهنا لا نعتبر أن هذه القوى هي مجرد انعكاس لبقايا الماضي، بل إن تنمية قوى الإنتاج في هذه الظروف التاريخية يستحيل أن تتفادى فتح مجال لتوسيع العلاقات الرأسمالية، إلا أن هذا التوسيع لا يعني بالضرورة خضوعه لمقتضيات التوسع الرأسمالي العالمي.

فالدولة الوطنية موجودة هنا، وهي عنصر يستطيع أن يمنع تآزر القوى الرأسمالية الداخلية مع القوى المهيمنة على صعيد عالمي لدرجة تؤدي إلى عودة الرأسمالية البحتة.

وثالثاً : هي الدولة، وهنا يركز على دورها بوصفها مجرد وسيلة لتنفيذ مصالح طبقية، وعلى هذا الأساس يدعي البعض أن إلغاء الملكية الخاصة (وبالتالي القضاء على الطبقة الرأسمالية) قد جعل الدولة وسيلة في خدمة الجماهير، بينما يدعي البعض الآخر العكس، أي أن هذه الدولة أصبحت تخدم نظاماً رأسمالياً أعيد بناؤه.

الأفضل عدم الاكتفاء بهذه الادعاءات الثلاثة، فمن جهة لا نقبل أن المجتمع الذي ليس اشتراكياً إنما هو بالضرورة رأسمالي، ومن جهة أخرى نرى أن الدولة في هذه الظروف التاريخية تلعب دوراً مستقلاً، بل هناك احتمال تاريخي وارد مفاده أن يتبلور نمط اجتماعي جديد حول هيمنة الدولة، ولذلك أطلق على هذا النمط اسم «الدولنة»، والدولنة هي: سيطرة الدولة على مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بحيث تقطع الطريق على القوى الاجتماعية الأخرى، وتحدد لها مساراتها المستقبلية.

- إن المجتمعات الاشتراكية (الموجودة فعلاً) كما يقال تنتمي جميعاً إلى مرحلة ما بعد الرأسمالية، تعمل وتتناقض فيها القوى الثلاث المذكورة، إلا أن تأزر هذه القوى يتخذ أشكالاً ملموسة مختلفة من بلد إلى آخر، ومن مرحلة إلى أخرى طبقاً للتطورات التاريخية العينية الخاصة بكل مجتمع.

إن نموذج الصين إلى الآن يجمع بين الاتجاهات الثلاثة بشيء من التوازن، فليست كل القوى في الصين موحدة في مركز وحيد، بل هناك تداخل على المسرح السياسي الصيني بين القوى الشعبية الاشتراكية بطبيعتها، والاتجاه الرأسمالي الذي اعتمد على نمو الاقتصاد الصيني الكبير، وسلطة الدولة المركزية في الصين.

يتهم جیدنر الصين بتجاوز الاشتراكية وهذا غير صحيح؛ لأن الصين لا تزال تعتبر نفسها سائرة على طريقها الاشتراكي الخاص وتتخذ لنفسها نموذجاً لتحقيق الاشتراكية مع العدالة الاجتماعية، حتى مترجم كتاب جیدنر عن (مستقبل السياسات الراديكالية) يجد أن جیدنر مححف بحق الصين التي تبني تنمية متقدمة اعتماداً على تجربتها الاشتراكية، ويرى المترجم عكس جیدنر أن الرأسمالية الغربية حاربت الاتحاد السوفييتي وحاربت وعزلت الصين؛ لكن رغم ذلك أثبتت الدولتان جدارتهما وحققتا تنمية حقيقة، وأن المقاطعة الأمريكية للصين لم تجدد نفعاً في وقف تطور الصين الصناعي. (جیدنر، 2002، 97).

- مستقبل العلاقات الصينية العربية:

إن الصين عملاق اقتصادي في العالم، ويمكن أن تقوم بدور فاعل في المنطقة العربية، لكن أولويات الصين مختلفة منها: (1) تخفيف هيمنة الحزب الشيوعي الصيني وتحميل صورته.

(2) السعي لوحدة الأقاليم الصينية، ولا سيما تايوان.

(3) تحديث الاقتصاد والجيش.

(4) تحقيق تفوق إقليمي أكبر.

(5) تعظيم نفوذ الصين عالمياً.

فالصين تسعى لدور اقتصادي في المنطقة العربية؛ لكن أولوياتها الداخلية أهم، بينما العرب يتطلعون في الواقع إلى دور سياسي صيني فاعل وردعي للسلوك الأمريكي. عموماً لم يكن للصين تاريخياً دور استعماري في المنطقة، مثل أوروبا، و التوجه العربي نفسه أكبر نحو أوروبا و أميركا والاتحاد السوفيتي السابق سياسياً واقتصادياً وثقافياً؛ الأمر الذي جعل دور الصين في المنطقة العربية لا يناسب دورها الاقتصادي العالمي. (علي، 2006، بتصرف)

والحرب التجارية الدائرة في بداية القرن الحادي والعشرين بين الولايات المتحدة والصين تثبت بوضوح خوف أمريكا من نهوض العملاق الصيني، وأن الصين تقف ندياً بوجه أمريكا، وتحقق نمواً اقتصادياً على مستوى العالم بنموذج الاقتصاد الاشتراكي الذي رسمته لنفسها، حتى أزمة اجتياح فيروس كورونا العالمية 2020م استغلت سياسياً للحرب الباردة بين الصين وأمريكا.

رابعاً - مستقبل الوطن العربي :

ليس هناك وصفة سحرية لتجاوز التخلف وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، لكن الواضح للعيان أن تحقيق التنمية لا يمكن أن يتم دون توحيد جهود البلدان العربية، وتشكيل قوة دولية فاعلة كما فعلت جميع التجارب الدولية للنهوض في جميع القارات.



مستقبل العرب في اتحادهم

ليس هناك وصفة سحرية لتجاوز التخلف وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، لكن الواضح للعيان أن تحقيق التنمية لا يمكن أن يتم دون توحيد جهود البلدان العربية، وتشكيل قوة دولية فاعلة كما فعلت جميع التجارب الدولية للنهوض في جميع القارات.

1- الحاجة إلى الاندماج العربي :

ليس هناك من شك أنه في ظل الضغوط التنافسية الجديدة في الاقتصاد العالمي وتسريع معدلات التطوير التقني (التكنولوجي) للمعدات والسلع والخدمات، تصبح هناك ضرورات ملحة للبحث عن صيغ جديدة لتوسيع حيز «الفضاء الاقتصادي» (Economic Space)، الذي تتحرك في إطاره الوحدات الاقتصادية القطرية العربية. ويقتضي ذلك بدوره البحث عن صيغ وأشكال للتجمع الاقتصادي الإقليمي، باعتبارها مستويات «وسيط» تحدد من خلالها «الوحدات القطرية» شكل علاقتها ومستوى تعاملاتها مع الاقتصاد الكوني في عمومها.

وبالتالي، فعلى رسمي السياسة الاقتصادية، والمخطط الاستراتيجي عموماً، في أي بلد عربي أن يدركوا نمط التداخل والترابط بين ثلاثة مستويات في العلاقات الاقتصادية:

آ - المستوى القطري (داخل حدود التراب الوطني).

ب- المستوى الإقليمي: ويمكن أن تتعدد المستويات الوسيطة تحت الإقليمية (Sub regional) التي تقود إلى المستوى الإقليمي «الأمثل» أو «الكتلة الإقليمية المثلثي».

ج- المستوى الكوني، على صعيد الاقتصاد العالمي في مجمله.

ولن نخوض هنا في الجدل الطويل الذي دار حول طبيعة «التكتلات الاقتصادية الجديدة العملاقة في العالم»: النافتا (NAFTA)، الاتحاد الأوروبي (EU)، الآسيان (ASEAN)، ميركوسور (MERCOSOR) في أمريكا اللاتينية، وهل هي «كتل إقليمية مغلقة» (Open Regionals vs. Closed regionals)، إنما كل ما نود أن نؤكد أنه هو أن اندماج الاقتصادات العربية فرادى في البنية الجديدة للاقتصاد العالمي هو محاولة انتحارية، وسوف تنعكس بالسلب على مستقبل عمليات النهوض والتطوير الاقتصادي للبلدان العربية.

إذا كانت البلدان العربية بصدد البحث عن وعاء أو فضاء «إقليمي» ملائم في ظل تلك الفضاءات الاقتصادية العالمية الجديدة؛ فإنه يجب التأكيد على حقيقة جوهرية فحواها أنه لا توجد صيغة وحيدة أو مثلى للترتيبات الاقتصادية الإقليمية، ف نموذج «السوق الأوروبية المشتركة» هو مجرد أحد النماذج الممكنة، ويلائم بلداناً متقدمة تكون قد قطعت أشواطاً كبيرة في تطوير هياكلها الإنتاجية قبل البدء بعمليات الاندماج الإقليمي. كذلك هناك خصوصية تاريخية للنموذج «النافتا» الذي يجمع بين بلدين قيايين من بلدان الشمال (أو المركز)؛ الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبلد متقدم من بلدان الجنوب (أو المحيط)، وهو: المكسيك، بينما يقوم «نموذج الآسيان» على صيغة انتقالية

تتسم بالمرونة وتأخذ بعين الاعتبار اختلاف مستويات التنمية، وتطور قوى الإنتاج في ما بين البلدان المشتركة: سنغافورة، بروناي، ماليزيا، الفيليبين، إندونيسيا، فيتنام.

ولقد احتدم الجدل في البلدان العربية في الآونة الأخيرة حول أفضل الترتيبات الإقليمية التي تتجاوز «الفضاء الاقتصادي العربي» في ظل التطورات الإقليمية والعالمية الجديدة. وتحضر بهذا الصدد المفاضلة بين «الترتيبات الشرق - أوسطية» والترتيبات «الأوروبية - المتوسطية».

تقتضي الترتيبات في إطار كلا المشروعين الاستراتيجيين إلى خلق «فضاء اقتصادي جديد» يضم عدداً من البلدان العربية (بحسب التقاطعات الجغرافية الممكنة)، ويفضي إلى قيام منطقة للتبادل التجاري في غضون عام 2010. (عبد الفضيل، 1997، 87-88)، بعد عقد من تصور عبد الفضيل لا يجد العرب الصيغة المناسبة لإقامة مشروعهم التنموي.

2- أسباب التخلف العربي :

حاول الباحث السيد ياسين الإجابة عن السؤال المحوري لعصر النهضة العربية (حول القرن التاسع عشر): أسباب عدم قدرة العرب على اللحاق بالحدثاثة العربية السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، والتقصير في قضايا الحرية والديمقراطية والعقلانية؟ يقول ياسين:

نريد أن نركز في مجال مقارنة الزمن العربي بالزمن العالمي على مشكلة أساسية وهي الأسباب العميقة لتعثر محاولات الإصلاح السياسي العربي، ويمكن القول: إن الزمن العالمي بالنسبة للدول الغربية المتقدمة أساساً تحصل بالتراكم التاريخي، ذلك أن هذه الدول منذ بدأت عصر النهضة والتنوير في ظل الرأسمالية ظلت تنمو باطراد، وتزيد قدرتها على إشباع الحاجات الأساسية للجماهير العريضة وهي تسير في طريق التقدم الحضاري الذي شمل النظم والمؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولذلك حين جاء عصر العولمة في بداية الثمانينيات، بعد أن عبرت المجتمعات العربية عصر الثورة العلمية والتكنولوجية، التي أصبح فيها العلم هو جوهر عملية الإنتاج، كانت جاهزة للانتقال من نموذج المجتمع الصناعي إلى نموذج مجتمع المعلومات العالمي، الذي يتقدم ببطء وإن كان بثبات إلى مجتمع المعرفة، والسؤال هنا ما موقف المجتمع العربي من كل تحليلات العولمة، وخصوصاً تحليلاتها السياسية والديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان.

ليس هناك شك في أن هناك أزمة في الحوار السياسي والفكري في المجتمع العربي، وترد هذه الأزمة إلى أسباب متعددة ومتشابكة ومعقدة في الوقت نفسه، ولكي نفهم الأسباب العميقة للأزمة نحتاج إلى رسم خريطة للنظام الإقليمي وخريطة ثقافية للمجتمع العربي في الوقت نفسه.

فالواقع أن الخلافات السياسية والأيدولوجية العربية- العربية قديمة ومتجددة في الوقت نفسه، ولا ننسى في هذا المجال أن أبرز الخلافات العربية القديمة ظهرت في العصر الناصري حين صيغ التصنيف الشهير للدول التي قسمها إلى دول تقدمية ودول رجعية (الدول التقدمية في عرف هذا التصنيف هي الدول الثورية مثل مصر وسورية والعراق، في مواجهة الدول التقليدية في الخليج العربي).

ودار الصراع أساساً على الصعيد الأيدولوجي بين الاشتراكية والتوجه الإسلامي، ودار الجدل الفكري المحتدم بين أنصار الماركسية، ودعاة الاشتراكية العربية، ويقول ياسين: إن هذه السنوات كانت عجافاً حقاً في تاريخ الحوار العربي، وتوقف أيضاً الحوار العربي - العربي وسادت المساجلات الأيدولوجية الحادة، وذلك بعد معاهدة كامب ديفيد والاعتراف المصري بإسرائيل، عام 1979م. (انظر: ياسين، 2010).

لقد عرفت الدول الاستعمارية أن أي شكل من أشكال الوحدة العربية والاندماج العربي قد يعني ضربة قاسية للأطماع الغربية في خيرات الوطن العربي وأسواقه، لذلك

اتخذت كل الوسائل لمنع عناصر التطور الطبيعي لقوى الإنتاج العربية، والتحكم في مسار العرب المستقبلي، وأول عوامل كسر وحدة العوامل الجغرافية والبشرية للوطن العربي هو تجزئة هذه الوحدة، من خلال اتفاقية سايكس بيكو عام 1916، وزرع كيان استعماري غريب، يحتل فلسطين (قلب الوطن العربي) من أجل استنفاد الطاقات العربية، وإعاقة الجهود التنموية في صراع على الوجود، وعززت من جهة أخرى النزعات الطائفية والإقليمية والأثنية لمنع أي شكل من أشكال الوحدة.

3- الدراسات المستقبلية في الوطن العربي :

أ - الدراسات والجهود الخاصة:

هي الدراسات المستقبلية التي قامت وتقوم بها مؤسسات وهيئات علمية أكاديمية أو مراكز بحث مختلفة في الوطن العربي، بالإضافة للأبحاث والدراسات الخاصة التي هي نتاج مجهودات شخصية للعديد من الباحثين والمفكرين العرب.

بالرغم من أهمية مثل هذه الدراسات التي تعدّ مقدمة ضرورية لانتشار الدراسات المستقبلية في الوطن العربي إلا أنها تتطلب أيضاً التعاون والتنسيق حتى تحقيق أهدافها الأساسية على المستوى القومي.

وتعدّ مؤسسة المشاريع والإنماء العربي في مقدمة المؤسسات العامة في مجال الدراسات المستقبلية، وبعد جهود كبيرة شارك فيها العديد من الباحثين العرب، أصدرت كتاباً في عام 1975 بعنوان: «الوطن العربي عام 2000» استغرق إعداده ثلاث سنوات، و جاء في المقدمة: «إذا لم يخطط العرب لمستقبلهم وقضيتهم تولى غيرهم التخطيط لهم».

ركزت هذه الدراسة على السكان في الوطن العربي من حيث الكم والكيف وارتباطهم بالموارد المختلفة وإسقاط ذلك على المستقبل، وتضمنت مقترحات للعمل المستقبلي، منها:

- (1) استصلاح الصحاري وتعميم التعليم وتحقيق ترابط وتفاعل بين الأقطار العربية.
 - (2) وجاءت الدراسة الأخرى من معهد التخطيط القومي بالقاهرة بالتعاون مع الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي في الكويت.
واستهدفت الدراسة وضع أسس قومية للتخطيط طويل المدى على مستوى الوطن العربي يشكل إطاراً وقاعدة أساسية للتخطيط القائم حالياً على المستوى القطري.
وركزت الدراسة على إيجاد مفهوم عام وشامل للتنمية في الوطن العربي تمهيداً لتغيير اجتماعي واقتصادي هيكلي في إطار التكامل العربي، وتحديد خيارات مستقبلية بديلة للتنمية القطرية على المستوى القومي تتضمن خيارات متعددة في القضايا التنموية.
 - (3) الدراسة التي قام بها المعهد العربي للتخطيط التي أعدها بناءً على تكليف من المكتب الإقليمي للدول العربية التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي للتعرف إلى المستقبل العربي عام (2000) في المغرب أيار 1985:
ناقشت الندوة نماذج التنمية المطبقة خلال الثلاثين سنة الماضية في الوطن العربي، وتم تحديد بعض الأسس المستقبلية للعقدين القادمين أي حتى بداية القرن القادم.
 - (4) الدراسات المستقبلية التي يجريها مكتب الأمم المتحدة في القاهرة. وتركز الدراسات المستقبلية الصادرة عن هذا المركز على مظاهر التطور الاجتماعي والاقتصادي والحضاري التي يمكن أن تشكل قاعدة لتنمية بديلة في المستقبل، وتحاول هذه الدراسات أيضاً إعداد صورة للمستقبل العربي كما هو وارد في الدراسات الدولية المستقبلية.
- وقد صدر عن المشروع كتاب بعنوان: «صوت المستقبل العربي» شارك فيه عدد من الباحثين إصدار مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع الأمم المتحدة عام 1982.

5) الدراسات المستقبلية التي يقوم بها مركز دراسات الوحدة العربية منذ عام 1984 من أجل استشراف مستقبل للوطن العربي خلال الثلاثين سنة القادمة حتى عام 2015، وتستخدم الوسائل العلمية الحديثة المساعدة في إعداد هذه الدراسات مثل الإحصاء، التحليل الاستبائي، الحاسوب، وقد وضع مركز دراسات الوحدة العربية مشروعاً يهدف إلى إصدار خمسة كتب رئيسية تمثل مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، وهذه الكتب هي : العرب والعالم - مستقبل الأمة العربية - التحديات والخيارات - المجتمع والدولة - التنمية العربية - التقرير الفني للمشروع.

6) الجهود التي تقوم بها بعض المجالات في الوطن العربي، والتي تهتم بالقضايا الاقتصادية بشكل عام، وبالدراسات المستقبلية وتوظيفها لمصلحة الأمة العربية: مجلة الفكر العربي - مجلة المستقبل العربي - مجلة الوحدة العربية - مجلة السياسة الدولية، وتسهم الدراسات والأبحاث المنشورة في هذه المجالات بنشر الدراسات المستقبلية وتعميمها، بما يثير الاهتمام العام بقضايا المستقبل، وتشكل وعياً علمياً بمستقبل الأمة العربية يسهم في تمكينها من الإطلاقة العلمية المنهجية على مستقبلها، من خلال إدراكها لحاضرها وماضيها.

ب- الدراسات والجهود الجماعية ذات الطابع الرسمي:

شكلت الجهود السابقة في مجال الدراسات المستقبلية خطوة هامة باتجاه انتقال هذه الدراسات إلى جامعة الدول العربية ليأخذ وضعه الجماعي و الرسمي بأن واحد على طريق الانتقال بدراسة الواقع العربي من الإطار الجزئي القطري إلى الإطار القومي، واستشراف المستقبل العربي على أسس جماعية مشتركة تركز على استراتيجية قومية شاملة.

وقد نتج عن الجهود الواسعة للجامعة العربية ظهور أكثر من عشرين دراسة تنتظم على أساس وظيفي وتقوم بمهام دراسية واستشارية وتنسيقية بعيدة المدى وشاملة مثل: مركز

الإثراء الصناعي للدول العربية، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، الصندوق العربي للإثراء الاقتصادي والاجتماعي، الهيئة العامة للاستثمار والإثراء الزراعي، صندوق النقد العربي.

بالإضافة إلى تشكيل بعض المؤسسات القومية للتدريب والتأهيل، وتشمل حقول التدريب: الملاحة والتخطيط والإحصاء والمهارات الصناعية والمواصلات السلوكية واللاسلكية والمهارات المتصلة بقطاع النفط، وإن وجود هذه المؤسسات التدريبية واتساعها يشكل وسيلة توفير حاجات الدول العربية الحالية ومتطلباتها المستقبلية.

وقد وضع في إطار جامعة الدول العربية العديد من الوثائق الهامة أيضاً حول قضايا المستقبل مثل: - استراتيجية التصنيع من أجل توفير الحاجات الأساسية والاعتماد على الذات الصادرة عن مركز التنمية الصناعية للدول العربية 1977-1978. - وثيقة إستراتيجية العمل الاقتصادي العربي حتى عام 2000 التي أقرها مؤتمر القمة العربي الحادي عشر الذي عقد في عمان، 1980. - استراتيجية تطوير التربية العربية - الصادر عن المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة - 1977. (شدد، 2003، بتصرف).

شكل رقم (1) نماذج النسق العربي



- المصدر: مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات، التقرير النهائي لمشروع استشراف الوطن العربي، ص 44.

4- موقع الوطن العربي في النماذج العالمية:

على الرغم من التناقضات والخلافات فيما بين أقطار الوطن العربي، فقد كان الأكثر مناسبة لنشاط النماذج العالمية - في تقسيمه للعالم إلى مناطق - تميز منطقة عربية خالصة، يسوغه من وجهة النظر العالمية أكثر من عامل، كان من الضروري أخذها في الاعتبار:

آ - أن الجماعة الدولية ومعظم مؤسساتها، قد قبلت بالفعل التعامل مع الوطن العربي متحداً، في أكثر من مناسبة وفي أكثر من مجال.

ب - طالما أن النماذج الدولية قد سعى أغلبها لمناقشة مستقبل المناطق المختلفة في العالم، بل واقتراح سياسات واستراتيجيات لها، فقد كان من المنطقي أخذ التكامل في الموارد والتجانس في التاريخ والحضارة ووحدة اللغة والتواصل الجغرافي في الاعتبار، فبالمقارنة مع بعض المناطق التي ميزت في نشاط النماذج الدولية، فإن الأقطار العربية، يجمعها أكثر من التاريخ واللغة والثقافة، بل وقدر مثير للانتباه من التكامل بين الموارد المالية والطبيعية والبشرية.

ت- إذا أخذ الحجم النسبي للسكان في الوطن العربي معياراً، فسوف نجد أنه يمثل نسبة عالية بالمقارنة ببعض المناطق في العالم، التي درجت النماذج الدولية على اعتبارها وحدة إقليمية قائمة بذاتها، فالوطن العربي يمثل الآن حوالي 3.9 بالمئة من سكان العالم، وأغلب التوقعات تشير إلى ارتفاع هذه النسبة إلى حوالي 4.7 بالمئة في القرن الحادي والعشرين. وهذه النسبة أكبر من الوزن النسبي لسكان الولايات المتحدة الأمريكية في سكان العالم. ونضيف إلى هذه الثروة البشرية ما يمتلكه الوطن العربي من مصادر الطاقة المتجددة وغير المتجددة: 53.8 بالمئة من احتياطي النفط الخام «المؤكد» بالعالم، وحوالي 13.5 بالمئة من احتياطي الغاز الطبيعي، وطاقة

شمسية بلا حدود، وما يمتلكه الوطن العربي من مساحة أرضية (أكثر من عشر اليايسة) وأرض مزروعة (حوالي 3.4 بالمئة قابلة للزراعة بالاقتصاديات والتكنولوجيات الحالية وحوالي 4.4 بالمئة نسباً محتملة) وربما يضيف هنا أيضاً الفوسفات والحديد. (سعد الدين وآخرون، 1982، 49).

وقبل كل ذلك وبعده هناك الرغبة العميقة لدى العرب في التقارب والتضامن والتكامل، بل والوحدة السياسية بشكل أو بآخر.

وقد دفعت هذه الرغبة إلى إنشاء الجامعة العربية عام 1945م، ثم ظهور شبكة كثيفة من المنظمات العربية الحكومية وغير الحكومية.

ألا تكفي - عندئذٍ - كل هذه المؤشرات لمعالجة «الوطن العربي» بوصفه منطقة متميزة من مناطق العالم في إطار أي نموذج عالمي؟ ولنقل: إذا ما قسم العالم إلى ما يزيد على عشر مناطق فلتكن أحدها الوطن العربي ! بيد أن الصورة التي ظهر بها الوطن العربي للتقسيمات الإقليمية في النماذج العالمية تثير عدم الاقتناع، بل وبعضاً من الشكوك والتحفظات، ويأتي عدم الاقتناع من أمرين متداخلين:

الأول: التمثيل غير المناسب لمناطق العالم الثالث عامة.

الثاني: إهمال بعض خصائص المنطقة العربية.

وما دام النجاح في بناء النماذج، يتطلب التعرف إلى العوامل الأكثر تشكياً وحسماً لمستقبل التنمية، يتطلب الأمر، أن يكون النموذج تعبيراً صادقاً عن خصائص المجتمع محل التحليل والتنبؤ، فقد كان من الضروري الاهتمام بالتعبير عن التغيرات الهيكلية المطلوبة في الدول النامية، أكثر من مجرد استخدام نموذج نمطي ينطبق على كل مناطق العالم: المتطور والنامي منها على حد سواء.

فعلى سبيل المثال، إن التغيرات الهيكلية المطلوب التعبير عنها في نموذج مناطق العالم الثالث، كان لابد من أن تهتم بتنمية الموارد البشرية، أي بتعظيم المعرفة المتراكمة،

والمهارات، وخلق الظروف للتعبعة والمشاركة في الحياة والإنتاج، وعلى وجه الخصوص في مجال الإبداع التكنولوجي المحلي، ويأتي دور النموذج هنا لاختيار مدى إمكانية مساهمة هذه القوى البشرية - من خلال الافتراضات الخاصة بتبعيتها والاستفادة منها - في تحقيق أهداف مجتمعات البلدان النامية.

صحيح أن كل ذلك يطرح مشكلات خاصة بالقيادة والإيديولوجية وأساليب المشاركة الشعبية وغيرها.. من الأمور التي تثير جدلاً حول إمكانية التعبير عنها بشكل كمي في النماذج، ولكنها تطرح أيضاً الطابع الاستهدي للنموذج. فالنموذج الذي يضع لنفسه هدف رسم المسار وتحديد المتطلبات لتحقيق إشباع الحاجات الأساسية على المدى الطويل سوف يجد الفرصة للتعبير عن ذلك في القيود الكمية على الموارد، والعلاقة بين التنمية المادية والسياسات الادخارية من جانب، وتوزيع الدخل من جانب آخر.

و سوف يجد القائمون على بناء النموذج الفرصة للتعبير عن تغيرات هيكلية، تعيد ترتيب النسب القطاعية، بحيث يكون الإنتاج موجهاً لإشباع حاجات الداخل، وليس حاجات البلدان المتقدمة، و سوف يجد الفرصة لترجمة ذلك في معاملات الإنتاج ومعدلات استخدام الموارد الطبيعية. (سعد الدين وآخرون، 1982، 50).

- وجهة نظر عربية في قسم علم الاجتماع :

الواضح أن النماذج العالمية لا تمثل إلا مصالح بلدانها، ولا تدرس العالم إلا وفق رغبات بلدان الشمال وعلى حساب بلدان الجنوب. نميز من بينها نموذج باريلوتشي لأنه تبني صراحة قضايا البلدان النامية برؤية اشتراكية تتناول قضايا العالم الثالث. حتى نموذج جاك أتالي لدراسة المستقبل ونموذج جيدنز لدراسة المستقبل ينطلقان من تجربة الغرب واهتماماته بالتعامل مع قضايا التنمية لمصلحة مجتمعاتهم أولاً، ونصائح للدول النامية ليتوافق نمو البلدان النامية مع ما تريده البلدان المتقدمة الرأسمالية ثانياً.

لا فكاك من ضرورة بناء نموذج عربي للتنمية العربية في القرن الحادي والعشرين؛ يأخذ بعين الاعتبار التكامل الاقتصادي العربي، وكذلك توزيع الدخل بين الفئات الاجتماعية، وكل جوانب التنمية الاجتماعية والسياسية، بما في ذلك التأكيد على دور المرأة والتعليم والنمو السكاني لبلدان العرب (التي هي محور الفصل الرابع) بصفها محددات للنهوض المجتمعي، وتحقيق التنمية العربية المتوازنة من أجل مستقبل الأجيال العربية القادمة، ومن دون ذلك لا يمكن لأي قطر تحقيق تنمية فعلية منفردة للوقوف في وجه العولمة الاقتصادية والثقافية العالمية.



الفصل الرابع

(القضايا الاجتماعية لمستقبل سورية)

- أولاً: مستقبل السكان.

- ثانياً: مستقبل التعليم في سورية.

- ثالثاً: مستقبل المرأة.



الفصل الرابع

القضايا الاجتماعية لمستقبل سورية

«تبدأ مسؤوليتنا نحو المستقبل عندما ندرك أننا نصنعه وأنه ليس شيئاً مفروضاً من قوى أخرى، أو خارج عن إرادتنا، إننا نصنع المستقبل بأنفسنا بما نعمل، وبما لا نعمل، وفي الوقت الذي نعترف فيه بقدرتنا على السيطرة عليه فإننا، لا محالة، نعي النتائج المترتبة على أفعالنا، مما يجعلنا نعمل كل ما يجعل المستقبل أفضل، وبإيجاز نتصرف بصورة أعدل».

(إدوارد كورنيش رئيس جمعية المستقبل العالمية)

* أولاً - مستقبل السكان:



زيادة السكان تحدد مصير الجنس البشري

وجد الإنسان المنتصب على سطح الكرة الأرضية قبل حوالي مليون سنة، وسلف الإنسان الحديث إنسان نندرتال قبل خمسين ألف سنة، وقد تطور عدد سكان العالم ببطء شديد ما قبل الميلاد فكان تضاعفه يتم كل /600/ سنة بينما الآن يتم التضاعف كل 35 سنة. عدد سكان العالم عام /200/ قبل الميلاد /190/ مليون إنسان، وفي الألف الميلادية الأولى /265/ مليون إنسان، وفي عام /1300/ ميلادية تضاعف إلى 360 مليون إنسان، وفي عام 1500 ميلادية تناقص عدد السكان إلى /350/ مليوناً

بسبب تفشي مرض الطاعون، وفي عام 1600 ميلادية تضاعف إلى /545/ مليون إنسان، وفي عام /1800/ ميلادية تضاعف إلى /900/ مليون إنسان. 90% من التزايد السكاني يحدث في الدول النامية. إن الزيادة السكانية في الدول المتقدمة التي يبلغ عدد سكانها حوالي /1200/ مليون نسمة حوالي 10 ملايين بالسنة. والوطن العربي وحده الزيادة فيه 10 ملايين نسمة بالعام الواحد، أي: تعادل الزيادة السكانية فيه الدول المتقدمة مجتمعة.

عدد سكان الوطن العربي /338/ مليون إنسان وسيصبح عام 2020 حوالي 450 مليوناً، وفي عام 2030 سيصل إلى /600/ مليون، وفي نهاية هذا القرن سيصل إلى /2000/ مليون، أما سورية فعدد سكانها /20/ مليوناً، والإحصاءات تقول /23/ مليوناً وفق التزايد السكاني الحالي 2,2%، ستصل سورية في نهاية القرن الحادي والعشرين إلى /141/ مليون إنسان.

أما التحديات المستقبلية أمام البشرية فيأتي في مقدمتها التزايد السكاني وعدم القدرة على استيعابه، وتخصيص مكان لكل السكان سواء على الأرض أم في الفضاء أم في أي مكان آخر، وتوفير الغذاء والحاجات الأساسية لكل إنسان، بالإضافة إلى توفير المواد المادية للجميع، وتوفير فرص عمل للجميع، ومن التحديات أيضاً التخلص من

النفائات العادية والنووية وغيرها من الأمور... لتتصور عندما بلغ عدد سكان العالم 6,8 مليارات إنسان، فإن نصيب الفرد لا يتعدى على اليابسة 22 ألف متر مربع ويستمر هذا النصيب بالنقصان حسب التزايد السكاني ليصل في نهاية القرن إلى /2800/ متر مربع. وقد أجمع علماء الفلك على أن الكون والمجرات - ومنها درب التبانة والشمس والأرض - ستبقى مستقرة نسبياً إلى مليارات السنين القادمة.

إن النمو الاقتصادي في السبعينيات بلغ في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حوالي 7 في المئة، في مقابل نمو سكاني أقل من 2 في المئة.

وفي الثمانينيات تغيرت المعادلة؛ إذ تراجع النمو الاقتصادي إلى نصف نقطة مئوية، في مقابل زيادة سكانية تجاوزت 3,1 في المئة.

أما في التسعينيات فثمة ميل أكثر وضوحاً إلى ضبط النمو السكاني، وهو نمو يحقق معدلات تكاد تكون قياسية في معظم الدول العربية، في موازاة جهود أثبتت نجاحاً واسعاً في دول عربية عدة لزيادة وتيرة النمو الاقتصادي.

وكان البنك الدولي اقترح خطة مؤقتة لملء الفراغ الحاصل بين تحقيق النمو الاقتصادي الكافي، وخفض التزايد السكاني، وهي تقوم على ثلاثة عناصر:

1- تركيز الدول التي تعاني مشكلات حادة ناتجة عن التفاوت بين النمو الاقتصادي والتزايد السكاني على تطبيق برامج صارمة لتنظيم الأسرة.

2- توفير شبكات متكاملة من الخدمات الأساسية، مثل: خدمات الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية.

3- تحسين فاعلية أسواق العمل القائمة حالياً لمساعدتها على استيعاب أعداد إضافية من اليد العاملة غير المؤهلة، وتوفير فرص إعادة التأهيل لها.

الانفجار السكاني قد يدفع إلى اعتماد نظام النوم بالمناوبة في بعض المناطق في الجزائر، في حين يصل معدل الولادات في اليمن إلى 8 أولاد، ويرتفع في مناطق معينة إلى 10 أولاد للأسرة الواحدة.

وينتهي التقرير إلى اعتبار أن انفجاراً سكانياً من هذا النوع لا تستطيع معظم البرامج الاقتصادية استيعابه. وإلى جانب مشكلة العمالة وتوفير الغذاء، ستطرح مشكلة التعليم وتوفير الأمكنة الكافية لاستيعاب ملايين الأطفال الذين يجب أن يتوجهوا إلى المدارس سنوياً. (معطيات الأرقام من الشبكة 2019/5/20)

إن السكان نسق متعدد الأبعاد، فهناك حجم السكان، والزيادة في عدد السكان، وتوزيعهم على الرقعة الجغرافية للمجتمع، والخصائص السكانية. ويتربط نسق السكان داخلياً بإحكام، بمعنى أن مكوناته تتفاعل مع بعضها بشدة، وعليه، فإنه من الخطأ أن نعالج بعداً واحداً من أبعاد هذا النسق بمعزل عن باقي مكوناته، ولكن هذا الخطأ ارتكب كثيراً بالتركيز على بُعد الزيادة في حجم السكان في بلدان العالم الثالث، والعمل على تخفيضه عن طريق تقليل معدلات الإنجاب.

لا يوجد نسق السكان في فراغ، بل هو أحد المكونات التي تتجزأ من سياق اجتماعي - اقتصادي عام، فحجم السكان، ومعدل نموهم، ونمط توزيعهم هي بعض العوامل المقررة لمدى إشباع الحاجات الأساسية للسكان في مجتمع ما، في إطار نسق إنتاجي محدد وتنظيم اجتماعي معين، وعندنا أن كفاءة النسق الإنتاجي وعدالة التنظيم الاجتماعي هي المحددات الجوهرية لمستوى الرفاه الاجتماعي في أي مجتمع، بل وللنسق السكاني، بما في ذلك معدلات الإنجاب ومستوى النمو.

لقد نوقش موضوع النمو السكاني وعلاقته بالأوضاع الاقتصادية كثيراً. ولعل أشهر المقولات في هذا الصدد، وأقدمها، هي تلك التي ترجع لأصول المالتوسية، مخوفة من عواقب

وخيمة لنمو السكان، والتي وجدت لها أخيراً دعاءً محدثين، ممن يسمون بالمالتوسيين الجدد. وسادت هذه المقولات بعض دوائر الفكر الغربي، و تشيع لها البعض في بلدان العالم الثالث، إلا أن آراء مضادة قد تبلورت من قديم الزمن، ووجدت لها تعبيرات محدثة.

على طرف نقيض من المقولات المالتوسية، نجد مقولات على شاكلة «أن زيادة عدد السكان هي أحد الأسباب الرئيسية للتنمية الاجتماعية، والحضارة والتقدم». لقد كان محور الخلاف في جدل السكان والتنمية هو: هل كان النمو المرتفع في عدد السكان ضاراً بالتنمية في العالم الثالث، أم لم يكن النمو المرتفع في عدد السكان هو «سبب» التخلف؟ وهو أمر يصل حد السخف.

وقد تبلور هذا الخلاف إجرائياً في معركة «الحد من نمو السكان في العالم الثالث» التي أُعطيت بالطبع اسماً مهذباً هو «تنظيم الأسرة».

وعندنا أن جوهر التنمية بعيد كل البعد عن نمو السكان، فالتنمية مسألة تغيير هيكل اقتصادي واجتماعي وسياسي لا يُفقد في إحداثه إنقاص نمو السكان. (فرجاني، 1995، 86 بتصرف).

لقد مرت سورية بحرب ضروس 2011-2018 لا نزال نعيش أبعادها حتى بعد الانتصار على الإرهاب، وتحقيق الأمان الذي هو من أولويات الحياة الاجتماعية. ولقد أثرت هذه الحرب في مختلف المؤشرات السكانية السورية بحيث زاد معدل البطالة من 12.3% عام 2004 إلى 43% عام 2013، وكان التصور أن يصل عدد السكان إلى 25.7 مليون عام 2020 بينما تشير إحصاءات المكتب المركزي للإحصاء بأن عدد السكان 21.7 مليون في تموز 2019. (تصريح مدير المكتب المركزي للإحصاء).

وفي الأزمة ارتفع معدل وفيات الأطفال الرضع من 17.1 بالألف عام 2004 إلى 20.2 بالألف عام 2013. (تقديرات الهيئة السورية لشؤون الأسرة - نشرة 2014/7/11).

وارتفع معدل وفيات الأطفال دون الخامسة من 19,3 بالألف عام 2004 إلى 24 بالألف عام 2013 (نفس المصدر السابق)، الأمر الذي يشير إلى تراجع الخدمات الطبية، وازدياد الضغط الذي سببته الحرب على العائلات والمشافي والخدمات العامة. ويوضح الجدول (2) الآتي توقعات النمو السكاني في سورية كما قدمها خبراء السكان عام 2008، وهي توقعات لا تدخلها حرب طاحنة على التراب السوري، ضربت جميع التوقعات السكانية.

الجدول (2): توقعات حجم ونسبة السكان في سورية والأقاليم السورية خلال الفترة (2005-2025) حسب سيناريو النمو السكاني المرتفع والمنخفض (مليون نسمة)

2025		2020		2015		2010		2005	العام	
م	ن	م	ن	م	ن	م	ن		سيناريو النمو السكاني	
7.287	7.518	6.785	6.901	6.38	6.281	5.659	5.679	5.108	الحجم	الإقليم الجنوبي
26.6	26.4	26.9	26.8	27.3	27.2	27.6	27.6	28.0	%	
4.33	4.47	4.01	15.8	3.67	3.69	3.32	3.32	2.97	الحجم	الإقليم الأوسط
15.8	15.7	15.9	1.929	16.1	16.0	16.2	16.1	16.3	%	
14.955	2.007	1.897	7.5	1.18	1.824	1.712	1.714	1.603	الحجم	الإقليم الساحلي
7.1	7.0	7.5	8.01	8.0	7.9	8.3	8.3	8.8	%	
8.64	8.99	7.82	31.1	6.98	7.06	6.17	6.19	5.41	الحجم	الإقليم الشمالي
31.5	31.6	31.0	31.1	30.5	30.6	30.1	30.1	29.6	%	
5.46	5.72	4.85	4.98	4.24	4.29	3.66	3.67	3.13	الحجم	إقليم مثلث الجزيرة
19.9	20.1	19.2	19.3	18.5	18.6	17.8	17.8	17.1	%	
27.43	28.48	25.21	25.76	22.86	23.10	20.51	20.57	18.27	الحجم	سورية
100.0	100.0	100.0	100.0	100.0	100.0	1000	100.0	100.0	%	

- المصدر: حسابات فريق التقرير في الهيئة السورية لشؤون الأسرة. كتاب حالة سكان سورية 2008.

كان عدد سكان سورية 4,6 مليون نسمة عام 1960 وارتفع إلى 20,4 مليون نسمة عام 2010 ، ومتوقع أن يصل إلى 25,5 مليون نسمة عام 2025، وقد يتجاوز 90 مليون نسمة عام 2100، لكن بمحدودية الموارد الطبيعية وشح المياه وانتشار التحضر العشوائي وازدياد هجرة الكفاءات العلمية إلى الخارج؛ فإن التنمية لا يمكن أن تستوعب الزيادة السكانية، ولا يمكن للخدمات الاجتماعية وكذلك خدمة التعليم، والثقافة، وتنمية أدوار المرأة والطفل والتنمية المستدامة.. تحقيق حاجات السكان المتنامية.

إن كبح الزيادة السكانية وإيجاد النمو السكاني المتوازن على امتداد مساحة سورية لتنمية الموارد البشرية وكفاية الموارد الطبيعية والتحضر المتوازن، ضرورة ملحة لمستقبل سورية.

ضغط المشكلة السكانية تؤثر في مختلف قضايا التنمية، فلا بد لسورية من توازن النمو السكاني مع التنمية، كي لا تأكل الزيادة السكانية التنمية، ولا يمكن أن تتحقق التنمية، إذا كانت الزيادة السكانية تتجاوزها.

يوضح الجدول رقم (3) أن الزيادة السكانية متفاوتة بين المحافظات السورية، وأن هناك خلافاً واضحاً في التوزيع الجغرافي للسكان وعدم توازن في النمو الحضري وكثافة السكان.

فيكاد إقليم دمشق وحلب يصل لنصف سكان سورية، بينما محافظات التشتت السكاني (دير الزور وحمص والرقعة والقنيطرة) تنخفض الكثافة السكانية فيها إلى أقل من 40 نسمة/كم².

**الجدول (3) نسبة سكان المحافظات السورية بالمئة
خلال مدد زمنية مختلفة**

المحافظة	1994	2004	2011	2025
مدينة دمشق	10.1	8.7	8.2	12.5
ريف دمشق	12	12.7	13.8	6.7
دير الزور	5.5	5.7	5.8	6.2
درعا	4.5	4.7	4.8	5.2
حلب	21	22.7	22.8	24.5
الرقّة	4	4.5	4.4	2.4
إدلب	6.6	6.6	7	7.6
الحسكة	7.4	6.4	7.1	6.6
حمص	8.8	8.6	8.4	8.1
حماة	8	7.8	7.6	7.4
اللاذقية	6	4.9	4.7	4.2
السويداء	2	1.8	1.7	1.7
طرطوس	4	4	3.7	3.6
القنيطرة	0.03	0.03	0.04	0.07
إقليم دمشق	22.1	21.4	22	19.2
سورية	100	100	100	100

- المصدر: (الزايد، 2018، 228).

بينما معدل الكثافة السكانية في دمشق يصل إلى 2341 نسمة/كم² عام 2011.

الأمر الذي يقتضي:

1- العمل على تخفيض معدل النمو السكاني عن طريق التوعية السكانية لتخفيض عدد الولادات، لأن ارتفاع معدل النمو السكاني له آثار سلبية على صعيد التنمية الاجتماعية والاقتصادية على حد سواء.

2- الاهتمام بتنمية المحافظات ذات النمو المعتدل (إدلب، حماة، وريف دمشق، والسويداء، والحسكة) ودعم النشاطات الاقتصادية فيها.

3- تنمية محافظة اللاذقية وطرطوس، من خلال التوسع الصناعي والزراعي، وتحقيق التوازن في توزيع السكان والوظائف بين المحافظات بإقامة المؤسسات الصناعية والمشاريع الزراعية، فهو يمثل نطاق الزراعة الكثيفة، وأهم المناطق الزراعية في البلاد.

4- نشر التنمية العمرانية والاجتماعية والاقتصادية مستقبلاً باتجاه المناطق الشمالية الشرقية الأقل نمواً. (الزابد، 2018، 237)

هذا كلام صحيح، إلى جانب التنمية الشاملة في سورية، وإيجاد الظروف الموضوعية لقيام الأسرة المتوازنة والمنظمة.

ثانياً - مستقبل التعليم في سورية:



مستقبل سورية في نهضة التعليم

آ- تطور التعليم في سورية:

لا يمكن فهم الحالة الراهنة للتعليم في سورية دون معرفة تطور التعليم بمراحله المتعددة قبل الأزمة السورية، والهدف من ذلك؛ معرفة واقع التعليم السوري، ومواقع الخلل في العملية التربوية السورية.

تظهر إحصائيات 2007م أن 57% من سكان سورية من القوة البشرية في سن العمل (15-64) سنة. بينما الفئة العمرية دون 15 سنة هي 39.5% من السكان في سورية. (حالة سكان سورية، 2008 م، ص 292).

الهرم السكاني عريض القاعدة؛ يعني أن جهود تنمية المجتمع اقتصادياً يجب أن تتركز في هذه الفئة 40% من السكان؛ لأن الاستثمار في الموارد البشرية هو الاستثمار الأمثل للتنمية. بقي التعليم في سورية يحكمه التقدم الإجمالي «الكمي» متقدماً على محور كفاءة التعليم، وعلى تحسين مستوى التعليم وجدواه، و أظهرت الأزمة أن هناك ضعفاً في كفاءة التعليم الداخلية، وضعفاً في مخرجات التعليم، و في قدرته على الصمود أوقات الأزمات، أو حتى على المنافسة في سوق العمل.

1- مرحلة ما قبل التعليم الأساسي:

تعدّ مرحلة ما قبل التعليم الأساسي المرحلة الأكثر أهمية في تشكيل القيم والاتجاهات السلوكية للمتعلمين، و هي مهمة في إكساب المتعلم مهارات التعلم الذاتي.

هذه المرحلة تضم الأطفال دون 3 سنوات، هي مرحلة الحضانة.

والفئة العمرية من 3-5 سنوات، هي مرحلة رياض الأطفال.

مرحلة الحضانة ترتبط بعمل الأم، وهي نسبة حول 20% من الأمهات في سورية، وقد بقيت دور الحضانة موزعة على منظمات ومؤسسات مختلفة لوقت متأخر، إلى أن أقر

مجلس الشعب القانون الخاص بإشراف عام وزارة الشؤون الاجتماعية على دور الحضانة في 16 آذار 2015م، و على أهمية هذه المرحلة؛ بقي النظر إليها بوصفها وسيلة دعم لعمل المرأة، وليست مرحلة تعليمية.

أما مرحلة رياض الأطفال فقد تراوحت نسبة الالتحاق فيها بين عام 2000م، و 2007م ما نسبته من أطفال (3-5) سنوات بين 10% إلى 12%، والنسبة الأكبر لصالح الذكور في كل سنة. بما يعكس موقفاً مجتمعيّاً لتفضيل الذكور . (تحليل الوضع الراهن للطفولة، 2008م).

التعليم قبل التعليم الأساسي 3-5 سنوات غير إلزامي في سورية، وغير مكفول من الدولة؛ لذلك أجور هذا التعليم مكلفة على العائلات الفقيرة، وبوجود معدلات فقر: 30% في عام 2004، إلى جانب ضعف مشاركة المرأة في قوة العمل: 17.3% عام 2004، ومعدل الإعالة المرتفع: 3.6 للمعيل (حالة السكان، 2008) هي عوامل تساهم في ضعف الإقبال على التعليم ما قبل الأساسي؛ وتجعل نسبته: (10% من الأطفال فقط)؛ غير فعالة في هذا التعليم الضروري، وهي نسبة مضرّة لجهود التربية السورية، حيث 90% من الأهالي غير مقتنع بأهمية هذا التعليم.

النهوض بالتربية عموماً يقتضي تغيير وجهة النظر الاجتماعية نحو التعليم ما قبل الأساسي، والتأكيد على مسؤولية الدولة في هذا المجال وطنياً واستراتيجياً؛ لمستقبل التنمية في سورية.

عدد المعلمين في رياض الأطفال ذكوراً وإناثاً (6710) عام (2004م)، وعدد الأطفال (146403) مما يعني أن ثمة 21.8 طفلاً لكل معلم؛ هي نسبة منهكة للمعلم؛ إذا حسبنا حاجات الطفل في هذه المرحلة، وحركته ومتطلباته غير التعليمية. (وزارة التربية، 2004م، ص73).

2- التعليم الأساسي:

يلتحق أطفال سورية بالتعليم الأساسي في عمر ست سنوات، تمتد مرحلة التعليم الأساسي في سورية من 6-14 سنة، من الصف الأول حتى الصف التاسع. وهو تعليم إلزامي ومجاني في جميع المحافظات السورية. وتقدم الدولة الكتب مجاناً للتلاميذ حتى الصف التاسع، إلى جانب وجود تعليم خاص، مرجعياته على الغالب دينية.

اعتمدت سورية في نظام التعليم الأساسي : مبدأ إلزامية التعليم، حتى الصف السادس الابتدائي، إلى أن رفع سن التعليم الإلزامي بالمرسوم التشريعي رقم 32 لعام 2002 م إلى الصف التاسع، بما يضم مرحلة التعليم الابتدائي والإعدادي، وتغيرت تسميته إلى الحلقة الأولى والحلقة الثانية من التعليم الأساسي.

منذ بداية تطبيق التعليم الأساسي في العام الدراسي أيلول 2001- أيار 2002 م كانت نسبة التحاق التلاميذ بالصف الأول من عدد السكان بعمر 6 سنوات هي من 91.5% في عام 2001 م، نسبة الذكور 92.9% ونسبة الإناث 90.1% . وازدادت هذه النسبة طردياً حتى وصلت عام 2006-2007 م إلى معدل التحاق بلغ 99% لكامل سورية، فيه نسبة الذكور 100% ونسبة الإناث 98% من التلاميذ.

إن ارتفاع معدل الالتحاق بالصف الأول، مؤثر في الاستقرار الاجتماعي، لكن المرحلة الابتدائية بعمر 6-12 سنة؛ لا يوجد فيها تسرب نحو عمل الأطفال، ولا يوجد فيها تسرب نحو تزويج الفتيات، رغم ذلك؛ الفارق لصالح الذكور يدل على قناعات الأهل بعدم أهمية تعليم الفتيات.

تظهر كفاءة النظام التعليمي وقدرته على الاحتفاظ بالتلاميذ مع استمرار مواظبة التلميذ بعد الصف الأول؛ حيث نجد في العام الدراسي 2006-2007: تسرباً من

الصف الثاني تعداده 3629 تلميذاً، أي: بنسبة 0.6%، وتسرباً من الصف الثالث
تعداده 4183 أي: بنسبة 0.8% (تحليل الطفولة المبكرة، 2008)، وتبقى نسباً مقبولة
في التعليم الابتدائي عموماً في عمر 6-12 سنة.

يوضح تقرير حالة سكان سورية (ص 307) أن نسبة الذين وصلوا للصف
السادس في سورية عام 2004 هي 88.5%، مع تفاوت كبير بين المحافظات السورية:
فهي في دمشق 95%، وفي إدلب 91%، وفي اللاذقية وطرطوس 100%، وفي حلب
76%، وفي الرقة 86%، وبنسب متقاربة بين الذكور والإناث، أكبر الفوارق في الحسكة
ودير الزور لصالح الذكور. (الهيئة السورية، 2007، 307).

شهد عام 2003م تقدماً ملحوظاً في الوصول للصف السادس؛ حيث بلغت
النسبة 81% من الأطفال، إلا أن بقاء 19% خارج التعليم أو حتى 12% خارج
التعليم هو نسبة عالية، ومقلقة للتربويين؛ لأنهم يخشون دخول الأطفال الذكور في عمالة
متعبة؛ دون تأهيل علمي، أو زواج الفتيات دون إتمام التعليم؛ لتربي أطفالاً قبل أن تحصل
على أية تربية .

توضح معطيات اليونيسيف 2009 أن نسبة الالتحاق بالمدارس الابتدائية بلغت
97% للذكور و 92% للإناث في سن المدرسة، ونسبة الانتظام في المدرسة الابتدائية
السورية 97% ذكور و 96% للإناث، وثمة مقارنات مع دول أخرى مثل أريتريا حيث
تبلغ نسبة التحاق الإناث 36%، و ألمانيا حيث تبلغ نسبة التحاق الإناث 98%،
وتونس نسبة التحاق الإناث 98% . (تقرير اليونيسيف، 2011).

ترتفع نسبة التسرب في مرحلة التعليم الأساسي ؛ كلما ارتفعنا في صفوف المرحلة،
لتزيد أعداد الأميين، ونسبتهم في المجتمع، والأخطر في قوة العمل السورية.

حتى من نجح في الصف السادس يلتحق منهم 86.8% بالصف السابع: منهم 88.3% ذكور و85.2% إناث. (حالة سكان سورية، 2008).

أما نسبة من هم خارج مرحلة التعليم الأساسي من الفئة العمرية (12-14) سنة- من الصف السابع إلى الصف التاسع- فهي 36% من هذا العمر . حتى في هذه السن المبكرة (12-14) سنة هناك تسرب أكبر للإناث من الذكور، إما للزواج المبكر، وإما للبقاء في المنزل.

3- تعليم المرحلة الثانوية:

التعليم الثانوي في سورية غير إلزامي، لكن الدولة تضمنه مجاناً للطلاب في جميع المحافظات للفئة العمرية (15-17 سنة) في المدارس الحكومية. و نسبة الالتحاق بالتعليم الثانوي 32% من الفئة العمرية من 15-17 سنة: فيهم 33% ذكور و 31% إناث، وهي نسبة منخفضة جداً ومقلقة لوزارة التربية 2004. في الإحصائيات 25% ممن نجح في الصف التاسع: لم يلتحق بالتعليم الثانوي؛ وهو إصرار على مغادرة التعليم والالتحاق بسوق العمل أو سوق البطالة؛ سببه هو اقتناع من الطالب أو من أهله بعدم جدوى التعليم. (وزارة التربية ، 2004).

يشير تقرير اليونيسيف إلى أن نسبة الالتحاق بالمدارس الثانوية في سورية 2009 م هي 67% من الأطفال؛ هذا يعني أن التسرب 33%، وهو تحسن ملحوظ، لكن الانتظام في المدارس الثانوية لنفس العام هو 64% للذكور و65% للإناث. بمعنى أن 35% خارج المدرسة. (اليونيسيف، وضع الأطفال 2011).

المقارنة مع دول أخرى توضح أن نسبة الالتحاق في التعليم الثانوي في السويد 100%، وفي هولندا 89% في الدول الصناعية عموماً 92%، في الدول النامية 54% وفي العالم 61% (اليونيسيف، وضع الأطفال، 2011)، فنسبة الالتحاق الثانوي في

سورية تقترب من النسبة العالمية، وتزيد على نسبة الدول النامية، وتقل كثيراً عن الدول الصناعية.

4- التعليم العالي:

يشير تقرير التنمية البشرية في سورية 2005 م إلى أن الالتحاق بالتعليم العالي هو 17.4%، فيه 17.8% للذكور و 17% للإناث، وهي نسبة منخفضة للفئة العمرية 18-24 سنة. الالتحاق الجامعي عربياً 25%، و في كوريا الجنوبية 65% من الفئة العمرية.

أصبح الوصول إلى الجامعة عند الشباب صعب التحقق؛ لأن إمكانات الجامعات السورية محدودة في استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب: فقد تقدم لامتحانات الشهادة الثانوية عام 2005 م: 211837 طالباً في الفرعين العلمي والأدبي، بلغت نسبة نجاحهم 66.5%، وهذا يعني أن نسبة الرسوب بلغت 33.5%، و هي نسبة عالية؛ تعد هدراً تربوياً مكلفاً للمؤسسات التعليمية، ولها تكلفة اقتصادية واجتماعية مؤثرة في المجتمع. الالتحاق بالجامعة من الناجحين في الثانوية العامة هو 79.7%، فيهم 85% ذكور و 75% إناث، وبقي 20.3% خارج التعليم العالي الرسمي رغم النجاح بالثانوية. (تقرير التنمية البشرية، 2005).

وقد شهد العقد الأول من القرن الحادي والعشرين تطوراً كبيراً في قيم التعليم وتحولات نحو تبني الدولة لسياسة نهوض تعليمي، والجدول الآتي يوضح هذه التحولات التي كانت ستغير وجه سورية الحضاري لولا وقوع الحرب بعد عام 2011م، وهذا يتضح من الجدول رقم (4).

جدول رقم (4) بعض التحولات النوعية في مجال التربية والتعليم

المؤشر / السنة	2001	2010	معدل التغير
موازنة التعليم / مليون ل.س	21965	85635	290%
عدد رياض الأطفال	1180	1866	58%
عدد الأطفال	121289	149110	23%
عدد المعلمين في رياض الأطفال	4943	5403	9%
عدد تلاميذ المرحلة الأساسي (حلقة أولى وثانية)	3643306	4661872	280%
عدد تلاميذ المرحلة الثانوية	98819	210269	113%
المتخرجون قبل التعليم الجامعي (تعليم أساسي وثانوية عامة وثانوية مهنية وشرعية ودور معلمين)	312051	434437	39%
عدد المدارس الابتدائية حلقة أولى وثانية وثانوي	14711	18940	29%
خريجو المعاهد المتوسطة والعليا	18999	27987	47%
خريجو الجامعات الحكومية	1726	24532	1321%
أعضاء الهيئة التعليمية في الجامعات السورية	6913	10388	50%

- المصدر: (الطار، 2018، 286).

5- مشكلة الأمية:

لا تدل نسب الأمية في بلد ما على إخفاق الطالب في الحصول على تعليم مناسب فقط، بل تدل على مشكلات مجتمعية تقلل من قيمة التعليم، وعلى مشكلات اقتصادية تؤثر في مستوى الموارد البشرية المؤهلة للقيام بالتنمية وكفاءتها، وهذا ما يستدعي الحاجة للأجنبي لتحديث منظومات الصناعة والخدمات والنقل، وتطوير البنى التحتية..

تناول البحث سنوات ما قبل الأزمة لمعرفة الأمية، أو غياب التعليم المطلوب في سورية عموماً وفي عدة محافظات ارتبطت أكثر بأبعاد الأزمة.

جدول رقم (5) يبين نسبة أمية السكان (15) سنة فأكثر عام 2004

المؤشر	العامة %	ذكور %	إناث %
سورية	19	12	26
الرقّة	38.6	26.2	51.4
دير الزور	32.8	23.1	46.8
الحسكة	35.1	23.3	47.1
حلب	23.7	16.8	30.9
إدلب	20.4	11.7	29.4
درعا	13.7	7.1	20.4
طرطوس	13	6.9	19.3

- المصدر : تقرير حالة سكان سورية 2008 م.

محافظات الرقة ودير الزور والحسكة: تصل فيها نسبة الأمية إلى نصف سكانها، هي محافظات فيها ضعف في التنمية المجتمعية، وتأثير كبير للعادات والتقاليد ؛ في قبول تعليم وعمل النساء (أقل نسب لتعليم الإناث إلى الذكور في الابتدائي والثانوي لمجمل سورية).

بلغت نسبة الأمية في سورية 16,2% عام 2009 : للذكور 9,3% وللإناث 23,4%، وهو فارق كبير؛ لا يزال يدل على توجهات مجتمعية نحو تعليم الفتيات، ونحو متابعة تعليمهن بعد ذلك. بذلت الدولة جهوداً حثيثة لتطبيق إلزامية التعليم ومكافحة

الأمية؛ فانخفضت نسبة الأمية إلى 15,6% عام 2011م : ذكور 8,6% وإناث 22,6%. (الهيئة السورية لشؤون الأسرة، تقارير دورية حول المسألة السكانية، 2014).

للمقارنة فإن أمية الأفطار العربية حول 43%، وهي أعلى من البلدان النامية التي هي حول 30%، أما البلدان الصناعية فنسبة الأمية فيها هي حول صفر بالمئة!! (غدنز، 2005، 546).

6- مشكلة الدوام النصفى:

نشأت المشكلة من تزايد أعداد التلاميذ في مدارس سورية، وعدم قدرة المدارس على استيعاب الأعداد المتزايدة من التلاميذ في صفوفها، الأمر الذي زاد عدد التلاميذ في الصف الواحد. الدوام النصفى هو أن تداوم دفعة من التلاميذ من الساعة السابعة صباحاً حتى الثانية عشرة، لتأتي دفعة ثانية فتداوم في نفس المدرسة من الثانية عشرة حتى الساعة الرابعة والنصف، و هذا الدوام متعب للمعلم وللطالب، وهو يعكس أزمة مجتمعية اقتصادية في عدم القدرة على بناء المدارس المناسبة لعدد الطلاب. بلغت مدارس الدوام النصفى في سورية 48% من عدد مدارس التعليم الأساسي.(وزارة التربية، 2004، ص 69).

مدارس الدوام النصفى انخفضت إلى 30 % عام 2007م.

في ظروف ما بعد الحرب على سورية، قد تكون مدارس الدوام النصفى؛ حلاً لمشكلة النقص الحاد في عدد المدارس. لكن الاكتظاظ والدوام النصفى، والضغط المتواصل على المعلمين؛ قد يكون أحد أسباب ضعف مخرجات التعليم، وضعف الجدوى منه، إضافة لكونه أحد الأسباب الرئيسية للتسرب.

7- الإنفاق على التعليم:

إن بناء المدارس وتجهيزها بمستلزمات التعليم في حدودها الدنيا تبدو أكبر من قدرة الدولة بظروفها التنموية، ولاسيما مدة 2011-2019 التي استهلكت موارد الدولة،

إضافة إلى جائحة كورونا 2020. لقد تطور الإنفاق الحكومي على التعليم ما قبل الجامعي من 4,1% من الموازنة العامة السورية سنة 2000 إلى 12,7% من الموازنة عام 2005. وهذا يعتبر قفزة نوعية بوجود نفقات متنامية للدفاع والتنمية، مع ضغط الزيادة السكانية على ميزانية الدولة ومواردها. تقدر اليونيسيف نسبة الإنفاق الحكومي على التعليم في سورية عام 2008 والإنفاق على الدفاع 24% وعلى الصحة 2% من الموازنة. (يونيسيف، وضع الأطفال، 2011).

- تفيد المقارنات في معرفة موقع سورية من الأنفاق على التعليم:
- الدول النامية تنفق على التعليم 8% من الموازنة، وتنفق على الدفاع 8% من الموازنة. الدول العربية تصرف أقل من الدول النامية على التعليم.
 - الدول الصناعية تنفق على التعليم 4%، وعلى الدفاع 12%، وعلى الصحة 18%. الدول النامية تنفق أقل من الدول الصناعية على التعليم.
 - «فنلندا» تنفق على التعليم 21% من موازنتها: وفيها أفضل نوعية تعليم في العالم، وهو مجاني لطلابها وللأجانب.
 - وباكستان تنفق على التعليم 2% وفيها معرفة اليافعين للقراءة لنفس العام 2008 م هي 79% ذكور و 59% إناث.

ب- مشكلات المدرسة في سورية وعلاقتها بالتسرب:

في الوقت الذي يحكم الأسرة جيل سابق عن الجيل الحالي، وعادات وتقاليد سابقة، كثيراً ما تكون غير عقلانية، في مجتمع الإعلام فيه مخترق من اتجاهات ومحطات خارج المنظومة الاجتماعية والإيديولوجية للدولة، وأحياناً معادية ومتحيزة: لا تزال المدرسة هي الملاذ الآمن لحماية الأطفال من التطرف، ولحماية التسامح والعيش المشترك؛ إذا قامت بدورها الاجتماعي بالشكل المناسب، وهي الوسيلة المناسبة اليوم للإصلاح

الاجتماعي وتشكيل الشعور الجمعي، والاتجاهات العقلانية نحو البيئة، ونحو المحيط الاجتماعي.

المدرسة الجاذبة للطفولة مطلوبة اليوم؛ لاستقرار المجتمع المضطرب، ولمنع التسرب الذي هو أكبر مشكلات تشكيل الوعي الجمعي الصحيح. حين يختار المتسرب ترك المدرسة، فقد اختار طريقاً للتجهيل والتطرف وعدم التسامح والابتعاد عن العقلانية، وعن التنمية المأمولة لسورية.

يمكن الحديث عن مشكلة التسرب؛ بوصفها أهم المشكلات التي تعترض الطالب، لأن وقف التسرب يعني متابعة التعليم، وتخفيف مصادر التجهيل، والتطرف وأحادية التفكير، والأمية اللاحقة؛ لأن الخلاص من ذلك، واستمرار التعليم هو الأنسب؛ لإزالة أسباب الأزمة الثقافية والتحضير لبناء سورية الجديدة.

الجدول رقم (6) نسبة التسرب من التعليم الأساسي في سورية % في عام 2004 م

المؤشر	ذكور	إناث	عام
الرقعة	17	19	18
دير الزور	12	9	10
الحسكة	14	17	15
حلب	25	23	24
سورية	11	12	11.5

- مستخرج من (حالة سكان سورية 2008 م).

نسبة التسرب الأعلى في المنطقة الشرقية، التي كانت تعتبر نامية تعليمياً، و فيها انخفاض في تعليم الإناث وارتفاع في أميتهن، وبعدهن عن العمل، ويرتبط ذلك بارتفاع معدل البطالة في هذه المحافظات أكثر من المحافظات السورية الأخرى: حيث معدل

البطالة لكل سورية 12,3% عام 2004 ، فيه 26,5% في الحسكة، و 17,3% في حماه، و 10,3% في الرقة، و 13,1% في دير الزور، وكلها نسب بطالة أعلى من المعدل العام لسورية عام 2004 (حالة سكان سورية، 2008م ص 300) حيث التسرب يؤدي إلى البطالة وانخفاض المستوى التعليمي للذكور والإناث، وتحجيم دور المرأة في الحياة العامة لإنتاج التسرب عند الأولاد مرة أخرى، وهنا تبدأ حلول صنع الحاضر والمستقبل بالعودة إلى الماضي.

النتائج الأساسية للتسرب تؤثر في قوة العمل السورية : تقرير حالة السكان عام 2008م يوضح أن 60% من قوة العمل السورية؛ بمستوى تعليم ابتدائي فما دون!! فكيف يمكن تطوير العمل، والتنمية بموارد بشرية هذا حالها؟ هنا تسرب يؤدي إلى بطالة وإلى أعمال هامشية، وضعف الحالة الاقتصادية لكل البلد، بما يعيد إنتاج التخلف والتسرب، وهذا الشكل يوضح ترابط مشكلات التسرب:



5- مشكلة الرسوب:

الرسوب يعني إعادة الصف الدراسي للطالب غير القادر على النجاح في امتحانات نهاية العام الدراسي. بعض الدول ألغت الرسوب في السنوات الانتقالية مثل «فنلندا» و«تونس»، والحقيقة أن الرسوب مشكلة اجتماعية في زيادة الضغط الاجتماعي من الأهل ومن الأقران على مسيرة الطفل، ومشكلة اقتصادية لأن ظروف الأزمة جعلت إعادة السنة للطلاب إشغالاً للمقاعد والمدارس.. ولأمكنة تحتاجها الدولة لاستقبال الأعداد المتزايدة من الطلاب.

كتلة عدد الطلاب الذين يعيدون نهاية التعليم الأساسي هي 34% من الطلاب، وهي نسبة ليست كبيرة بل هائلة: فكيف يعيد ثلث الطلاب العام الدراسي، وكم يحتاجون من أمكنة وأساتذة ووسائل تعليم... في السنة المعادة؟

تقدم لامتحان التعليم الأساسي (الكفاءة) في دورة 2017م: بالعدد 249 ألف و669 طالباً؛ نجح منهم 164 ألف و369 طالباً أي بنسبة 65,83% من الطلاب؛ بذلك رسب 35% من الطلاب بعمر 15 سنة ؛ لذلك أثر في التسرب، وقطع التعليم... (إحصائيات وزارة التربية، دورة 2017م).

إن الفهم الاجتماعي يربط الرسوب وضعف التحصيل الدراسي بكل القضايا الاجتماعية والأسرية المحيطة بالتلميذ - الطالب، و تدل البحوث الاجتماعية الميدانية، التي تبحث ظاهرة الرسوب على:

(1) عدم وجود دلالة إحصائية بين جنس التلميذ والرسوب في الصف.

(2) تأثير المستوى التعليمي للوالدين في تحصيل التلميذ.

- (3) تأثير مستوى دخل الأسرة في التحصيل التعليمي للتلاميذ.
- (4) هناك علاقة عكسية بين حجم الأسرة، ومستوى التحصيل عند التلاميذ. (حموي، 2012 م، بتصرف).

يوضح تقرير برنامج التنمية والأونروا : أن التعليم يمكن أن يدعم الهوية الوطنية الجامعة ويعالج التطرف والعنصرية، لكنه من جهة أخرى قد يستخدم للدعاية السياسية والترويج لجماعة معينة وقد يث الكراهية ضد الآخرين؛ عبر تنميط الأفراد والمجموعات والأديان. (تقرير الأونروا، 2015م).

يركز هذا البحث على المدرسة، ويطالب الدولة ببذل الجهود لإعمار المدارس؛ لأنها الوسيلة الفضلى لإعادة الاستقرار الاجتماعي، وإعادة بناء الإنسان الذي هو الأساس في إعادة إعمار سورية.

- يجب اعتبار التعليم قضية أمن قومي لأن الصراع مع أعداء سورية؛ هو بالأساس صراع بالعلم وبدور سورية الحضاري، وهذا يتطلب جعل متطلبات التربية ماثلة لمتطلبات الدفاع الوطني، وأكثر.

- لا بدّ من دعم وزارة التربية السورية، عملياً، ومادياً، من الموازنة العامة للدولة؛ لعودة جميع الطلاب إلى مدارسهم.

- التوسع بمشروع الأندية المدرسية لتعويض الطلاب المتسربين، والمنقطعين؛ عما فاتهم، واستمرار المدارس بإقامة الدورات التعليمية المكثفة، و تطوير المنهاج (ب) الخاص بالمتسربين من التعليم.

- إقامة دورات الدعم النفسي والاجتماعي... للأطر الإدارية والتدريسية والتلاميذ.

- إعادة النظر في مناهج التعليم الجامعي وما قبل الجامعي (اعتماد التطوير المستمر)

- الاهتمام بالمعلم؛ بتطوير قدراته وظروفه (تمهين مهنة التعليم).

ج - السمات العامة للتعليم المستقبلي:

يجب أن تتصف التربية المستقبلية التنموية المنشودة بخصائص وسمات تلبي حاجات الإنسان إلى النمو الشخصي والاجتماعي، والكفاية الاقتصادية والإنتاجية، والوعي والمشاركة والفكر النقدي، وفرصة تحسين نوعية حياته العامة والتعليمية، واستمرار عملية التعليم مدى حياته، بحسب لزومها ونوعيته، دون الإضرار بالآخرين وبالبيئة الطبيعية والاجتماعية، من أهم هذه السمات هي أن تكون التربية:

- 1- **شمولية- تكاملية:** شمولية التطوير التربوي بحيث يتناول جميع عناصر النظام التعليمي الرئيسية ويجري عليها ما يتطلبه من تغيير كلي أو جزئي، وتشمل النمو العقلي والاجتماعي والوجداني والجسدي، في تعاون وتكامل، وتتعامل مع المتعلم كلياً، وتعطي بالغ الأهمية في آخر الشوط التعليمي للتكامل الذي يحصل في ذهن المتعلم.
- 2- **طبيعية تحصل في أوضاع طبيعية،** ما أمكن، وإن تعذر ذلك ففي أوضاع تحاكي الأوضاع الطبيعية، وإن تعذر أيضاً ففي أوضاع منشودة ضمن الأوضاع الطبيعية.
- 3- **فردية - جماعية - تفاعلية:** تحقق تكاملاً بين الأعمال التربوية الفردية والجماعية، وتؤمن التفاعل المستمر، والتغذية الراجعة.
- 4- **توفيقية:** توفق بين حاجات الفرد ومطالب المجتمع، بحسب عمر المتعلم ودرجة نموه.
- 5- **عملية- نظرية:** تنطلق من واقع المتعلم، وتكسبه خبرة حقيقية بحسب نوع النشاط ونضج المتعلم، وتندرج به في المراقي النظرية.

6- **تعبيرية - تواصلية:** يفصح فيها المتعلم عن مضمون أفكاره وخواطره ومشاعره وإدراكاته، ويتواصل مع غيره، ويوائم بين التعبير والقيام بأنشطة أدائية فعلية حقيقية ضمن الفصل والمدرسة والبيئة.

7- **تركيبية - إنتاجية:** بمعنى أنها لا تكتفي من المتعلم بأن يختار الأجوبة بل أن يركبها بنفسه وبلغته تركيباً، وأن يقدم إنتاجاً في عمل متكامل، يبقى شاهداً حياً على حسن تعلمه، ما أمكن.

8- **استكشافية - توليدية- ابتكارية:** تطلق الحرية للمتعلم في ارتياد آفاق مجهولة، وخبرات غير مألوفة، بحيث تتولد منها أفكار وخبرات جديدة، قد تصل إلى أعمال إبداعية وابتكارية.

9- **تعاونية - جماعية:** يتعاون فيها المعلم مع المتعلمين، والمتعلمون فيما بينهم وكذلك القول في تعاون سائر أعضاء المجتمع التعليمي والمحلي، والأسرة.

10- **تنوبعية - بدائية:** تحقق أقصى المرونة في تطبيق المنهج التربوي، بحيث تنوب خبرة عن خبرة أخرى، إذا لم يكن هناك مانع من ذلك، فضلاً عن إغناء مخزون المتعلم بالأفكار والأنشطة المتنوعة والمختلفة.

11- **تأويلية - تساؤلية - نقدية- تقويمية:** يعبر فيها المتعلم عن أفكاره، وآرائه، والمعاني التي تتولد في ذهنه، ويتخذ من الأمور موقفاً تساؤلياً، استقصائياً بحثياً، ويحاول أن ينقد ما يجري إيجاباً وسلباً، وصولاً إلى تقويم شامل متكامل.

12- **استراتيجية:** تهتم بنواتج العمل التعليمي الأدائية والإنتاجية المتحققة في أعمال متكاملة، كما تقدر أيضاً بالغ التقدير سير العملية التي تم بواسطتها الوصول إلى النتائج، وترى اكتساب خبرة من عملية التعلم جزءاً من النتائج التعليمية.

13- أخلاقية - مهنية - منفتحة: تعد المواقف والقيم محور العمل التعليمي ومآله لجميع أعضاء المجتمع التعليمي، وتفسح المجال لنمو المعلم والممارس التربوي نمواً متمهناً مستمراً على غرار نمو المتعلم، وبجميع أبعاده، كما تبقي باب الاجتهاد التربوي مفتوحاً على مصراعيه للجميع.

14- واقعية - تطبيقية: واقعية التطوير بحيث ينطلق من أرض الواقع ويندرج في خطوات التغيير والإصلاح بما يتلاءم ودرجة استيعاب أهداف التطوير، والتمكّن من تطبيقه من المدارس والتربويين العاملين فيها والمشرفين عليها.

15- انتقائية: انتقائية التطوير بحيث يركز على المسائل الجوهرية في النظام التعليمي التي تمثل مفاتيح عملية التغيير، والمراحل الرئيسة للعملية التعليمية - التعليمية. (شدود، 2003، 270).

وفيما يتعلق بعلاقة الدراسات المستقبلية بالتعليم الحديث فإن الباحث وليد عبد الحي يقترح إدخال مادة الدراسات المستقبلية في المدارس، مع مراعاة التدرج في تقديم هذه المادة للطلاب بما يراعي مستوياتهم العقلية والزمنية، وتمكن الاستفادة من تجارب العديد من الدول في هذا المجال. ويحقق إدخال المادة إلى المدارس المساهمة في تغيير المنظومة المعرفية المشدودة للماضي نحو منظومة معرفية مشدودة للمستقبل، و تنمي أيضاً إدراك الطالب للتغيرات التي تحدث من حوله، الأمر الذي يشعره بوتيرة الحياة وإمكانية أن يصله المستقبل في وقت أبكر مما كان يعتقد، كما يقول العالم الأمريكي توفلر. (عبد الحي، 2007، 165).

والخلاصة هي أن التعليم مستقبلاً يتجه نحو أشكال ومضامين جديدة، لأن كل سبلات التعليم القديم ستتحول لأشكال التعليم الأكثر كفاءة للمستقبل وذلك وفق الخارطة الآتية:

الواقع	المأمول
تلقيّن	خيال ←
إدمان	شغل فراغ ←
تعصب	تقبل للآخر ←
فراغ	هوايات ←
قهر	حرية ←
فردية	عمل جماعي ←
أمية	تعلم وثقافة وتكنولوجيا ←
فقر	اكتساب مهنة ←
سلبية	قدرة على اتخاذ القرار ←
منطية	تفكير إيجابي ←

د - تغيير التعليم لعصر التحكم الآلي:

الأصل في نظام التعليم هو إعداد الناشئة لشغل وظائفهم في المجتمع على النحو المناسب لهذه الأعمال: المهندس والمراقب والطبيب... لكن علماء التحكم الآلي، وتطور عمل (الآلات)، (الروبوتات) سيفرض تغييراً كبيراً في عمل المهندس أو المراقب أو الطبيب الأمر الذي يقتضي التحضير لهذا المستقبل الغريب إلى حد ما:

1- الدراسات المستقبلية تقول إن 59% من الوظائف ستختفي، وهذا المستقبل يسمونه في ألمانيا (الثورة الصناعية الرابعة)، ويسمونه في فرنسا (ثورة المستقبل).

2- إن جلب كتاب من مكتبة عامة سيقوم به الروبوت لاحقاً، وسيكون بإمكان (الروبوت) التعامل مع البشر (تحدد له اسم الكتاب فيجلبه لك).

- 3- في المستقبل الآلات ستقرر وحدها متى تزيد الإنتاج ومتى تقلله؛ لأن مواقع الإنتاج والتخزين مترابطة في أنظمة ذكية، وقريباً ستصبح الشركة ذاتية الإنتاج.
- 4- يتم نقل حاويات البضائع في ميناء هامبورغ - ألمانيا عن طريق الروبوتات - شركة COMBAS فيها محلل آلي يوضح حالة الشركة في كل لحظة (برنامج المستقبل، حلقة عن الروبوتات، 2016/11/30، قناة DW).
- 5- سيفقد بعض الأشخاص وظائفهم والبعض سيحتاج إلى تدريب جديد لوظيفة جديدة.
- 6- العمليات الجراحية ستصبح معتادة مع الروبوتات، وقد يحل الروبوت محل الطبيب والممرضات، و سيقوم الروبوت بتنظيف الأدوات الجراحية وتعقيمها وترتيبها.
- 7- أعمال الغد ستضم النساء أكثر إلى سوق العمل؛ لأن الأعمال يمكن القيام بها من المنزل أو من أي مكان، أحد الاختراعات هو الروبوت «تيمو» الذي يلاعب الأطفال في المنزل، ويتعامل مع الأطفال لمساعدة الأم.
- 8- في الوطن العربي: القاعدة العلمية والتعليمية لإنتاج الروبوتات غير موجودة. في أوطاننا أعداد كبيرة من الناس دون تأهيل، و دون عمل وهي بحاجة لأي عمل.
- أخيراً: قد يكون من المفيد في سورية التوجه أكثر نحو التدريب المهني، والوصول إلى تأهيل مبكر بعد مرحلة التعلم الأساسي لمدة سنتين، وتعويد المراهقين على التوجه مبكراً إلى سوق العمل، و قد يتطلب ذلك تطوير التعليم المهني في سورية؛ لجعله يأخذ دوره بصورة مناسبة لمستقبل سورية.

ثالثاً - مستقبل المرأة :

قضية المرأة هي قضية أساسية للتنمية في سورية، وإن عدم الاهتمام بقضايا النساء وحاجاتهن يؤدي إلى نمو سكاني غير محسوب، وينتج ارتفاعاً في معدل وفيات الأطفال، وضعفاً اقتصادياً، وهبوطاً في الإنتاجية الزراعية، وتدهوراً في البيئة الطبيعية، وانقساماً عاماً في المجتمع، وانخفاضاً في مستوى المعيشة بالنسبة للجميع.

وهذا يعني بالنسبة للمرأة عدم تكافؤ في الفرص، وزيادة في معدل التعرض للخطر، وخضوعها للقدر ولقرارات الآخرين من دون اختيار.

كثير من النساء ليست لديهن أية فرص للاختيار خارج إطار الزواج والإنجاب، بصفة خاصة في البلدان النامية، لذلك فإنهن يتجهن لتكوين أسر كبيرة العدد، وهو ما يجب أن نتوقعه منهن.

الاستثمار في تنمية المرأة معناه توسيع قاعدة الاختيار بالنسبة لها، والحد من اعتمادها على الإنجاب لتثبيت وضعها ومكانتها.

ويشمل الاستثمار في تنمية المرأة إلى جانب تنظيم الأسرة «الاستثمار الاجتماعي»، أي: الاستثمار في الخدمات مثل الصحة والتعليم. إن مثل هذه الخدمات تساعد المرأة على النهوض بمستوى ما تقوم به بالفعل، ويفتح أمامها مجالات جديدة، إلا أن الاستثمار في رعاية المرأة يتعدى تقديم هذه الخدمات، بحيث يزيل العقبات التي تمنعها من العمل بكامل طاقتها.

وبيعني هذا تمكن المرأة من الحصول على الأرض وعلى القروض وعلى العمل المجزي، بالإضافة إلى تدعيم حقوقها الشخصية والسياسية على نحو فعال.



مستقبل المرأة في تعليمها وعملها

يتطلب إعطاء الأولوية للاستثمار في رعاية المرأة تغييراً جذرياً في النظرة للتنمية، ليس فقط من جانب البلاد النامية، إنما أيضاً من جانب المؤسسات المالية التي تقدم القروض، وفي ظل الضغوط الاقتصادية المتزايدة اضطرت 37 بلداً من أكثر بلدان العالم فقراً إلى تخفيض إنفاقها على الرعاية الصحية بمقدار 50%، وعلى التعليم بنسبة 20%، و يقع عبء ذلك في أشد صورة على الفقراء، و على المرأة الفقيرة على وجه الخصوص.

وإذا نظرنا إلى المدى البعيد نجد أن الاستثمار في تنمية المرأة له قيمته الاقتصادية التي لا يمكن أن تقدر: فالاستثمار في رعاية المرأة ليس دواء لكل داء، فلن يضع حداً للفقير، ولن يعالج التفاوتات الكبيرة الموجودة ما بين البلاد أو الأفراد، إلا أنه سيسهم إسهاماً كبيراً في السعي إلى هذه الأهداف، وسيكون له أثر مباشر في فئة من أكثر الفئات في العالم تعرضاً للأذى، وسيساهم في إرساء قاعدة للأجيال المقبلة تمكنهم من استخدام الموارد والفرص المتاحة استخداماً أفضل. (آن مازور، 1994م، 183-184).

في العديد من البلاد ما تزال المرأة مكبلة بقيود القيم التقليدية التي تعطي للإنجاب مكانة عالية للغاية، بينما لا تعطي مكانة لأي شيء سواه تستطيع المرأة القيام به.

إذ يتوقف وضعها أساساً على نجاحها أمماً وعلى القليل بخلاف ذلك، و بزيادة مقدرة المرأة على اتخاذ القرار بشأن مستقبلها الشخصي، و بحصولها على التعليم والأرض والقروض، وعلى التوظيف - وهذا حقها - سيكون لذلك أثره الفعال في خصوبتها وفي تقريرها لمستقبلها.

إذا لم تتعلم المرأة وتعمل؛ فستجد أن مستقبلها ومكانتها في مجتمعنا متوقفة على الزواج والإنجاب بما يهدد مساهمتها في قوة العمل الاقتصادية.

- الزواج ... والزواج المبكر :

في كثير من المجتمعات التقليدية يُطلب من المرأة حديثة الزواج أن تنتقل لتعيش في بيت أهل زوجها، وتعتمد اعتماداً كلياً على أسرتها الجديدة -أسرة زوجها - في معيشتها.

وفي كثير من البلاد النامية تتزوج المرأة في سن مبكر للغاية: 50 في المئة من النساء في إفريقيا، و 40 في المئة في أمريكا اللاتينية يتزوجن قبل أن يبلغن 18 عاماً، وذلك وفقاً «للمسح العالمي للخصوبة».

أما الرجل فيتزوج في سن أكبر، ففي السودان على سبيل المثال يبلغ متوسط فارق العمر بين الزوج وزوجته أكثر من ثماني سنوات.

في باكستان يبلغ متوسط الفارق ست سنوات، وفي كولومبيا أكثر من ثماني سنوات، ومثل هذا الفارق يؤدي إلى نتائج متعددة، فأولاً ستكون الزوجة أقل خبرة من زوجها، وأقل ثقة في نفسها.

لكن ربما كان الأهم من ذلك أن احتمالات ترميل المرأة تصبح احتمالاً كبيراً للغاية، ونظراً لعدم وجود وسائل اقتصادية بديلة لتأمين مستقبلها تضطر المرأة للاعتماد على أبنائها، فتزيد الإنجاب مبكراً .

- التمييز ضد الفتيات :

أعرب ثمان من بين تسع ثقافات مختلفة عن تفضيلهم للولد على البنت، فالأهل لا يتوقعون سوى القليل من الابنة إذا ما تزوجت وتركت المنزل، وحتى قبل الزواج، و بالرغم من أنها تبدأ العمل في سن مبكرة عن أخيها، وأنها تعمل بجدية أكبر وساعات أطول، إلا أنه ينظر للعائد الاقتصادي لهذا العمل على أنه أقل قيمة، ذلك أنه يسهم إسهاماً أقل في الدخل المادي للأسرة: في مالي وأفغانستان على سبيل المثال يشغل الرجال مكانة أعلى

حتى إن كانت المرأة تقوم بنفس نوع العمل، وبذلك نجد أن تعليق الآمال الكبار على البنين تجعل الآباء من محدودي الدخل ينفقون على البنين أكثر من البنات، وتبدأ هذه التفرقة في مرحلة من العمر مبكرة للغاية، وقد بينت البحوث في بنغلادش أن البنين في سن ما قبل خمس سنوات يقدم لهم مقدار من الغذاء يزيد 16 في المائة عما يقدم للبنات، وأن البنات يتعرضن للإصابة بسوء التغذية بصورة أكبر عند وجود أية مجاعة، وقد بينت دراسة أجريت في الهند أنه يقدم للبنين أغذية تحتوي على الألبان أكثر من البنات، ولذلك فلا عجب أن تتعرض البنات للإصابة بسوء التغذية الحاد يفوق تعرض البنين إليه بأربعة أضعاف، بينما نجد أن تحويل البنات للمستشفيات للعلاج يقل عن تحويل البنين بمقدار 40 مرة، وقد وجدت دراسة أخرى في الهند أن الطفل المريض يحظى برعاية أكبر من الطفلة، ويجد حظاً أوفر في النقل لمستشفى المدينة إذا فشل علاجه.

وبذلك نجد أن معدل وفيات البنات أكبر من البنين من سن سنة إلى خمس سنوات في كل من بنغلادش ونيبال وباكستان وسيريلانكا ومصر والأردن وموريتانيا والمغرب وسورية والسودان وتركيا واليمن، وفي نصف بلاد أمريكا اللاتينية، وذلك طبقاً للمسح العالمي للخصوبة.

ويستمر التمييز ضد الفتاة مع تقدمها في العمر، وفي العالم بصفة عامة تبين أن 65 في المائة من الفتيات التحقن بالمدارس عام 1985 مقابل 78 في المائة للبنين، وفي المدارس الثانوية اليمنية يفوق عدد البنين الملتحقين بالمدارس الثانوية ثلاثة أضعاف عدد البنات، ويميل الأبوان من ذوي الدخل المحدود للإنفاق على تعليم الابن أكثر من الابنة، وبالتالي فإن الفتاة التي لم تحظ بالتعليم الكافي لا تجد فرصاً للعمل بأجور مناسبة، ولا تجد الفرصة للزواج برجل متعلم تعليماً عالياً، وبذلك يتجدد من تلقاء نفسه الاعتقاد بأنه لا داعي للإنفاق أو الاستثمار في رعاية البنت.

والمرأة التي تكبر وهي تشعر بأنها ضعيفة، وأقل نفعا لأسرتها، وأقل أهمية لمجتمعها تعاني بصفة عامة من فقدان كبير لاحترامها لذاتها، وتحدث بذلك دائرة مفرغة، وتقل قدرتها على المشاركة أكثر فأكثر.

وتجد أن طريقها الوحيد لتثبيت وضعها الاجتماعي، واكتساب الاحترام هو الزواج والإنجاب، إلا أن فقدانها لكثير من المزايا في بداية حياتها، يحد من قدرتها على أن تقوم حتى بذلك بأسلوب ناجح، ويلقي بأعباء إضافية على حياتها وعلى صحتها. إذا لم تتعلم تتزوج غير متعلم، وتنجب أكثر لتتثبت وضعها في الأسرة، وهي أسرة التعليم فيها غير ضروري.

- مخاطر الحمل والأمومة :

تعد الأمومة الآمنة جزءاً لا يتجزأ من خدمات الصحة الإنجابية ووظائفها، والمخرج النوعي الأساسي للصحة الإنجابية بمفهومها الشامل. وتقوم الأمومة الآمنة على أربعة أعمدة: تنظيم الأسرة وتوفير الخدمات التي تمكن من التخطيط لتوقيت حالات الحمل وعددها والمباعدة بينها، والرعاية قبل الولادة للوقاية من المضاعفات - حيثما أمكن ذلك - وضمان الكشف المبكر عن مضاعفات الحمل ومعالجتها، والولادة النظيفة المأمونة، وتوفير رعاية ما بعد الوضع للأم والطفل، والرعاية الولادية الأساسية لحالات الحمل ذات الخطورة العالية.

ويحتل تحقيق شروط الأمومة الآمنة أهمية تنموية اجتماعية وإنسانية حاسمة في سورية وفي جميع المجتمعات؛ إذ تشكل النساء في مرحلة النشاط الإنجابي (15-49 سنة) نسبة (51%) من إجمالي عدد النساء في سورية، وتشتد أولوية تحقيق هذه الشروط بالنظر إلى النسبة المرتفعة لـ«وفيات الأمهات»، التي تعدّ الصورة العكسية لـ«الأمومة الآمنة»، بينما يمثل خفض الوفيات - ومن ضمنها وفيات الأمهات - الهدف المركزي لكل البرامج الصحية.

وتعرف منظمة الصحة العالمية «وفيات الأمهات» بأنها «الوفاة التي تحدث لامرأة أثناء حملها، أو خلال (42) يوماً بعد انتهاء الحمل، بغض النظر عن مدة أو مكان الحمل، ومن أي سبب ناتج عن الحمل ذاته، أو من جراء تفاقم سبب آخر بسبب الحمل، أو نتيجة نقص العناية الطبية التي تتلقاها المرأة أثناء الحمل، مع استثناء الوفيات الناتجة عن الحوادث، وعن الأسباب العرضية». وتقاس لكل (100.000) ولادة.

لقد مكّن التقدم النوعي والتقني في النظم الصحية العالمية - إلى حد كبير - من السيطرة على الأسباب التي تؤدي إلى وفيات الأمهات، وتقليص حجمها، غير أن معدل وفيات الأمهات في البلاد النامية - وفي عدادها سورية - ما يزال مرتفعاً ومقلقاً ويشير الأسى، ولا يتسامح التقرير مع استمرار هذه الظاهرة، ويصفها دون تردد بالقصة المأساوية للأمهات السوريات، ولدورة الحياة في سورية. فرغم التقدم النسبي الذي حققته سورية في مجال تخفيض وفيات الأمهات إلى (62) من التخفيض الإجمالي المطلوب لبلوغ الهدف الخامس من أهداف التنمية الألفية الوطنية للعام 2015 والمقدر بتخفيض عدد الوفيات إلى (32) وفاة أمومية / لكل 100,000 ولادة حية)، إلا أن «نسب وفيات الأمهات ما زالت أكثر مما هو متوقع» في سورية ولاسيما في بعض المحافظات كالرقّة وريف دمشق، حيث تبلغ وفيات الأمهات نتيجة الحمل والولادة ضعفي ما هو عليه الحال في دمشق واللاذقية وطرطوس.

إن وفيات الأمهات المرتفعة تعكس فداحة المخاطر التي ما زالت تتعرض لها كثير من الأمهات السوريات وأسرهن، ويشهد ذلك إذا علمنا أن ما يفوق (90%) من هذه الوفيات ينتمي إلى نوع الوفيات القابلة للتشخيص والتدبير بشكل مسبق، وبالتالي للوقاية منها وتجنبها، لو كانت الرعاية الصحية وخدماتها أثناء الحمل جيدة. ويشير التقرير إلى نقص خطير في دراسة هذه الظاهرة الخطيرة، وفي إنتاج مؤشر يعتمد عليه في رصدها، وتحديد أوجه

التدخل لاحتوائها وتقليصها، ويشير إلى أن الأرقام الوطنية تعتمد حتى الآن رقم (58) وفاة لكل مئة ألف ولادة لعام 2004، بينما تبلغ نسبة وفيات الأمهات في سورية حسب تقرير منظمة الصحة العالمية للعام 2007 (160) وفاة لكل مئة ألف ولادة. (ملتقى السكان الأول 2009/4/27).

المطلوب اليوم في سورية القضاء على أسباب وفيات الأمهات، وتحسين خدمات رعاية الأم والطفل؛ لصحة الأجيال القادمة ومستقبلنا.

- أثر التعليم في مستقبل المرأة :

ربما كان التعليم أهم عامل يؤثر في مقدرة المرأة على السيطرة على مستقبلها، فقد بينت الدراسات التي أجريت على نطاق واسع في البلاد النامية أن التعليم الذي تتلقاه المرأة هو أهم المؤشرات التي يمكن الاعتماد عليها للتنبؤ بمعدل خصوبتها، وبالمستوى الصحي لأطفالها، ويبقى هذا الأثر ثابتاً بغض النظر عن نوع الدراسة أو اختلاف الثقافات، وحتى إذا تداخلت معه عوامل أخرى كمستوى الدخل أو فرص العمل.

يلتحق الآن 65 في المئة من البنات و 78 في المئة من البنين بالمدارس الابتدائية في العالم النامي، وذلك بواقع 20.11% أكثر مما كان عليه الأمر في العقد الماضي، ونجد معدلات الالتحاق بالمدارس الثانوية أقل 37 في المائة للبنات، و 48 في المئة للبنين؛ إلا أن ذلك يمثل زيادة قدرها 29 في المئة و 16 في المئة، عما كان عليه هذا المعدل منذ عشر سنوات بصفة عامة.

أطفال أقل، أطفال أصحاء: كل البلاد التي أجريت فيها دراسة تقريباً في السنوات الأخيرة تبين أن المرأة المتعلمة تنجب عدداً أقل من الأطفال من نظيرتها التي حصلت على تعليم أقل أو لم تتعلم.

ويلاحظ أن أسرة الأم المتعلمة تكون عادة أصغر عدداً، ويتمتع أفرادها بصحة أفضل، فتعليم الأم قد يكون أكثر أهمية بالنسبة لأبنائها من الماء النقي الجاري، ومن الصرف الصحي، أو حتى مما يحصلوا عليه من غذاء، وقد أوضحت الدراسات الفارق في معدل وفيات الأطفال ما بين سن سنة إلى خمس سنوات بأنه يبلغ تسعة في المئة لكل عام دراسي التحقت به الأم بالمدرسة، وفي "بيرو" -على سبيل المثال- وجد أن أطفال الأم المتعلمة يتمتعون بصحة أفضل بغض النظر عن وجود عيادة أو مستشفى قريب منها.

ويظهر أثر التعليم أيضاً في معدل وفيات الرضع خلال السنة الأولى من العمر، وإن كان بصورة أقل حدة، فقد كشفت البحوث التي أجريت في 46 بلداً نامياً أن ارتفاع سنوات تعليم الأم بنسبة من 4 إلى 6 سنوات يرتبط بانخفاض في معدل وفيات الرضع بمعدل 20 في المئة، وربما كان أثر ذلك لا يتضح كثيراً إذ إن معظم وفيات المواليد تحدث خلال الأسابيع الأولى من العمر وتتصل بعملية الولادة ذاتها.

تميل المرأة المتعلمة للزواج في سن أكبر، وقد تتجه للعمل والعيش في المدينة أكثر من المرأة غير المتعلمة، وقد بين المسح العالمي للخصوبة أن المرأة التي حصلت على سبع سنوات أو أكثر من التعليم تتزوج في سن أكبر بأربع سنوات في المتوسط من المرأة الأقل تعليماً، وقد تبين أن المرأة التي تعيش في مدن أمريكا اللاتينية وبعض أجزاء من الوطن العربي تنجب طفلين أو ثلاثة أقل من مثيلتها في الريف.

وللتعليم أثره الكبير في حد ذاته، وربما كانت المسألة ليست مسألة ما تتعلمه الفتاة أثناء التحاقها بالمدرسة؛ وإنما يكمن الفارق في أنها التحقت بالمدرسة، فالتعليم بالنسبة للفتاة يعني أنها تضع قدمها خارج الباب لتخرج إلى الحياة العصرية حيث العيادات ومكاتب البريد والبنوك وحيث الكتب والأدوية ووسائل المواصلات... ومع زيادة ثقافتها بنفسها واحترامها لذاها تستطيع أن تبدأ الفتاة في استخدام موارد الحياة العصرية لتحقيق

إرادتها والنهوض بحياتها، ونجد أن المرأة المتعلمة تستطيع الوقوف على قدميها؛ ففي «كيرالا» مثلاً، تبدو المرأة المتعلمة مهما كانت فقيرة، وكأنها مقتنعة بحقوقها في رعاية صحية جيدة.

وعلى عكس من ذلك كانت المرأة في الطبقة الدنيا من نيبال تتوقع بل تلقى بالفعل أسوأ معاملة من العاملين في المراكز الصحية، وبينت اللقاءات مع 29 من الزوجات الأميات وغير الأميات في مقاطعة «أوتار برادش» أن الأميات لا يأخذن طفلهن المريض إلى الطبيب إلا بعد الحصول على إذن بذلك من الزوج أو من أهل الزوج. فإذا كانت الثقة في النفس تتوفر لدى المرأة وهي جالسة في غرفة الانتظار بالمستشفى، فمن الأرجح أنها تتمتع بهذه الثقة في النفس في منزلها بصورة أكبر، وقد بينت الدراسات في كل من نيجيريا وبنغلادش والمكسيك أن المرأة المتعلمة تستطيع التفاهم مع زوجها بصورة أفضل والمشاركة في القرارات الأسرية وأن تحظى باحترام أكبر، أو بعبارة أخرى تصبح أقدر على التخطيط لما يحدث في حياتها. (تقارير اليونيسيف 2011).

وعلى الرغم من التطور النسبي الكبير الذي حققته سورية في مجال التعليم، ولا سيما في مجال ديمقراطية التعليم الأساسي ومجانيته و«إلزاميته»، فإن نسبة الأمية «المرئية» في سورية تبلغ حوالي (17%)، وتزداد هذه النسبة لدى البالغات من الإناث لتتجاوز الـ (25%) أي أن ربع النسوة في سورية أميات وهذا مؤشر خطير، وعند دراسة هذا المؤشر على صعيد المحافظات السورية نشاهد أرقاماً مخيفة، إذ تدل الأرقام الصادرة عن المجموعة الإحصائية للعام 2006، مثلاً، إلى أن نصف النسوة في محافظات الرقة والحسكة ودير الزور أميات. لكن ما يدعو للتفاؤل في هذا الشأن ما تشير إليه الإحصاءات بأن ما لا يتعدى (10%) من الإناث الشابات المقيمات في سورية أميات، بمعنى أن نسبة الأمية للفئة العمرية الشابة (15-24) أقل بكثير من الفئات العمرية الأكبر، ومع ذلك لا تزال

المحافظات الشرقية الثلاثة في دائرة الخطر بالنسبة لهذا المؤشر إذ لا تقل نسب الإناث الشابات الأميات عن 25% في كل منها. (نشرة ملتقى السكان الأول، 2009/4/27 لصندوق الأمم المتحدة للسكان والهيئة السورية للأسرة).

إن التأكيد على تعليم المرأة هو ليس لتمكينها من اتخاذ قراراتها الحياتية فحسب؛ إنما للتنمية البشرية والمجتمعية لكل سورية.





الفصل الخامس

(قضايا المجتمع المستقبلية)

- أولاً: مستقبل البيئة: التنمية المستدامة.

- ثانياً: مستقبل وسائل الاتصال.

- ثالثاً: مستقبل اللغة العربية.



الفصل الخامس

قضايا المجتمع المستقبلية

«يؤثر عدد من العوامل في العلاقة بين الإجهاد البيئي والفقر والأمن مثل السياسات التنموية القاصرة، والاتجاهات السلبية في الاقتصاد العالمي وانعدام العدل بين المجتمعات، وضغوط النمو السكاني هذه الأواصر بين البيئة والتنمية والصراع أواصر معقدة؛ فالمصادر الحقيقية لانعدام الأمن تشمل التنمية غير المستدامة التي تتداخل مع أشكال النزاع التقليدية».

اللجنة العالمية للبيئة والتنمية

يحاول (الفصل الخامس) تناول جوانب محددة في علم اجتماع المستقبل، أهمها قضية مستقبل الإنسان على الأرض ومستقبل البيئة الذي تكتنفه المخاطر من كل نوع. والقضية الثانية ترتبط بوسائل الاتصال التي أوصلتها التقنيات الحديثة والشبكة العالمية لتبادل المعلومات إلى مستويات خطيرة من التأثير حتى في الهوية الوطنية، والقضية الثالثة هي قضية تتصل بالتواصل الاجتماعي للعرب خصوصاً، وهي: علاقة العرب بلغتهم ومستقبل اللغة العربية، رابطة للعرب ومعززة لانتماء العرب القومي، وترس العرب ضد ضربات العولمة.

أولاً - مستقبل البيئة: - مفهوم التنمية المستدامة:

لم يحظ مصطلح سياسي بهذه الشهرة التي نالها مصطلح «التنمية المستدامة». لقد أصبح هذا المصطلح المؤلف من كلمتين الشغل الشاغل في عالم السياسية والاقتصاد

والمجتمع المدني، لماذا؟ ربما لأنه يعبر بمنتهى البلاغة عن اهتمامات أجيال المستقبل ومصالحهم، التي يجب على الأجيال الحالية مراعاتها، إضافة إلى التوفيق بين مصالح الأغنياء والفقراء، وبين تطلعات الشمال والجنوب. لهذا السبب فقد تمكن المهتمون والمعنيون من الاجتماع في العام 1992، وبمشاركة ممثلين عن 115 دولة فيما عرف باسم «مؤتمر قمة الأرض» في ريو دي جانيرو، حيث اتفق الجميع على العمل اعتباراً من تلك اللحظة من أجل تحقيق التنمية المستدامة.



مستقبلنا في التنمية المستدامة

يقول الزعيم الكوبي فيدل كاسترو: (أحد أنواع الكائنات الحية المهمة بيولوجياً مهدد بالانقراض بسبب الطبيعة التدميرية لتطور أسلوب حياته المتسارع: إنه الإنسان). (ريو دي جانيرو، 12 حزيران 1992).

واليوم بعد ثمانية وعشرين عاماً من (مؤتمر قمة الأرض) لا نزال نشهد استمراراً للتدهور البيئي بما ينذر بمخاطر كبيرة ومصيرية على حياة الإنسان وحياة كوكبنا الوحيد الأرض.

التنمية المستدامة هي التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجاتهم. وهي تحتوي مفهومين أساسيين:

- مفهوم (الحاجات) وخصوصاً الحاجات الأساسية لفقراء العالم، التي ينبغي أن تعطى الأولوية المطلقة.

- فكرة القيود التي تفرضها حالة التكنولوجيا والتنظيم الاجتماعي على قدرة البيئة للاستجابة لحاجات الحاضر والمستقبل.

لذلك ينبغي أن تحدد أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية بمفهوم الاستدامة في جميع البلدان - نامية أو متطورة - تلك القائمة على اقتصاديات السوق، أو القائمة على التخطيط المركزي، ومهما اختلفت التفسيرات فإنه ينبغي أن تشترك في ملامح عامة محددة، وينبغي أن تنطلق من الإجماع على المفهوم الأساسي للتنمية المستدامة ومن إطار استراتيجي واسع لبلوغها.

إن التنمية تتضمن تحولاً مضطرباً في الاقتصاد والمجتمع. ويمكن من الناحية النظرية متابعة طريقة التنمية المستدامة بالمعنى المادي لهذه الكلمة حتى في ظل أوضاع اجتماعية وسياسية صارمة، إلا أنه لا يمكن تحقيق الاستدامة المادية دون أن تولي سياسات التنمية اهتماماً لاعتبارات مثل: إدخال التغييرات على طرائق توزيع التكاليف والمنافع وجعل الموارد في المتناول، وحتى المفهوم الضيق للاستدامة المادية يتضمن الاهتمام بالمساواة الاجتماعية ما بين الأجيال، وهو اهتمام ينبغي أن يشمل منطقياً المساواة داخل كل جيل. (لجنة البيئة والتنمية، 1989، 83).

يركز مفهوم التنمية المستدامة على تلبية الحاجات الأساسية للناس في كل العالم ولا سيما في البلدان النامية؛ من الغذاء والإسكان والعمل واللباس.. ودون التنمية المستدامة وفي ظل الفقر وعدم المساواة سيبقى العالم معرضاً للأزمات الحياتية والبيئية. (لجنة البيئة والتنمية، 1989، 83-84).



التنمية المستدامة تحافظ على البيئة من وحشية التلوث

بدلاً من التوجه إلى الحد من النمو الاقتصادي، تحولت الأنظار إلى مفهوم التنمية المستدامة الذي استحدثته وتبنته برامج الإنماء التي تشرف عليها الأمم المتحدة عام 1987 مع صدور الوثيقة المسماة (مستقبلنا جميعاً).

ويعني مفهوم التنمية المستدامة بصورة عامة أن على المجتمعات والدول أن تمضي قدماً في عملية الإنماء الاقتصادي اعتماداً على تدوير ما لديها من موارد طبيعية، وإعادة استغلالها عوضاً عن استنزائها بصورة مطردة.

وقد احتضنت هذه الاستراتيجية الجديدة جميع الهيئات والحركات المهمة بشؤون البيئة والحكومات والوكالات الرسمية وغير الحكومية في مختلف المجتمعات النامية.

أصبحت كذلك هي المظلة التي عقدت في رحابها عدة تجمعات ومؤتمرات دورية دولية مثل (قمة الأرض) التي بدأت في ريو دي جانيرو عام 1992م وتواصلت بعد ذلك.

واتسع هذا المفهوم في وقت لاحق بحيث أصبح يعني استخدام الموارد المتجددة والقابلة للتجدد لدفع النمو الاقتصادي، مع المحافظة على التنوع البيولوجي وأنواع الجنس الحيواني، والالتزام بالمحافظة على نظافة الهواء والماء والأرض. وأصبح الشعار الذي يجمع سائر الأطراف المهتمة بشؤون التنمية هو تلبية احتياجات الحاضر مع عدم الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على الوفاء باحتياجاتها، ورغم بعض الانتقادات التي توجه إلى هذا المفهوم الاستراتيجي، فقد أصبح في الآونة الأخيرة واحداً من الاستراتيجيات التنموية للأمم المتحدة، وأدرج في ما يسمى بأهداف الألفية الثمانية، وفي التعاهد الذي التزمت فيه جميع البلدان المئة والتسعة والثمانين الأعضاء في الأمم المتحدة خلال مؤتمر قمة الألفية عام 2000 بإنهاء الفاقة البشرية بحلول عام 2015. (غدنز، 2005، 640). لكن ذلك لم يتحقق لا في عام 2015 ولا في الأعوام التالية، وعلى العكس من ذلك يتزايد التفاوت بين الفقراء والأغنياء في البلد الواحد، ويزداد التفاوت بين مستويات معيشة البلدان المتقدمة والمتخلفة دون توقف.

2- المناخ على الأرض :

من المتوقع أن يؤدي التغير المناخي الكوني إلى زيادة التفاوتات بين البلدان الغنية والفقيرة وبخاصة مع ارتفاع درجات الحرارة، ويعكس الضرر المقدر للبلدان الفقيرة، جزئياً، قدرتها التكيفية الأضعف، وبالتالي فإن التغير المناخي قضية تنموية رئيسية.

يمكن للتغير المناخي أن يؤدي إلى تغيرات واسعة النطاق - وربما متعذرة الانعكاس - في منظومات الكرة الأرضية، مع تأثيرات في المستويات الكونية والقارية، ومع أن احتمال هذه التأثيرات ومداهما غير معروف جيداً، فإنهما سيكونان هامين، وينبغي تالياً تبيانها في صنع السياسة.

تشمل التأثيرات الممكنة:

- انخفاض غلال المحاصيل في معظم الأقاليم الاستوائية، وشبه الاستوائية وازدياد التقلب في الإنتاجية الزراعية بسبب حالات الطقس المتطرفة (جفاف وفيضانات).
- ازدياد التقلب في تكثف البخار إلى أمطار خلال مدة الرياح الموسمية الصيفية الآسيوية، التي قد تخفّض إنتاج الطعام وتزيد الجوع.
- انخفاض توفر الماء في العديد من الأقاليم الشحيحة المياه، وبخاصة الأقاليم الاستوائية؛ وازدياد عدم توفر الماء في بعض الأقاليم الشحيحة المياه مثل: أجزاء من جنوب شرق آسيا.
- ازدياد التدمير لسلسلة الصخور المرجانية القريبة من سطح الماء والمنظومات البيئية الساحلية، وازدياد التغيرات في أنماط الطقس المدعومة من المحيطات.
- ارتفاع مستويات البحار، فمع الارتفاع في مستوى البحر متراً واحداً من جراء الاحترار الكوني، قد تشهد مصر اختفاء 12% من أراضيها، حيث يعيش سبعة ملايين نسمة. ويهدّد ارتفاع مستويات البحار بجعل بلدان جزرية صغيرة متعددة مثل: مالديف وتوفالو غير صالحة للسكنى، وبتحويل مساحات شاسعة في بلدان أخرى إلى مستنقعات.
- ازدياد التعرض للأمراض المنقولة بالحشرات (المالاريا، حمى الضنك، الدّنجية) والأمراض المنقولة بالمياه (الكوليرا).

المصدر: IPCC, 2001A B, AND UNDP. 1998.

بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي للمناخ في الأمم المتحدة في 23/9/2019م شملت المظاهرات والمسيرات مختلف دول العالم النامي والمتقدم للتنبيه إلى خطورة وضع المناخ من قبل الشباب والشيوخ والأطفال والنساء؛ لأن قضية المناخ هي قضية مصيرية للجنس البشري.

لقد حددت اتفاقية باريس للمناخ 2015 الأسس المستقبلية للتفاعل مع الاحتباس الحراري من قبل الدول المتقدمة، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، لكن وصول دونالد ترامب إلى رئاسة أمريكا 2016م؛ أدى إلى تحول أمريكا نحو عدم الاهتمام بقضايا المناخ، حتى في جائحة كورونا 2020م يحجب ترامب مساهمة اميركا المالية عن منظمة الصحة العالمية.

أشارت المنظمة العالمية للأرصاد الجوية (WMO)، إلى ازدياد العلامات التي تشير إلى تغير المناخ وآثاره، من قبيل ارتفاع مستوى سطح البحر، وفقدان الجليد والطقس القاسي، خلال المدة بين 2015 حتى 2019، التي من المتوقع أن تكون السنوات الخمس الأكثر حرارة على الإطلاق.

وأفادت المنظمة بأن تركيزات غازات الاحتباس الحراري ازدادت أيضاً في الغلاف الجوي، وبلغت مستويات قياسية، مؤكدة بذلك الاتجاه الاحتراقي الذي ستشهده الأجيال القادمة.

وذكر تقرير المنظمة بشأن المناخ العالمي في هذه المدة، الذي صدر للاسترشاد به في قمة العمل المناخي التي عقدها الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، أن متوسط درجة الحرارة العالمية ارتفع بمقدار 1,1 درجة سلسيوس منذ مرحلة ما قبل الحقبة الصناعية، وبمقدار 0,2 درجة سلسيوس مقارنة بالمدة من العام 2011 حتى 2015.

وفي غضون ذلك، قال الأمين العام للمنظمة العالمية للأرصاد الجوية، بيتيري تالاس، وهو الرئيس المشارك للفريق الاستشاري للعلوم التابع لقمة الأمم المتحدة للمناخ: إن أسباب تغير المناخ وآثاره تتزايد بدلاً من أن تتباطأ.

وأضاف: «ارتفاع مستوى سطح البحر يتسارع، ونشعر بالقلق إزاء الانخفاض المفاجئ في الصفائح الجليدية في القطب الجنوبي وغرينلاند، وهو ما سيؤدي إلى تفاقم

ارتفاع مستوى سطح البحر في المستقبل، شهدنا أيضاً الآثار المأسوية لهذا الارتفاع في جزر البهاما وموزمبيق، فإن ارتفاع مستوى سطح البحر والعواصف الاستوائية الشديدة تؤدي إلى كوارث إنسانية واقتصادية».

وأوضح تالاس أن التحديات هائلة، وإلى جانب التخفيف من تغير المناخ، هناك حاجة متزايدة إلى التكيف معه، ووفقاً لتقرير لجنة التكيف العالمية الأخيرة، فإن أقوى وسيلة للتكيف تتمثل في الاستثمار في خدمات الإنذار المبكر، وإيلاء اهتمام خاص للتنبؤات القائمة على الآثار.

وواصل القول: «ومن الأهمية بمكان أن نحفز انبعاثات غازات الاحتباس الحراري، ولا سيما الناتجة عن توليد الطاقة والصناعة والنقل. وهذا الأمر بالغ الأهمية إذا أردنا التخفيف من حدة تغير المناخ وتحقيق الأهداف المحددة في اتفاقية باريس». (موقع الأمم المتحدة على الشابكة 2019/3/15)

3- استهلاك الطاقة :

آ - يعتبر إيجاد سبيل آمن ومستديم للطاقة مسألة حاسمة بالنسبة للتنمية المستدامة، وهو أمر لم نتوصل إليه بعد، ومع أن التوترات المتزايدة في استخدام الطاقة ظلت تأخذ في الانخفاض إلا أن التصنيع والتنمية الزراعية والنمو السريع للسكان في البلدان النامية ستظل تحتاج إلى الكثير الكثير من الطاقة، و معدل استهلاك الفرد من الطاقة أيضاً في اقتصاديات الأسواق الصناعية يبلغ اليوم ثمانين ضعف معدل استهلاك الفرد في بلدان الساحل الأفريقي، لذلك ينبغي على أي سيناريو واقعي وشامل للطاقة أن يأخذ بعين الاعتبار الزيادة الكبيرة في استخدام الطاقة الأساسية من قبل البلدان النامية.

ب- إن الارتفاع بمستويات استهلاك البلدان النامية للطاقة في عام 2025 إلى مستويات البلدان الصناعية سيستدعي مضاعفة الاستهلاك العام الحالي للطاقة خمسة أضعاف. وهذا ما لا يستطيع نظام البيئة للكرة الأرضية تحمّله خصوصاً إذا قامت هذه الزيادة على أساس الوقود غير المتجدّد المستخرج من الأرض. (لجنة البيئة والتنمية، 1989، 44).

ج- مطالبات الناس على النحو الذي ظهرت فيه أمام مؤتمر المناخ أيلول 2019 هي تقليل استخدام الوقود الأحفوري (البترول والفحم) والتوجه نحو الطاقات المتجددة (الشمس والرياح والبحر...).

د - إن التوجه نحو الطاقات البديلة المتجددة مكلف اقتصادياً، لكن استخدام الوقود الأحفوري خطير مستقبلياً. المفروض هو قيام الدول الغنية بمساعدة الدول الفقيرة بالتحول نحو الطاقات البديلة المتجددة؛ لتحقيق التنمية المستدامة.

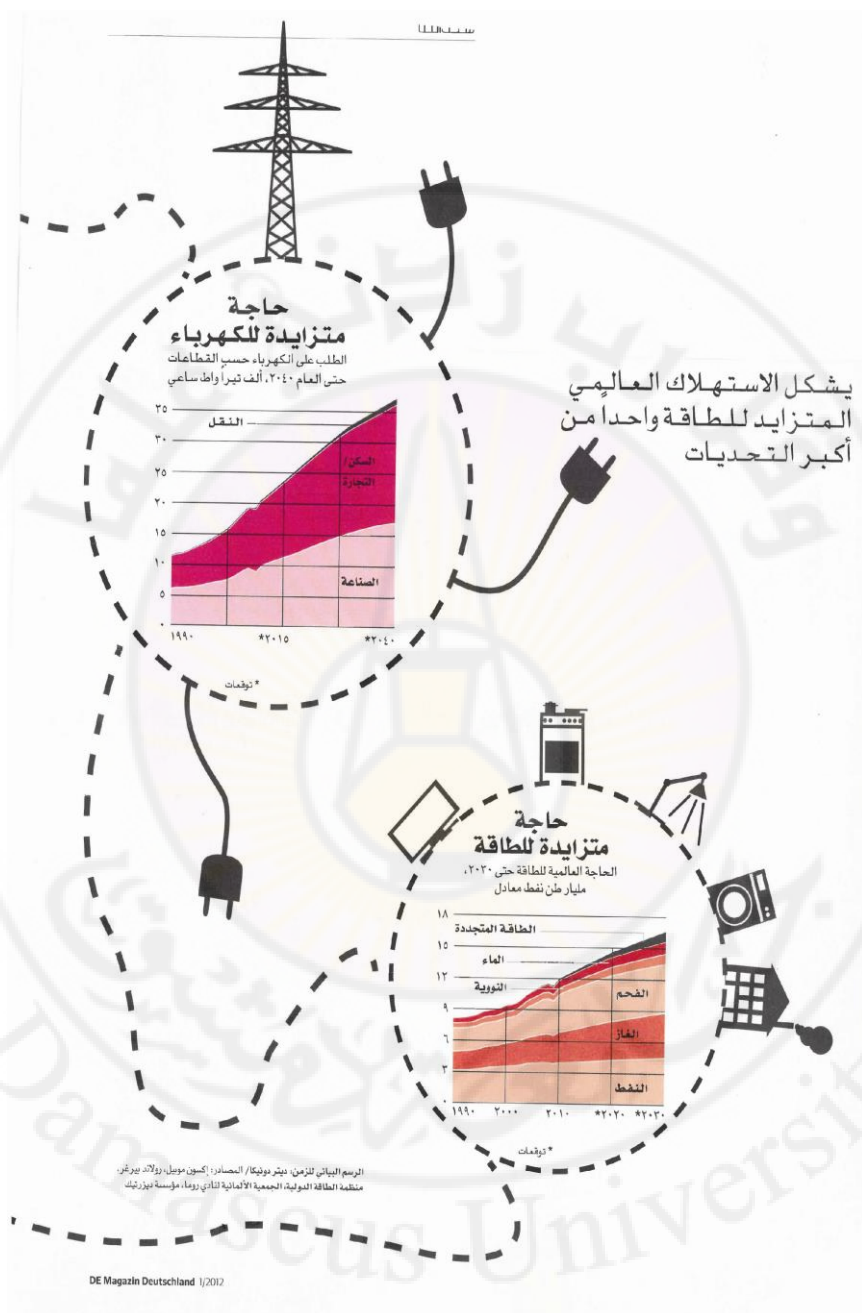
هـ- هناك جهود عالمية لتحديد البصمة الكربونية لكل صناعة، وإنتاج الكربون المضر بالبيئة في كل صناعة، وسيكون على كل دولة دفع مبالغ عن إصدار الكربون في مناطقها، وبالتالي ستدفع هذه الأموال لبنك الكربون العالمي؛ لأن البلدان المتقدمة تصدر من الكربون المضر للكرة الأرضية أضعاف ما تصدره البلدان النامية.

و - المهم عالمياً هو الحفاظ على رئة الكوكب: وهي الغابات الأكتشف في البرازيل وأفريقيا، وقد قاطعت البرازيل مؤتمر المناخ أيلول 2019؛ لأن الأمم المتحدة تريد وضع حماية دولية على غابات البرازيل، بعد أن تعرضت هذه الغابات لأكثر من كارثة حرائق متكررة.

ز - ضرورة التوجه لإنشاء غابات صناعية، وهي تجهيزات تقوم بامتصاص الكربون وتدفعه في الأرض.

ح- كلما أنتجنا مزيداً من الطاقة عن طريق الشمس أو الرياح، أصبحت الطاقة أرخص، وكلما أنتجنا المزيد من الطاقة عن طريق النفط والفحم، أصبحت أكثر تكلفة، وبطبيعة الحال، فإن «وقود» الرياح والشمس لا حدود له عملياً، على سبيل المثال تتلقى الأرض كمية من الطاقة القابلة للاستخدام فعلاً من أشعة الشمس في كل ساعة واحدة تفوق كل ما تحتاجه للاستهلاك من الطاقة في العالم في سنة كاملة، تتجاوز أيضاً إمكانات طاقة الرياح مجموع الطلب على الطاقة في العالم بعدة مرات. (آل غور، 2015، 180)

ط - إن إقلاع طائرة ينفث من الكربون ويدمر من الأكسجين ما تنتجه غابة أشجار كبيرة في يوم واحد، الأمر الذي يدل على أن احتياطي الأوكسجين محدود، وأضرار إنتاج الطاقة الأحفوري من كربون وحرارة أكبر من طاقة الكوكب على التحمل.



شكل (2) استهلاك الطاقة

4- أثر الزيادة السكانية، والتدخلات البشرية في البيئة:

آ - يمثل النمو السكاني واحداً من أهم المشكلات التي تواجهها البشرية في عالم اليوم، وقد تكهن توماس مالتوس قبل نحو مئتي سنة بأن متطلبات التزايد السكاني ستتجاوز حدود الموارد المتاحة للمجتمعات البشرية، أعرب أيضاً عن مخاوفه من أن تكاثر السكان سيؤدي في المستقبل إلى شيوخ البؤس والمجاعات.

ب- تعتمد الدراسات السكانية الديموغرافية في أكثرها على البيانات الإحصائية، غير أن الديموغرافيين يهتمون أيضاً بمعرفة أنماط التزايد (توزع الذكور والإناث) والتنوع والاتجاهات بين السكان، ويستخدمون في هذا السياق عدداً من المصطلحات والمفاهيم من بينها معدلات المواليد، والوفيات، والخصوبة. (المقصود معدل خصوبة النساء، وهي: في سورية 3.4 مولود لعام 2013، وكذلك التوزع الجغرافي للسكان).

ج- يجري تحليل التغيرات في أنماط السكان انطلاقاً من مفهوم الانتقال الديموغرافي/السكاني، فقبل مرحلة التصنيع، كانت معدلات المواليد والوفيات مرتفعة، نظراً للانخفاض السريع في معدل الوفيات والتدريج البطيء في معدل المواليد، غير أن الأمر وصل إلى درجة من التوازن والتعادل في المجتمعات الصناعية الغربية مع انخفاض كل من معدلي المواليد والوفيات.

د - تشير التقديرات إلى أن عدد سكان العالم سيتجاوز عشرة بلايين نسمة بحلول العام 2150م، وستكون النسبة الكبرى من هذه الزيادة في العالم النامي الذي سيكون قد مر في تلك الأثناء بمرحلة الانتقال الديموغرافي يعود بعدها إلى حالة من الاستقرار والتوازن السكاني.

أما المجتمعات الصناعية المتقدمة؛ فستستمر فيها ظاهرة الشيخوخة المجتمعية التي يتناقص فيها عدد الشباب المنتجين، وستؤدي هذه الاتجاهات السكانية إلى نتائج

بالغة الأهمية على أسواق العمل وعلى أنساق الرفاهية والخدمات الاجتماعية، وعلى مصادر الغذاء والماء، و ستفضي أيضاً إلى فرض أعباء متزايدة على البيئة الطبيعية والأوضاع المعيشية في المراكز الحضرية (بينما في الدول النامية تعاني من زيادة فتوة الهرم السكاني مما يؤدي للضغط على الخدمات الاجتماعية).

هـ- أسفرت الأنشطة والتدخلات البشرية عن آثار جذرية على جميع مظاهر العالم الطبيعي، وأصبحت جميع المجتمعات تواجه الآن القضايا المتصلة بالبيئة (وذلك لاحتواء الأضرار التي أصابت البيئة)، بسبب التصنيع والتقانة الحديثة، وشاعت في السبعينيات من القرن الماضي أفكار مؤداها أن التنمية والتوسع الصناعي لا يتلاءمان مع الطبيعة المحدودة لموارد الأرض، غير أن هذه الأفكار حلت مكانها في أواخر الثمانينيات اتجاهات أخرى تدعو إلى التنمية المستدامة، وتقضي بأن النمو ينبغي أن يمضي قدماً مع التأكيد على تدوير الموارد المتاحة، وإعادة استغلالها مرة بعد مرة بدلاً من استنزائها. (غدنر، 2005، 665).

و - من أجل تحقيق الاستقرار في النمو السكاني، ينبغي لنا إعطاء الأولوية لتعليم الفتيات، وتمكين المرأة، وتوفير سبل وصول واسعة الانتشار إلى معرفة إدارة الخصوبة وتقنياتها، والرفع المستمر لمعدلات بقاء الأطفال. يتمتع العالم اليوم بإجماع دائم حول فعالية هذه الاستراتيجيات الأربع- التي تستخدم مجتمعة - لإحداث تحول إلى أسر أصغر حجماً، ومعدلات وفيات منخفضة أكثر، ومعدلات ولادة متدنية أكثر، ومستويات مستقرة من التعداد السكاني. يتعين على البلدان الغنية دعم هذه الجهود لخدمة مصلحتها الذاتية. ويجب أن تحظى أفريقيا برعاية خاصة بسبب ارتفاع معدلات الخصوبة لديها، و وجود قاعدة موارد مهددة بالزوال. (آل غور، 2015، 92).

ز - الجهود الجبارة في العالم للقضاء على الأمراض المستعصية (السرطان والزهايمر وداء السكري ...) والقضاء على الفيروسات وآخرها فيروس كورونا الذي ظهر في الصين نهاية عام 2019، وإطالة العمر ووقف وفيات الرضع وتحقيق الإنجاب لراغبه، يجب أن تترافق مع دراسات أخلاقية؛ لأن درجة التحكم بالصفات الوراثية قد تصل لسؤال (من الذي يستحق أن يولد؟).

ح- تمثل أنماط الاستهلاك العالمي مرآة للنمو الاقتصادي، غير أنها تبين في الوقت نفسه مقدار الضرر والدمار الذي أصاب الموارد البيئية، وتظهر اتساع فجوة التفاوت واللامساواة في العالم. ويبلغ استهلاك الطاقة والمواد الأولية أعلى مستوياته في البلدان الأوروبية قياساً على بقاع العالم الأخرى، غير أن الأضرار البيئية الناجمة عن الاستهلاك المتعظم تترك آثارها البالغة الأكثر حدة على الشرائح والمجتمعات الفقيرة. (إن الاستهلاك أكبر في الغرب وأقل في الدول النامية، الأمر الذي يقتضي تحمل مسؤولية تقع على الغرب في تحمل نتائج زيادة الاستهلاك).

ط- هناك عدة مصادر للمخاطر البيئية، يرتبط بعضها بالتلوث وانبعثات المنتجات الضارة في الجو مثل: تلوث الهواء، والأمطار الحمضية؛ وتلوث المياه؛ والنفايات الصلبة التي لا يمكن إعادة استغلالها أو تدويرها. وتنطوي المخاطر الجسيمة الأخرى على استنزاف الموارد الطبيعية المتجددة مثل: الماء؛ والتربة؛ والغابات؛ وزعزعة التنوع الأحيائي في العالم الطبيعي. (إن كيس النايلون الذي نلقيه في الأرض جزافاً يحتاج 400 سنة ليتحلل!! وأكياس النايلون تسبب مشكلات كبيرة في البحر وفي البر للكائنات الحية).

ي - ترتبط القضايا البيئية ارتباطاً وثيقاً بالمخاطر، لأنها تكون في أغلب الأحيان محصلة للتوسع في مجالات العلوم والتقانة. ويشير الاحترار العالمي إلى الارتفاع التدريجي في

حرارة الأرض نتيجة لتصاعد مستويات ثاني أكسيد الكربون، والغازات الأخرى في الجو.

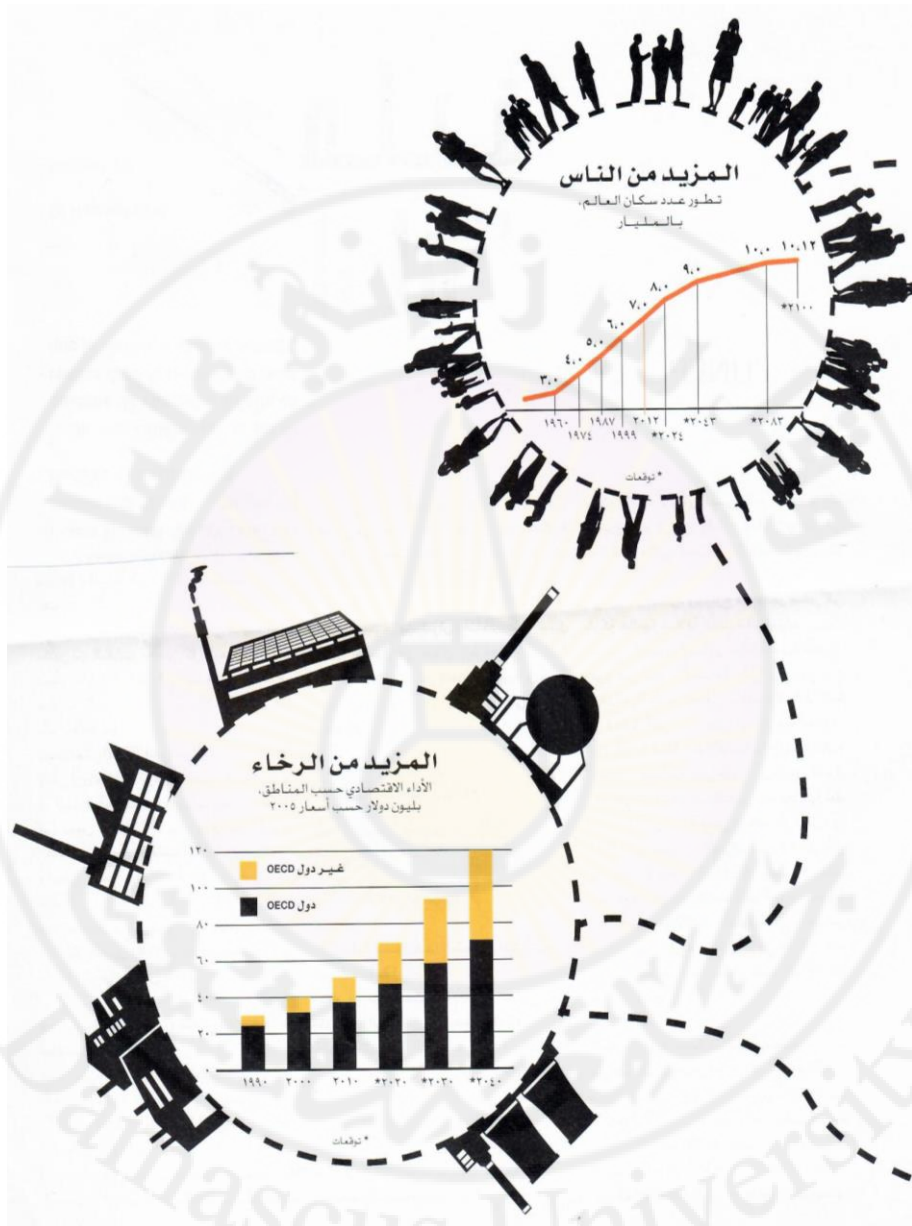
وثمة آثار محتملة حادة للاحتار، ومنها: الفيضان؛ وانتشار الأمراض والأوبئة؛ وقسوة الأحوال الجوية؛ وارتفاع مستوى سطح البحر. ومن الصعب مواجهة أخطار الاحتار هذه، لأن آثاره كثيراً ما تكون متداخلة وسريعة الانتشار.

(إن ارتفاع حرارة الأرض يؤدي إلى ذوبان الثلوج في القطب الشمالي والجنوبي؛ الأمر الذي قد يؤدي إلى غرق مدن بكاملها بسبب ارتفاع منسوب المحيطات، يضاف لذلك انطلاق غازات موجودة تحت الثلوج، وهذا يهدد بمخاطر متعددة).

ك - ترتفع حدة المساجلات بين المؤيدين والمعارضين حول المنافع والمخاطر التي ينطوي عليها إنتاج النباتات المعدلة جينياً؛ أي: النباتات أو المحاصيل التي تم إنتاجها بعد تعديل الجينات (المورثات) المؤثرة في خصائصها وطبيعتها ونموها، فبينما يعتقد المؤيدون أنها ستسهم في إنقاذ الملايين من الجوع وسوء التغذية، يرى المعارضون أنها ستلحق أضراراً بالغة بالبشر وبالبيئة الطبيعية. (جيدنز، 2005، 666)

(إن إنتاج بطيخ بوزن ستين كغ أو إنتاج دجاج - مع زيادة الهرمونات المضافة إلى طعام الدجاج - بوزن ستين كغ، وكذلك إنتاج خضراوات ضخمة... يعتقد المؤيدون للتدخل الجيني بأنه قد يحل مشكلة الجوع في العالم، بينما ينبه المعارضون على خطورة التدخل الجيني في حياة الحيوانات والنباتات، وأثر ذلك في نمو السرطانات والاختلال النباتي والحيواني وأثر ذلك المستقبلي أيضاً).

(الأقواس بين الفقرات من المؤلف).



شكل (3)
المصدر: (المجلة الألمانية/ كانون الثاني، 2012)

ثانياً - مستقبل وسائل الاتصال :

«بعد عصر المال وعصر المدفعية؛ أصبحت وسائل الاتصال وسيلتنا الأولى للهيمنة على العالم».

(زينغو بريجنسكي)
المستشار الأمريكي للأمن القومي



وسائل الاتصال والأقمار الصناعية

1- مفهوم الشبكة العنكبوتية:

في مطلع القرن الحادي والعشرين كانت شبكة العنكبوت العالمية (WWW) هي الأشهر والأكثر انتشاراً في الحيز الإلكتروني، وأصبحت الشركات التجارية والاقتصادية هي التي تستأثر بالجانب الأكبر من استخدامات الإنترنت وتطبيقاتها العملية، وتمثل الإنترنت من وجهة نظر العلوم الاجتماعية عموماً مكتبة عالمية فورية تتعدد فيها وسائل الاتصالات ومجالات الحصول على المعارف والأفكار والنصوص المرئية والمكتوبة والمسموعة والأخبار، وغدا بوسع الأفراد والمؤسسات اليوم أن يستخدموا (المستكشف) أو (المتصفح)

الإلكتروني للوصول إلى أية معلومات متاحة على مخزون الإنترنت المتجدد من النصوص والصور، والوثائق والبرامج في المجالات التعليمية، والاقتصادية، والسياسية، والروحية، والترفيهية.

وعام 1998 كان عدد مستخدمي الإنترنت يزيد على 100 مليون شخص (يقيم 88% منهم في المجتمعات الغربية والصناعية المتقدمة)، وتشير بعض التقديرات إلى أن نسبة انتشار استخدامات الإنترنت تتزايد بمعدل 200% كل سنة وبدرجات متفاوتة في المجتمعات البشرية المعاصرة. (جيدنز، 2005، 523)

2- علم اجتماع المستقبل و تقانة المعلومات:

منذ ما يزيد على ربع قرن أقامت وكالة المشاريع المتقدمة (ARPA) التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية شبكة (أربانيت ARPANET) للربط بين الجامعات ومراكز البحوث الأمريكية ضماناً لاستمرار التواصل بين العلماء ومتخذي القرار العسكري والسياسي في حالة حدوث ضربة سوفياتية نووية مفاجئة، وكانت البداية في عام 1969 عندما أقيمت نواة هذه الشبكة للربط بين المركز الدولي للبحوث التابع لجامعة ستانفورد وجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس وجامعة كاليفورنيا في سانتا باربارا.

من هذه النواة الرباعية ظلت الشبكة تنمو بمعدلات هائلة حتى أصبحت بلا شك (الشبكة الأم) أو (شبكة الشبكات). وصل عدد مستخدمي الإنترنت إلى 4.52 مليار نسمة، نهاية عام 2019 م، وفي نشرة صحفية للاتحاد الدولي للاتصالات (ITU): يستخدم الرجال الأنترنت أكثر من النساء، و أن 52 بالمئة من النساء في العالم لم يستخدمن الأنترنت نهاية 2019. الموصولون بالتكنولوجيا الرقمية 53% من سكان العالم، منهم 87% في الدول المتقدمة، و 28.2% في إفريقيا. (موقع ITU على الشبكة، 2020/2/9)

إن الإنترنت حالياً بمثابة تحقيق فعلي لاستعارة (القرية الإلكترونية) التي رددناها كثيراً في الماضي، وهي أيضاً خطوة عملية لإثبات مفهوم مجتمع المعلومات الذي شكك البعض في صحته، لقد توفرت أول مرة وسيلة فعالة لسرعة النفاذ إلى المعلومات وسرعة انتشارها وتوظيفها، وباتت من أهم الوسائل الأساسية لتحقيق النزعات الحالية نحو العولمة، وعلاوة على ذلك فقد أبرزت بصورة سافرة أننا بصدد وضع اقتصادي جديد هو اقتصاد عصر المعلومات، وذلك نظراً لتناقض اقتصادي جوهري خلاصته أن موارد المعلومات – عكس الموارد المادية – لا تنقص بل تزيد مع زيادة استهلاكها.



غيرت وسائل الاتصال توجهات البشرية وحياتهم

إن المتحمسين لشبكة الإنترنت يرون فيها الصورة القصوى لديمقراطية المعلومات تحت شعار: **المعلومات في كل وقت وكل مكان ولكل الناس**، في حين يرى فيها البعض نوعاً من فوضى المعلومات وتلوثها، بل وينذر بعض أصحاب النظرة المتشائمة بحرب معلومات عالمية ليؤكد ما حذّرنا منه فيلسوف ما بعد البنيوية الفرنسي فرنسوا ليونارد من (أن ما نشهده حالياً ما هو إلا مرحلة جديدة من مراحل الصراع العالمي، ويبدو من غير المستبعد أن تدخل دول العالم في حرب من أجل السيطرة على المعلومات، كما حاربت في الماضي من أجل السيطرة على المستعمرات، وبعد ذلك من أجل الحصول على المواد الخام والعمالة الرخيصة واستغلالها).

إن الحرية المطلقة الموعودة ما هي إلا خداع، وقد بدأت الطبقة التقليدية تتسلل إلى شبكة الإنترنت التي تحتوي حالياً عدداً من النوادي المعلوماتية خاصة بالأعضاء فقط.

لقد أصبحت الإنترنت من الضخامة حجماً وتأثيراً بحيث لفتت أنظار أصحاب القوى الاجتماعية التقليدية من أهل التجارة من جانب، وأهل الحكم من جانب آخر، لقد باتوا يخشون اختلال موازين القوى تحت ضغوط التغيير الهائلة التي ستؤدي إليه حتماً هذه الوسائل التقنية الساحقة، فأهل التجارة يرون فيها وسيلة طيبة للإعلان عن سلعهم وتحسس نبض أسواقهم، في الوقت نفسه الذي يخشون فيه من حراك اجتماعي يحتل من خلاله أصحاب العقول والأفكار قمة الهرم الاجتماعي، التي ما زالت حكراً على أصحاب الأموال، في حين يراها أهل الحكم وسيلة فعالة للسيطرة على ردود أفعال جماهيرهم.

تشير جميع الدلائل إلى أن الولايات المتحدة — وهي تدرك أن خدمات المعلومات ستمثل عما قريب واحداً من أهم موارد دخلها القومي — ستحيل شبكة الإنترنت إلى معقل اقتصادي حصين.

لقد عجزنا في الماضي عن استغلال حصاد المعارف الكامنة في الوثائق المطبوعة ولم نستغل من هذا الحصاد المعرفي إلا أقل القليل، ومما لا شك فيه أن هناك هدراً معرفياً ضخماً، ربما يكون الفارق الأساسي بين معرفة الماضي بصورتها المطبوعة والمعرفة في صورتها الإلكترونية الشبكية هو تميز الأخيرة بعنصر التفاعل الدينامي بين المستخدم ومصدر المعرفة، فبينما كان هدف المطبوع هو نشر المعرفة، تسعى الإنترنت وتقانة المعلومات عموماً إلى توظيف المعرفة فعلياً لا الاقتصار على نشرها فقط.

إن الفيضان المعلوماتي يكتسحنا ولا بد لنا من المشاركة- في هذا الفيضان في تلقي المعلومات والمشاركة في إنتاجها- كي لا نصبح خارج التاريخ. (نبيل علي، 1998، بتصرف).

علم اجتماع المستقبل يدرس هذا التفاوت بين الدول المتقدمة والدول النامية في تكنولوجيا المعلومات، ويدرس التفاوت بين الرجال والنساء في استخدام الإنترنت، الذي يعكس أيضاً التفاوت في مستوى التعليم، ومجالات العمل تبعاً لمتغير الجنس، وكذلك علاقة تقانة المعلومات بالتنمية المجتمعية.

الإنترنت اليوم منظومة عالمية لتبادل المعلومات واستثمارها؛ فالتخطيط لمستقبل سورية يقتضي الاهتمام بتقانة المعلومات، وصناعة المعلومات لتكون جزءاً من إعمار سورية ونهضتها.

3- الشباب و مستقبل مواقع التواصل الاجتماعي في سورية:

آ - تعريف مواقع التواصل الاجتماعي:

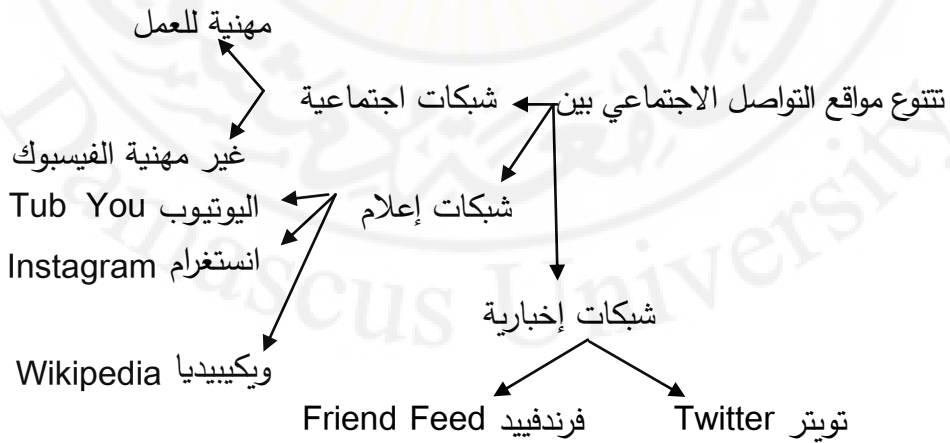
هي منظومة شبكات إلكترونية تسمح للمشاركة فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه مع أعضاء آخرين، يشتركون بالاهتمامات والهوايات، من خلال نظام اجتماعي إلكتروني.

بدأت تجربة مواقع التواصل الاجتماعي منذ سنة 1995 بموقع لتبادل الرسائل مع مشتركين آخرين على نفس الموقع، وتطورت المواقع إلى أن ظهر Facebook سنة 2004 في جامعة هارفارد في أمريكا على يد الطالب «مارك زوكربيرج» الموهوس ببرمجة الكمبيوتر؛ فجمع مختلف المستخدمين والراغبين بالتواصل عبر العالم، حيث انتشر الفيس بوك عبر جميع البلدان.

مواقع التواصل الاجتماعي زادت من المشاركة المجتمعية، والتفاعل والتأثير في قطاعات واسعة من الناس، التواصل يحصل من دون قيود: من السن أو النوع أو المهنة أو الجنسية...

هذه المواقع أثّرت في الشباب أكثر؛ لأنهم أكثر من يستخدم التكنولوجيا الجديدة ويتوافق معها.

المواقع تشمل (الفيديو، الدردشة، تبادل الملفات، مجموعات نقاش، بريد الكتروني، مدونات...).



ب- إيجابيات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي:

- 1- تنمية حب الاستطلاع والمعرفة عند الشباب والاطلاع على الكتب والمعارف الجديدة.
- 2- متابعة كل جديد في العالم، ومستجدات المعرفة الثقافية والفنية والرياضية.
- 3- تنمية المهارات والهوايات: تعلم اللغة، تعلم العزف، لعب جماعي (شطرنج).
- 4- اكتساب أصدقاء في مجال محدد.
- 5- الحوار مع جنسيات مختلفة، وثقافات مختلفة، ومعرفة عادات الشعوب وقضاياهم.
- 6- الترفيه في صور وموسيقا وأفلام.
- 7- فائدة ذوي الاحتياجات الخاصة: مواد سمعية للمكفوفين، مرئية للصم.
- 8- مواقع التواصل: تعزز حرية التعبير، والاقتراب من الجمهور.
- 9- تغطية الأخبار من موقع الحدث من خلال أفراد.
- 10- الإنترنت اليوم وسيلة للنشر العلمي للأبحاث والإبداعات.

ج- سلبيات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي:

- 1- تؤثر سلباً في دراسة الشباب ومستواها العلمي (يزداد التأثير بازدياد ساعات الاستخدام).
- 2- إشغال الشباب بأخذ الكثير من الوقت مما يقلل اختلاط الشباب وتفاعلهم.
- 3- التعرض لعمليات احتيال للحصول على أموال بطرق غير شرعية.
- 4- التعرض لمواقع إباحية تشغل المراهق عن حياته، وتعرض منظومته الخلقية للخطر.

- 5- الخضوع لأفكار غريبة عن مجتمعنا (النازية الجديدة - عبدة الشيطان...).
- 6- دعوات للانتحار والتشجيع عليه، ومشكلات نفسية متعددة: كالتوحد والاكتئاب.
- 7- التشهير بالأفراد والشركات ونشر الشائعات: لغايات ربحية أو للشهرة، أو للتشهير.
- 8- استخدام اللغة المحكية بما يؤثر في تمكين اللغة العربية. (شيوع مصطلحات النت).
- 9- ازدياد الاستهلاك بالاطلاع على الإعلانات التجارية، و لاسيما بدعوات التسوق على الإنترنت، مثال: دعوات تغيير الخلوي.
- 10- استخدامه من قبل الجماعات الإرهابية للتأثير في بعض الشباب المحبط واليائس: تبادل المعلومات، تجنيد عناصر جديدة، نشر إيديولوجيا إرهابية، الدعاية للجماعات الإرهابية.

د - الحلول (إصلاح ما يمكن إصلاحه) :

- 1- غرس القيم الدينية والأخلاقية وتنميتها، وتوجيه الشباب وتوعيتهم بخطورة التنظيمات الإرهابية وبطلان دعواتها، وإبعاد الشباب عن التطرف، والحرص على الدين القيم.
- 80% ممن يزورون صفحات العنف والتشدد تتراوح أعمارهم بين 18 و 24 سنة: 75% منهم من الذكور و 25% إناث. أما من حيث البلدان فتصدرت مصر القائمة في معدلات زيارة هذه الصفحات، ثم تونس وليبيا والجزائر والكويت والمغرب والسعودية واليمن (على الترتيب). (عسلون، 2016، 118).

2- الارتقاء بمعرفة الوالدين والأسرة بخبرات الإنترنت، ومنزلقات التعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي، وتفعيل دور الأسرة في مراقبة المواقع التي يرتادها المراهقون.

3- تقديم برامج تعليمية خاصة بالاستخدام الصحيح للشابكة.

4- تقديم نصائح صحية وتربوية ونفسية لمنع الإدمان على الإنترنت وشكل الجلوس الصحيح، والمدة المثلى لساعات المشاهدة.

5- إدخال مصطلحات الإنترنت وطرق الاستخدام الصحيح لمواقع التواصل الاجتماعي ضمن مناهج وزارة التربية في سورية.

6- زيادة الاستخدام الصحيح لشبكات التواصل الاجتماعي في مجال التعليم (أشرطة تعليمية وتفاعلية مع المعلم)، والتوعية المجتمعية: (تعزيز الانتماء للوطن، الأخلاق الصحيحة، الاندماج الاجتماعي والتسامح) والتطوير الذاتي: (تنمية الهوايات، تعلم لغات، الاطلاع على ثقافات الشعوب وعلوم الساعة).

7- تطبيق (المرسوم التشريعي رقم 17 لعام 2013 الخاص بتنظيم التواصل على الشابكة، ومكافحة الجريمة المعلوماتية في سورية) حرصاً على مستقبل أبنائنا ولضمان الاستخدام الصحيح لمواقع التواصل الاجتماعي.

3- يتجلى مستقبل وسائل الاتصال في مجتمعنا بالقضايا الآتية:

آ - أخذت وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية تؤدي دوراً جوهرياً في المجتمعات الحديثة، وتمثل هذه الوسائل في وسائط التواصل المختلفة مثل الصحف، والمجلات، والتلفاز، والإذاعة، والسينما، والفيديو، والأقراص المدججة وغيرها.. التي تنقل المعلومات والآراء والمواقف للجمهور.

وتترك هذه الوسائل آثاراً عميقة في حياة الناس؛ إذ إنها لا تزودنا بوسائل الترويح عن النفس، بل تسهم في تشكيل نوع المعلومات التي نتلقاها ونتصرف على أساسها في حياتنا اليومية.

ب- كانت الصحف أكثر أثراً في المراحل الأولى من تطور وسائل الاتصال، ولا تزال تمارس هذا الدور المهم، غير أن أشكالاً أكثر حداثة مثل التلفاز والإنترنت بدأت تقوم بأدوار مؤثرة قد تكون أكثر أهمية.

ج- تمثل الإنترنت وبعدها التلفاز التطور الأكثر أهمية في وسائل الإعلام خلال السنوات الأربعين الماضية، وكانت الدولة في أكثر البلدان هي التي تتولى إدارة الخدمات التلفازية.

وقد بدأت تقانة الأقمار الصناعية والكوابل بإحداث تغيير في طبيعة التلفزة في عدة نواحٍ جوهرية؛ إذ بدأت محطات التلفزة الحكومية والعامة تفقد جمهورها لصالح قنوات الاتصال المتعددة الأخرى، و بدأت الحكومات بتقليل سيطرتها ورقبتها على برامج التلفاز بصورة عامة. (جيدنز، 2005، 532).

د - من المهم بصفة خاصة تسريع عملية انتقال المؤسسات الديمقراطية إلى شبكة الإنترنت. المجال المفتوح أمام الأفراد للمنتدى العام القائم على الطباعة التي كانت مهيمنة في السابق عزز انتشار الديمقراطية، ورفع عالياً دور العقل والخطاب العام المبني على الحقيقة، ولكن التحول الهائل في الثلث الأخير من القرن العشرين من الطباعة إلى التلفزيون بوصفه وسيطاً أولياً للاتصال؛ أخمّد الخطاب الديمقراطي، وأعطى مجالاً مفضلاً لأولئك الذين يمتلكون الثروة والسلطة، وقد حجب هذا التحول دور العقل، وبخس أهمية عمليات البحث الجماعي عن أفضل الأدلة المتاحة، ورفع عالياً من الدور الذي يمارسه المال في السياسة - وخصوصاً في الولايات المتحدة - الأمر الذي شوّه عملية بحثنا عن الحقيقة وحطّ من قدر مقدرتنا على التفكير معاً.

وينطبق الشيء نفسه على وسائل الإعلام الإخبارية. فوسيلة التلفاز ذات الاتجاه الواحد، التي يهيمن عليها أصحاب الإعلانات التجارية، والتي تحكمها التكتلات؛ تعمل على خنق التدفق الحر للأفكار الضرورية لعملية تقرير المصير الحقيقية. (آل غور، 2015، 289)

في الحرب على سورية على سبيل المثال 2011-2019 زوّرت الدول الغربية وبعض الدول العربية أخباراً كثيرة بعيدة كل البعد عن الحقيقة، وبشت الأخبار والتعليقات والتحليلات عبر الأقنية الفضائية؛ بحيث يقدم الخبر في كل محطة فضائية وفق أجندة المحطة السياسية الخاصة. الخبر الواحد عن ليبيا أو سورية أو اليمن.. يمكن أن تشاهده في كل قناة فضائية بطريقة مختلفة، لذلك كانت هذه الأقنية الفضائية عنصراً مدمراً في العلاقات الإنسانية بين أبناء المجتمع الواحد، وأداة سياسية لتجارة الحرب على الناس.

هـ- من القضايا المهمة على شبكة الإنترنت هي «فقدان الخصوصية»؛ فقد استخدمت شركات الإنترنت العالمية معلومات الأشخاص لأغراض تجارية وسياسية وجاسوسية. فلا بد من قانون عالمي لمعالجة سوء استخدام الملفات الشخصية لغير صالح أصحابها. و - طرحت عدة نظريات اجتماعية حول وسائل الإعلام الجماهيري: يرى (إينيس) و(ماكلوهن) أن وسائل الإعلام تؤثر في المجتمع من خلال (الكيفية) والأسلوب الذي تنقل به المادة الإعلامية لا ب(مضمون) التواصل نفسه. وعلى حد قول ماكلوهن، فإن (الوسيلة هي الرسالة): فالتلفاز على سبيل المثال يؤثر في أنماط سلوك الناس ومواقفهم لأنه مختلف في طبيعته عن الوسائل الأخرى مثل الصحف والكتب.

ز - ومن المنظرين الآخرين المعروفين في مجال التواصل والإعلام يورغن هابرماس وجان بودريار وجون تومسون.

ويشير هابرماس إلى دور وسائل الإعلام في خلق (المجال العام)، وهو الحلقة التي يتشكل فيها الرأي العام وتناقش فيها الآراء بصورة علنية.

وقد تأثر بودريار بآراء ماكلوهن، وهو يعتقد أن الوسائل الإعلامية الجديدة، والسينما والتلفاز، تغير (الواقع) الذي نعيشه.

ويقول تومسون: إن وسائل الإعلام والاتصال قد أوجدت شكلاً جديداً من التفاعل الاجتماعي هو (شبه التفاعل بالوسائط) ، وهو أكثر محدودية وضيقاً واندفاعاً في اتجاه واحد من التفاعل الاجتماعي اليومي.

ح- خلال السنوات الأخيرة، أدى التقدم في تقانة الاتصال الجديدة إلى دمج أشكال الاتصال المختلفة (التي تعتمد على النص أو الصوت أو الصورة عن بُعد) في وسط تقاني واحد، إذ تضافرت المكتشفات الجديدة في مجالات التقانة الرقمية، والألياف البصرية وأنظمة الأقمار الصناعية لدمج المعلومات، وتسهيل نقلها من خلال الوسائط المتعددة التي تجمع عدة أشكال اتصالية في وسط واحد هو الوسط التفاعلي الذي يتيح للمتلقي فرصة المشاركة النشطة في ما يراه أو يسمعه، وتحتل الهواتف الجواله / الخلوية موقع الصدارة في عالم الاتصالات.

ط - أفسحت الإنترنت مجالات وآفاقاً غير مسبقة من الترابط المتبادل والأنشطة المتداخلة، وتزايدت أعداد مستخدمي شبكات الإنترنت العالمية بسرعة فائقة، مع تزايد التوسع في ميادين الأنشطة التي يمكن أدائها (على الخط).

وتطرح الإنترنت إمكانات جديدة مثيرة، غير أنها تثير القلق في أوساط كثير من المحللين؛ من أن تفوّض العلاقات البشرية، والجماعات عن طريق تشجيع النزوع إلى العزلة والانغلاق.

ي- تعولت صناعة الاتصالات خلال العقود الثلاثة الماضية، ويمكن التمييز في هذا المجال بين عدة اتجاهات: تركز ملكية وسائل الإعلام والاتصال في مؤسسات الاتصال العملاقة؛ وانحسار الملكية العامة والحكومية في وجه تملك القطاع الخاص للمؤسسات

الإعلامية؛ وامتداد نفوذ الشركات الإعلامية عبر الحدود والأنظمة الرقابية الوطنية؛ وتنويع شركات الاتصال لأنشطتها ومنتجاتها؛ وتواتر عمليات الدمج بين هذه المؤسسات.

و بدأت أيضاً أعداد قليلة من الشركات الكبرى المتعددة الجنسية بفرض هيمنتها على الصناعة الاتصالية العالمية في مجالات الموسيقى والتلفاز والسينما والأخبار.

ك- إن إحساسنا اليوم بأننا نعيش في عالم واحد هو في المقام الأول من نتائج النطاق العالمي الذي تنشط فيه وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري.

فقد برز إلى حيز الوجود نظام إعلامي عالمي يتمثل في أنساق دولية من إنتاج السلع والخدمات الإعلامية وتوزيعها واستهلاكها.

ويعتقد الكثيرون أن الموقع المتقدم الذي تحتله البلدان الصناعية في النظام المعلوماتي العالمي؛ قد أخضع البلدان النامية لشكل جديد من الإمبريالية الإعلامية، ويخشى كثير من النقاد من أن تتمركز السطوة الإعلامية في أيدي قلة قليلة من المؤسسات أو الأفراد المتنفذين، ربما يؤدي ذلك إلى تقويض الأسس التي تقوم عليها الديمقراطية . (جيدنز، 2005، 534).

ل - فيما يتعلق بعلاقة الإعلام بعلم اجتماع المستقبل : هناك علاقات متعددة بين قضايا الإعلام وعلم الاجتماع ؛ تتمثل في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد بتأثير وسائل التواصل الاجتماعي (بين أفراد الأسرة، بين الدولة والمواطن، بين مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية..) علم اجتماع المستقبل يدرس تطور هذه العلاقات ومستقبلها.

ثالثاً - مستقبل اللغة العربية:

ليست اللغة العربية مجموعة من الكلمات والعبارات؛ إنما هي رابطة العرب ورمز الانتماء لأمة العرب ولثقافة العربية، عموماً لغتي هي هويتي.

آ - خصائص اللغة العربية:

لها خصائص متعددة أبرزها: الإعراب والإيجاز والشمول والدقة والموسيقية والغنى.

الإعراب: هو الإبانة والإيضاح، والإيجاز: لأن العرب تستحسن الإيجاز، قالوا (البلاغة في الإيجاز، وخير الكلام ما قل ودل)، والشمول والدقة: في معرفة الوجود المادي والمعنوي، والموسيقية: إذ يستعذب العرب الموسيقى الموجودة في اللغة العربية، و الفصاحة: في خلو اللفظ من التنافر، ومن خصائصها الموسيقية أن العرب لا تبدأ بساكن، ولا تقف على متحرك، والعروض: هو علم موسيقا الشعر. **الغنى:** العربية من أكثر لغات العالم غنى بالمفردات والتراكيب والمفاهيم؛ مما يكسبها اتساعاً في التعبير عن أشكال الحياة والأفكار. يعينها في ذلك أمور أربعة: الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب وهي أهم وسائل نمو اللغة العربية وحيويتها. (الخطيب، 2008، 272-277)

الإحصائيات تقول: 60 دولة تتحدث باللغة العربية، لغة رسمية في 26 دولة، ترتيبها الرابع عالمياً، عدد كلماها 12 مليون كلمة، الناطقون بها 422 مليون شخصاً.

ومن مزايا العربية أنها كانت لغة العلم والحضارة والمدنية للأمم عريقة فيها، رأوا في العربية خصائص دعتهم إلى تفضيلها على لغاتهم الأصلية، واتخاذها لغة لهم اعتزوا بها ودافعوا عنها وحفظوها وضخموا ثروتها، وإذا زعم زاعم أن سبب هذا التفضيل العاطفة الدينية، فإن مما ينقض ذلك أن أمماً وأفراداً ليسوا مسلمين فتنوا بالعربية واتخذوها لغتهم، بل اتخذوها لغة عباداتهم. (بشناني، 2003، 52).

مرت أزمنة طويلة مع ظهور الإسلام والفتوحات الكبرى بعد الإسلام واختلاط العرب بغيرهم، والعربية تتسع وتتطور وتصلح للوفاء بحاجات العربي العلمية والسياسية والتجارية، وتلبي مطالب الحضارة، متفوقة على لغات قائمة ومزدهرة قريبة منها مثل

الفارسية والهندية... الحضارة العربية التي امتدت من القرن السابع حتى القرن الرابع عشر للميلاد، كان القرآن الكريم أكبر حافظ لديمومة اللغة العربية؛ إذ يصلّي بها جميع المسلمين، ويقرؤون في كتابها الخالد. وهذا هو الشاعر حافظ إبراهيم يتحدث باسم اللغة العربية:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن أي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني وفيكم - وإن عز الدواء - أساتي؟!

ب - اللغة العربية والتجديد:

الدعوات للحفاظ على أصالة اللغة العربية، والحرص على قواعدها، لا يعني انغلاق العربية على ذاتها والجمود في مصطلحاتها؛ الأصح هو الحرص على التجديد اللغوي والحرص على توليد الألفاظ والمصطلحات باستخدام القياس وقواعد اللغة العربية، بما يمكنها من استيعاب التغير الحضاري العلمي والسياسي والفلسفي عندنا وفي العالم.

أدت ثورة المعلوماتية والعولمة إلى ضغوطات متعددة على اللغة العربية وهي رابطة العرب الأساسية، فالنشر الإلكتروني أصبح هو السائد في العالم وإمكانات النشر العربية لا تزال ضئيلة، في عولمة تجعل العالم قرية واحدة لغتها هي اللغة الإنكليزية، وهناك من يحول العولمة إلى مصطلح أقرب لما يجري، وهو: الأمركة لأن أغلب شركات الإنترنت والتواصل الاجتماعي، وعمالقة الإعلام الكلي موجودة في أمريكا.

لقد قدّم د. محمود السيّد مجموعة من المقترحات لاستيعاب اللغة العربية للتطور الحضاري ومواجهة طوفان العولمة، وهي خلاصة آراء العديد من علماء اللغة وعلماء تطوير المحتوى الرقمي العربي:

- 1- إجراء مسح شامل لجميع مشروعات المعالجة الآلية للغة العربية في داخل الوطن العربي وخارجه، وتعزيز التواصل بين الجهات التي تقوم بتنفيذها منعاً للازدواجية والتكرار.
- 2- دعوة وزارات الاتصالات والتقانة في الوطن العربي إلى التنسيق والتكامل فيما بينها من جهة، وبينها وبين اتحاد المجامع اللغوية العربية لاعتماد المصطلحات التي يقرها الاتحاد في مجالات عمل هذه الوزارات.
- 3- وضع سياسات لإغناء المحتوى الرقمي العربي في ضوء معايير قابلة للقياس.
- 4- دعوة وزارة الإعلام في الدول العربية إلى تعميم استخدام المصطلحات العلمية المتفق عليها في اتحاد المجامع اللغوية وكليات المعلوماتية والمعاجم اللغوية المتخصصة.
- 5- ضرورة الاعتراف الأكاديمي العربي بالدوريات الرقمية مصدراً للمعلومات.
- 6- دعم البحوث العلمية والدراسات التي تتعلق بالمحتوى الرقمي، ودعم إنتاج البرمجيات الخاصة بمعالجة اللغة العربية.
- 7- ضرورة إيلاء المكتبات الجامعية العربية اهتماماً، وذلك بتوفير الكتب الدراسية الإلكترونية، على أن تكون قابلة للعرض على الهواتف المحمولة لطلابها.
- 8- ضرورة الاهتمام بكيفية ظهور مواقع المكتبات على الشبكة من خلال الهواتف المحمولة، واتخاذ التدابير اللازمة للتأكد من ملاءمتها للشاشات الصغيرة.
- 9- السعي إلى إدخال اللغة العربية في منظمة التجارة العالمية بغية استخدامها بصورة فعالة في المجالات الاقتصادية والتجارية والتقنية.
- 10- إيجاد تشريعات عربية حاکمة للعمل في البيئة الرقمية، وجميع القضايا المتصلة بالمعلومات وبثها واستخدامها، وحماية مُورّدي المحتوى ومستهلكيه، وحماية الحقوق الفكرية.

11- دعم حركة الترجمة على الصعيد العربي، والسعي إلى زيادة نسبة ما يترجم إلى اللغة العربية من اللغات الأخرى، وخاصة في المجالات العلمية؛ نهوضاً بالمحتوى الرقمي العربي.

12- إعادة النظر في المناهج التربوية على الصعيد العربي، لإعداد جيل عربي يواكب روح العصر، عصر العلوم والتقانة والثقافة الرقمية؛ بغية تخريج كوكبة من المبدعين القادرين على الفهم والتحليل والتفسير والتوظيف.

13- العمل على تطوير البرامج الأكاديمية في الجامعات، وخاصة في أقسام اللغة العربية وكليات التربية المعنية بتأهيل المعلمين، وذلك في مجالات حوسبة اللغة العربية ومعالجتها.

14- العمل على افتتاح أقسام دراسية متخصصة في مجال المعلومات والمكتبات في الجامعات التي لا توجد فيها، وتحديث مناهج هذه الأقسام التي تمكنها من تأهيل أطر فنية قادرة على التعامل مع قضايا المعلومات وتقنيات خزنها ومعالجتها واسترجاعها وتوظيفها.

15- ضرورة الإسراع في تعريب أسماء النطاقات العربية على الشبابة في ضوء معايير اللغة العربية والمعايير الدولية.

16- العمل على بث الوعي القومي بأهمية المحتوى الرقمي العربي بالاستفادة من البرامج الإعلامية والثقافية والتربوية.

17- دعوة المستثمرين العرب إلى توجيه بعض من مشروعاتهم نحو صناعة المحتوى الرقمي العربي، والاستثمار في زيادة مساحته على الشبابة.

18- إعلان مسابقات على الصعيد العربي لأفضل المواقع الإلكترونية التي تعتمد اللغة العربية الفصحى في نشر موادها، وتخصيص الجوائز للمواقع المتميزة تشجيعاً لأصحابها، وحثاً للمواقع الأخرى كي تحذو حذوها.

19- السعي لإنشاء مكتبة رقمية عربية لإبراز الثقافة العربية الأصيلة وتبيان إسهامها في مسيرة الحضارة البشرية على أن تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

20- السعي الجاد من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى تنفيذ مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة الذي تقدمت به الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة العربي الذي عقد في دمشق عام 2008. (السيد، 2017، 218، باختصار)

ويمكن إضافة قضايا أخرى للتوصيات التي تقدم بها «السيد» لفهم دور اللغة وعملها، وهو أن دراسة العربية عندنا مقصورة على اللغويين وحدهم، على حين صارت في البلاد المتقدمة مشاعاً بين علماء النفس، والاجتماع والسياسة والإعلام إضافة إلى علماء اللغة، كل فريق من هؤلاء يقوم بدراسات ذات صلة باختصاصه، وهذا يؤدي إلى فهم طبيعة اللغة فهماً أكثر شمولاً، فلا يبقى الأمر عند حدود فهم قوانينها ومعرفة قواعدها، بل يتعداها إلى دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة وتأثيرها، ويتعداه أيضاً إلى دراسة المعالم النفسية عند المتعلم، وهذا يؤدي إلى معرفة أنجح الوسائل لخدمتها وطرائق تعليمها. (الزركان، 2002، 126 بتصرف)

هذا يجعل لعلم الاجتماع دوراً في تعزيز اللغة العربية لغة العرب وكيانهم؛ لأن علم الاجتماع معني بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع، وتميز الجماعة البشرية بلغتها، و لعلم الاجتماع التربوي دور في فهم عملية تعلم اللغة العربية ومراعاة المراحل النمائية للطلاب في فهم اللغة، وفهم أساليب التعليم الأجدى لهذا. بريطانيا وفرنسا تحرصان كل الحرص على

انتشار لغتيهما الإنكليزية والفرنسية وتعميمهما على العالم، ومن البديهي أن يكون هدفهما فت عضد الأمة العربية وتشتيت شملها باستهداف لغتنا القومية.

لا شك أن اللغة العربية تتعرض لتهديدات متعددة: من شيوع اللهجة العامية في الدول العربية، والدعوات إلى تعميمها، وشيوع الأخطاء اللغوية في الإعلام وفي الإعلانات التجارية، واستخدام اللغة الإنكليزية بكثافة في الأجهزة الخلية المنتشرة بأيدي الشباب، وفي الشبابة، و في المطارات، وفي دقائق المخترعات والعلوم، لكن الحقيقة أن لغتنا قادرة على التطور باستمرار؛ باستيعاب العلوم والوقوف في وجه العولمة، والتوليد اللغوي لمختلف المخترعات والفعاليات الحياتية.

نؤكد في علم اجتماع المستقبل على هذه العلاقة بين الجماعة القومية ولغتها، وعلى دور الجماعة في تنمية لغتها من أجل مستقبل الجماعة واستمراريتها، دون تعصب أو تطرف.

و نؤكد أن حرصنا على لغتنا العربية هو حرص على هويتنا القومية، وعلى الشخصية العربية، والثقافة العربية التي تجمعنا، لأن مستقبل اللغة العربية هو مستقبلنا.





خاتمة

بحث هذا الكتاب في قضايا علم اجتماع المستقبل، والدراسات المستقبلية من موقع علم الاجتماع، واضعين نصب أعيننا مستقبل وطننا الغالي سورية، وسبل تحقيق التنمية، و يمكن تبني ركائز النهضة الشاملة لسورية التي قدمها المفكر مُجدُّ أشرف البيومي وهي:

- 1- دعم الاستقلال والانتماء الوطني.
- 2- إرساء قواعد العدالة الاجتماعية التي تهدف إلى تحقيق معيشة كريمة وعادلة لعموم الشعب.
- 3- اتباع منهج الاعتماد على الذات والتنمية المستقلة والتعاون المتكافئ.
- 4- تعميق أسس المجتمع العلماني متعدد الأديان والطوائف والمذاهب.
- 5- توظيف العلم بشكل أساسي في التنمية.
- 6- نشر المنهج العلمي (المنطق) أساساً ثقافياً.
- 7- خلق مناخ يشجع على الإبداع في جميع المجالات.
- 8- توسيع دوائر الحوار وضمان حرية النقد.
- 9- احترام الموروث وحرية الاقتباس الملتزم.
- 10- إعلام يخدم ركائز النهضة ويشجع الحوار.
- 11- تبني شعارات ونشر قيم وأخلاقيات متناسقة مع مشروع النهضة.
- 12- ثقافة شعبية رائدة تخلق مناعة فكرية ضد التطرف الديني. (العطار، 2018، 744). ورغم الحرب والدمار يرى بيومي:

(لقد تولدت طاقة هائلة في سورية إثر صمود أسطوري وانتصار على الأبواب. هذه الطاقة المعنوية أكبر بكثير من مصادر الطاقة المادية المختلفة التي تنير الأضواء وتدير المصانع وتشغل القطارات والسيارات والطائرات، لأنها طاقة تحرك المجتمع وتستنهضه ليحقق نهضة وتقدماً تاريخياً كبيراً). (الطار، 2018، 745). فالمعاناة توحد السوريين لتغيير مسارات حياتهم، وتبني القيم الاجتماعية – الثقافية المناسبة للعيش المشترك وتحقيق المستقبل الأفضل.

إن الكم الهائل من الدراسات الأجنبية عن المنطقة العربية في جميع المجالات، يستدعي إدراك الأهمية الكبيرة لموضوع علم اجتماع المستقبل، وإدراك أن عدداً كبيراً من الدول الأجنبية تشكل الدراسات المستقبلية موجهاً لها في قراراتها نحو المنطقة، هذا مع العلم أن الشركات الكبرى، والشركات متعددة الجنسيات تمتلك أقساماً للدراسات الاقتصادية-الاجتماعية؛ لفهم المجتمعات العربية (آليات الأسواق التجارية وتطورها، ونفسيات العرب: صغيرهم وكبيرهم..)، إضافة لعمل مراكز السياسات الغربية؛ لفهم مستقبل الوطن العربي في جميع علاقاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية..

لاشك أن علم اجتماع المستقبل هو علم مهم للتنمية العربية، ولتخطيط القوى العاملة، وللتنمية البشرية، ولتحديد مسارات التنمية والثقافة... والتربية لهذه الأجيال وللأجيال القادمة.

تأخر علماء الاجتماع العرب في تناول هذا العلم المستقبلي وفي دراسة مشكلاته المتعددة، ووضع النماذج المستقبلية لسورية وللاقطار العربية في اجتماعها وتفرقها. التحضر للمستقبل هو الذي يحدد سبل الوصول إلى قوة العرب في وحدتهم وتعاضدهم، لذلك هذه مناسبة لتأكيد أهمية علم اجتماع المستقبل، وضرورة نشر الدراسات والمشكلات التي

يطرحها هذا العلم، من خلال الباحثين العرب وطلبة الدراسات العليا في قسم علم الاجتماع، وفي فروع العلم القريبة لتحقيق نتائج علمية واعدة في تحليل المجتمع العربي، والوصل الفعال بين علم التاريخ وعلم الاجتماع، والمرحلة مناسبة لزيادة الدراسات الاجتماعية المستقبلية من قبل الباحثين الشباب، وطلبة الماجستير والدكتوراة، في قسم علم الاجتماع، وتقديم الإمكانيات المتعددة للباحثين في دراسة علم اجتماع المستقبل لأهميته الكبيرة لمستقبل القطر العربي السوري، ولجميع الأقطار العربية.

المرحلة مناسبة الآن؛ لأنّ سورية على أبواب تغييرات اجتماعية واقتصادية كبيرة؛ تحضيراً لإعمار سورية بعد الحرب، وبعد جائحة كورونا؛ و التخطيط لذلك ينطلق من دراسات علم اجتماع المستقبل، فهو الأجدى لتخطيط مستقبل المجتمع.

لقد وصم العرب بأنهم لا يخططون لمستقبلهم، ويتظنون المستقبل دون التحضر لاستقباله، هذه المادة تدرس خطورة انتظار المستقبل، وأهمية تضافر الجهود العربية استعداداً للمستقبل لحماية للأجيال القادمة.

سورية التي عانت من ويلات الحرب، بحاجة لجهود جماعية: ميزة علم اجتماع المستقبل أنه يعتمد على اختصاصات متعددة، لتحقيق هدف التنمية في سورية، لإعمار سورية وتعزيز مواردها الطبيعية والبشرية، واستثمارها لمستقبل واعد.. يدق على الأبواب.





مصطلحات علم اجتماع المستقبل

عربي - إنكليزي

- Astrology - التنجيم
- Astronomy - علم الفلك
- Arab Revolution - الثورة العربية
- Arab Unity - الوحدة العربية
- Arab Socialism - الاشتراكية العربية
- Back Casting - تنبؤ رجعي
- Change, Social Change - تغيير ، تغيير اجتماعي
- Cultural Anthropology - الأنثروبولوجيا الثقافية
- Cultural Assimilation - تمثيل ثقافي
- Cultural Capital - رأس المال الثقافي
- Cultural Diffusion - انتشار ثقافي
- Cultural Integration - تكامل ثقافي
- Cultural Lag - تخلف ثقافي
- Cultural Materialism - المادية الثقافية
- Content Analysis - تحليل المضمون
- Crowding - الازدحام السكاني
- Causal Layered Analysis - تحليل التدرج السبي

- Cultural Dependence - التبعية الثقافية
- Cultural Pluralism - تعددية ثقافية
- Cultural Relativism - نسبية ثقافية
- Cultural Studies - الدراسات الثقافية
- Cultural Theory - النظرية الثقافية
- Culture Area - منطقة ثقافية
- Culture of Poverty - ثقافة الفقر
- Culture Shock - صدمة ثقافية
- Customs - عادات اجتماعية
- Cyber Society - المجتمع السبرنطقي (ذو أنساق)
- Cybernetic Hierarchy - التدرج السبرنطقية
- Cybernetics - السبرنطيقا
- Cycle of Deprivation - دورة الحرمان
- Cyclical Change - تغير دوري
- Cyclical Unemployment - بطالة دورية
- Democracy - ديمقراطية
- Democratic Socialism - الاشتراكية الديمقراطية
- Demographic - تحول ديموغرافي
- Density - الكثافة
- Dependence, Dependancy - تبعية - اعتماد - إعالة
- Dependency Ratio - معدل الإعالة

- Dependency Theory
- Dependent Population
- Dependent Variable
- Depression, Clinical
- Deprivation
- Descent Theory
- Democracy
- Democratic Socialism
- Demographic
- Developed Countries
- Developing Countries
- Delphi Technique
- Ecology
- Economic Welfare
- Economic Development
- Economic Under Development
- Futuristic Studies
- Futurology
- Future Research
- Foresight Studies
- Future Movements
- نظرية التبعية
- السكان المعالون
- متغير تابع
- الاكتئاب، الاكتئاب السريري
- حرمان
- نظرية النسب (أو الانحدار القرابي)
- ديمقراطية
- الاشتراكية الديمقراطية
- تحول ديموجرافي
- البلدان المتطورة
- البلدان النامية
- تقنية دلفي
- إيكولوجيا، علم البيئة
- رفاهية اقتصادية
- تنمية اقتصادية
- تخلف اقتصادي
- الدراسة المستقبلية
- علم المستقبل
- بحوث المستقبل
- دراسات البصيرة
- التحركات المستقبلية

- Futurology
- Future of Sociology
- Frankfurt School
- Future Wheel
- Functionalism
- Freudism
- Global Models
- Globalization
- Globalization Theory
- Human Resources
- Habitus
- Hidden Curriculum
- Historical Demography
- Historical Materialism
- Historical Sociology
- Historicism
- Hidden Curriculum
- Historical Demography
- Human Resources
- Industrialized Countries
- Imperialism
- Intellectuals
- علم المستقبلات
- مستقبل علم الاجتماع
- مدرسة فرانكفورت
- دولاب المستقبل
- الوظيفية
- الفرويدية
- النماذج العالمية
- العولمة
- نظرية العولمة
- موارد بشرية
- الطابع الاجتماعي الثقافي (بورديو)
- المنهج الخفي
- الديموجرافيا التاريخية
- المادية التاريخية
- علم الاجتماع التاريخي
- (النزعة) التاريخية
- المنهج الخفي
- الديموجرافيا التاريخية
- موارد بشرية
- البلدان الصناعية
- الإمبريالية
- المثقفون

- الإنترنت -
- Interpretation, Interpretive Sociology - تفسير، تأويل، علم الاجتماع التأويلي
- Intervening Variable - متغير وسيط
- Interview - مقابلة
- Intergenerational Mobility - حراك في نفس الجيل
- Islam - الدين الإسلامي
- Modeling - النمذجة
- Mass Communication - الاتصال الجماهيري
- Mass Culture - ثقافة جماهيرية
- Mode - المنوال
- Mode of Production - نمط الإنتاج
- Model - نموذج
- Modernism - الحداثة
- Modernity - عصرية
- Modernization Theory - نظرية التحديث
- Minorities - الأقليات
- Mode of Production - نمط الإنتاج
- National Income - دخل قومي
- Nationalism - القومية
- Nomadism - البداوة
- Nationalism - القومية
- Over-Urbanization - التحضر الزائد

- Objectivity/Subjectivity
- Orientalism
- Prospective
- Planning
- Prognostics
- Prognostic Tests
- Possible Scenario
- Probable Scenario
- Prospective Analysis
- Planned Economy
- Plural Social Systems
- Plural Societies
- Quantitative
- Reconstruction
- Relevance Tree
- Rationalism
- Realism
- Reformism
- Religion
- Revolution
- Rural
- Sociology of the Future
- الموضوعية/الذاتية
- الاستشراق
- المستقبلية
- التخطيط
- التكهّنات أو التنبؤات
- اختبارات تنبؤية
- السيناريو الممكن
- السيناريو المحتمل
- التحليل المستقبلي
- اقتصاد مخطط
- أنساق اجتماعية متعددة
- مجتمعات متعددة
- الكمية
- إعادة البناء
- شجرة العلاقات
- العقلانية
- الواقعية
- الإصلاحية
- الدين
- الثورة
- الريفي
- علم اجتماع المستقبل

- السيناريو - Scenario
- التغير الاجتماعي - Social Change
- التنمية الزراعية المستدامة - Sustainable Agricultural Development
- المحاكاة - Simulation
- التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية - Social and economic formation
- المؤشرات الاجتماعية - Social Indicators
- الاندماج الاجتماعي - Social Integration
- الدراسة الاجتماعية للصحة والمرض - Sociology of Health and Illness
- علم اجتماع وسائل الاتصال - Sociology of Media
- الحراك الاجتماعي - Social Mobility
- التنظيم الاجتماعي - Social Organization
- الجنس - Sexuality
- الاشتراكية - Socialism
- التنشئة الاجتماعية - Socialization
- المجتمع - Society
- علم الاجتماع والسيمولوجية - Sociology and semiology
- التعاون - Solidarity
- المكانة الاجتماعية - Social Status
- الثورة الصناعية الثانية - Second Industrial Revolution
- العالم الثاني - Second World

- Seet, Sectarianism
 - Secular
 - Secularization
 - Social Anthropology
 - Social Capital
 - Social Categories
 - Social Contract
 - Social Control
 - Social Differentiation
 - Social Distance
 - Social constancy
 - Social Dynamics
 - Social Ecology
 - Social Equality
 - Social Evolution
 - Social Exchange
 - Social Fact
 - Social Forecasting
 - Social Formation
 - Social Geography
 - Social Group
 - Social History
- فرقة دينية، نزعة تكوين الفرق الدينية
 - علماني
 - تحول علماني
 - الأنثروبولوجيا الاجتماعية
 - رأس المال الاجتماعي
 - فئات اجتماعية
 - عقد اجتماعي
 - ضبط اجتماعي
 - التمايز الاجتماعي
 - المسافة الاجتماعية
 - الثبات الاجتماعي
 - الحركية الاجتماعية
 - الإيكولوجيا الاجتماعية
 - المساواة الاجتماعية
 - التطور الاجتماعي
 - التبادل الاجتماعي
 - الظاهرة الاجتماعية
 - التنبؤ الاجتماعي
 - تكوين اجتماعي
 - الجغرافيا الاجتماعية
 - جماعة اجتماعية
 - التاريخ الاجتماعي

- Sustainable Development
- Symbol
- Symbolic Interactionism
- Second Industrial Revolution
- Techno-economic approach
- Time Series
- Tracking Study
- Traditions
- Transitional (Society)
- Third World
- Urban
- Utopia
- Values/Norms
- World-System, World Systems Theory
- World-Wide Web
- Zionism
- التنمية المستدامة
- رمز
- التفاعلية الرمزية
- الثورة الصناعية الثانية
- المنهج التقني - الاقتصادي
- السلسلة الزمنية
- دراسة تتبعية
- التقاليد
- المجتمع الانتقالي
- العالم الثالث
- الحضري
- اليوتوبيا (مجتمع خيالي)
- القيم / المعايير
- النظام العالمي، نظرية النظام العالمي
- شبكة (اتصالات) عالمية
- الصهيونية





مكتبة الكتاب

المصادر:

- القرآن الكريم .
- ابن منظور ، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، ط1، ج: 9، بيروت 1997.
- القاموس العربي لعلم الاجتماع، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، تونس، 1991.
- بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1977.

المراجع:

- أمين، سمير، مناخ العصر، رؤية نقدية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1999.
- أمين، سمير، بعض قضايا المستقبل، وزارة الثقافة، عمان، 2002م.
- أمين، سمير، صراع الحضارات أم حوار الثقافات، دار التضامن، بيروت، 1997م.
- أتالي، جاك، آفاق المستقبل، ترجمة: مُجد زكريا إسماعيل، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1992م.
- آل غور، المستقبل - ستة محركات للتغير العالمي، الجزء الثاني، ترجمة: عدنان جرجس، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 424، الكويت، أيار 2015م.
- أبو حلاوة، كريم، العرب والمستقبل، منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 2009م.
- الحموي، ماجد، العلاقات الدولية، جامعة دمشق، 2007م.

- العايد، حسن عبد الله، مستقبل الثقافة العربية في عالم متغير ما بعد العولمة، وزارة الثقافة، عمان، 2002م.
- الدجاني، أحمد صدقي، رؤى مستقبلية عربية للثمانينيات، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1983م.
- العطار، نجاح، سورية في مواجهة الحرب الكونية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، وزارة الثقافة، دمشق، 2018م.
- الزركان، مُجد علي، التحديات المعاصرة التي تواجه اللغة العربية، ضمن ندوة (العرب وتحديات المستقبل)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، 2002م.
- السيد، محمود، طبعة العصر والمحتوى الرقمي العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، كانون الثاني، 2017م.
- الخطيب، علي مُجد، خصائص اللغة العربية ووسائل نموها، مجلة بناء الأجيال، العددان 66-67، منشورات نقابة المعلمين، دمشق، 2008م.
- الواقدي، مُجد، الجزء الأول من فتوح الشام، نشر بالمطبعة العثمانية المصرية، لصاحبها عثمان خليفة، ط1، 1354هـ، 1935م.
- الرشدان، عبد الفتاح، دور التربية في مواجهة تحديات العولمة، مجلة شؤون اجتماعية، جامعة الدول العربية، القاهرة، العدد (15)، 2003م.
- الحموي، رنا، العوامل الاجتماعية لرسوب تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي (الحلقة الأولى)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 2012م.
- الزايد، إيمان، انعكاس معدل النمو السكاني على التوزع الجغرافي لسكان المحافظات السورية، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 34، العدد 1، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2018م.

- بروبير، جون، مدارس من أجل التفكير، ترجمة: كهيلا بوز، منشورات وزارة الثقافة السورية، ط1، دمشق، 2002م.
- بشناتي، عبد المنعم طوعي، العربية لغة حضارية عبر العصور، مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة، الدورة الثانية، منشورات معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، ط1، بيروت، 2003م.
- برتراند رسل، هل للإنسان مستقبل، ترجمة: سمير عبده، دار المسيرة، ط2، بيروت، 1982م.
- جيدنز، أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصايغ، المنظمة العربية، ط1، بيروت، 2005.
- جيدنز، أنطوني، بعيداً عن اليسار واليمين، مستقبل السياسات الراديكالية، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد 286، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2002م.
- جيدنز، أنطوني، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة: أحمد زيدان وآخرون، منشورات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، ط1، القاهرة، 2002م.
- حسن مُجدّ وجيه، تحديات الدور المصري وآفاق المستقبلات، [دراسة من منظور لغويات التفاوض]، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2003م.
- حسيب خير الدين، مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات، التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988م.
- حسن، مُجدّ صديق، التسرب والتنمية، ط1، دار الثقافة للنشر، عمان، 1992م.

- حسن، محمود شمال، الخطاب التربوي العربي وإشكالية تشكيل السلوك، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، العدد (115)، 2003م.
- دياب، عز الدين، توجهات نحو جامعة عربية للمستقبل، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، وزارة الثقافة، دمشق، 2009م.
- رشيد، عطا الله، تاريخ الآداب العربية، المجلد الأول، مؤسسة عز الدين للنشر، ط1، بيروت - لبنان، 1985.
- رضوان سليم، نظام الزمان العربي: دراسة في التاريخيات العربية - الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2006م.
- ربيع، أسماء، التسرب الدراسي وانعكاساته، ط1، دار الفكر العربي، دمشق، 2012م.
- سعد الدين وآخرون، صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1982م.
- شليويط، بشار، ملامح مجتمع المستقبل عند بعض علماء الاجتماع، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2011م.
- شهود، ماجد، علم المستقبل والوطن العربي، منشورات القيادة، ط1، دمشق، 2003م.
- صالح، يعقوب، صنع القرار والعوامل المؤثرة فيه، مجلة الفكر العسكري، منشورات وزارة الدفاع، العدد الثالث، دمشق، 2004م.
- عباس، داود، دراسات سياسية، مكتب الإعداد القطري، سورية، 1999م.
- عبد الفضيل، محمود، الشرق أوسطية ومستقبل التعاون والتكامل الاقتصادي العربي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 6، بيروت، 1997م.

- عبد الرحمن، عواطف، الدراسات المستقبلية الإشكاليات والآفاق، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، الكويت، 1988م.
- عسلون، بنعيش، مواقع التواصل الاجتماعي، منصات حية تستغل لصناعة الإرهاب والموت، كتاب عصر الميديا الجديدة، منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة الدراسات 78، تونس، 2016م.
- علي، مدين، حول مستقبل الصين في السياسة الدولية، مجلة دراسات استراتيجية، العددان 19-20، 2006.
- فرجاني، نادر، جوهر القضية: تخفيض السكان أم زيادة التنمية، مجلة العربي، العدد 434، الكويت، كانون الثاني، 1995م.
- كاسين، روبرت، السكان والتنمية، ت. سيد رمضان هدارة ونادية حافظ خيرى، دار الناشر، ط1، القاهرة، 1994م.
- كورنيش، ادوار، المستقبلية، ترجمة: محمود فلاحه، منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 1994م.
- نبيل علي، ثورة المعلومات، الجوانب التقنية، في: السيد يسين وآخرون، العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير أسامة أمين الخولي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م.

مواقع الإنترنت

- إبراهيم أبو شوك، علم التاريخ إشكاليات المنهجية ومشروعات الأسلمة، إسلامية المعرفة، العدد 24. موقع من الشبكة 2017/12/25.
- الصوراني، غازي، العولمة والعلاقات الدولية الراهنة، موقع إنترنت 2009م.

- حسن البائع مُجَّد عبد العاطي، التعليم العربي بين استشراف المستقبل وطلب الجودة

والاعتماد، الاسكندرية: <http://kenanaonline.com>

- رحيم الساعدي، تصنيع المستقبل: <http://alnppr.se/article.asp>

<http://www.aldiyarlondon.com>.

<http://www.campaignforeducation.org>.

- مُجَّد بريش، «تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي: مدخل إلى التغيير الثقافي

(2005-3-31)<http://www.eiiiit.org/articles.asp.dad=271>.

مراجع أجنبية

- A. Herrera, et al, Catastrophe Or New Society? Alatin American World Model, IDRC, Ottawa, 1976.
- A Peccei and A. King. «Commentary», in: Mihajlo D. Mesarovic and Edward C, Pestel, *Mankind at the Turning Point, the Second Report to the Club of Rome* (New P=York: Dutton; Readers' Digest Press, 1974).
- A. T. Gustafsson and R. Ramanathan, "Multicriteria Methods for Salon Technology Foresight," Journal of Forecasting vol. 22, no. 2/3 (March-April 2003).
- R. Petrella: Ideological basis and Impact of World Models: A comparison. In Seminar of Future Forecasts and World models, Rio de Janiero, 28-11/3-12-1075.
- M. Mesarovic & Pestel, E., *Mankind at the Turning Point*, the New American Library, New York, 1974.

- W. Leantif et al: The Future of the world economy preliminary report, New York, UN, Dept of Economic and Social Affairs 1976.
- William E. Halal and Gary Bojes, "Evaluation of Forecasting Methods" *Futures Research Quarterly* vol. 21, no. 1 (Spring 2005).

تقارير ومؤتمرات ومجموعات إحصائية

- الهيئة السورية لشؤون الأسرة والسكان: تقارير دورية عن المسألة السكانية، انعكاسات الأزمة على الواقع السكاني في سورية، دمشق، 2014م.
- الهيئة السورية لشؤون الأسرة، صندوق الأمم المتحدة للسكان، حالة سكان سورية، (التقرير الوطني الأول، 2008م)، دمشق، 2008م.
- هيئة تخطيط الدولة في سورية: التقرير الوطني للتنمية البشرية، دمشق، 2006م.
- وزارة الشؤون الاجتماعية: أوضاع المرأة في بعض مراكز الإيواء المؤقتة في دمشق، منشورات وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، دمشق، 2014م.
- يونيسيف والهيئة السورية لشؤون الأسرة: تحليل الوضع الراهن لتنمية الطفولة المبكرة في سورية، دراسة تحليلية، 2008م.
- يونيسيف، وضع الأطفال في العالم 2011م: المراهقة مرحلة الفرص، صندوق الأمم المتحدة للطفولة، 2011م.
- تقارير وزارة التربية السورية: مديرية التعليم الأساسي، مديرية التعليم الثانوي، الأعوام 2004-2017م.

- الأونروا ومؤسسة الأمم المتحدة للتنمية والمركز السوري لبحوث السياسات، سورية الاغتراب والعنف، 2015م.
- اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، ترجمة: مُجّد كامل عارف، منشورات سلسلة عالم المعرفة، العدد 142، الكويت، تشرين الأول 1989م.
- اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، ترجمة: مُجّد كامل عارف، سلسلة عالم المعرفة، العدد 142، الكويت، تشرين الأول 1989.
- أوراق ملتقى السكان الأول لصندوق الأمم المتحدة والهيئة السورية للأسرة والسكان، دمشق، 2009/4/27.



لجنة تقويم الكتاب:

الأستاذ الدكتور عدنان مسلم

الأستاذ الدكتور أحمد الأصفر

الأستاذ الدكتور أسعد ملي

التدقيق اللغوي:

الدكتورة سناء الرئيس

حقوق الطبع والترجمة والنشر محفوظة لمديرية الكتب والمطبوعات الجامعية